

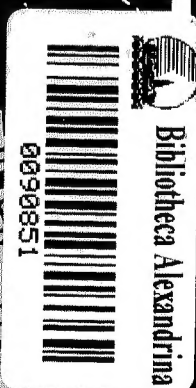


دكتور سعد مصلوح

فن النص الأدبي

فانطال

دراسة أسلوبية إحصائية



MCN
33140

2822

دكتور سعد مصلوح

892.709

مصر
ف

فى النص الأدبى

دراسة أسلوبية إحصائية

الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ / ١٩٩١ م

الهيئة العامة للكتاب - المكتبة الوطنية

رقم التسجيل: ٨٩٩:٧٠٩

رقم النشر: ف



مركز للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية
EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES



الناشر :

عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية

EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

٦ شارع يوسف فهمي - اسبائس - الهرم - تليفون: ٣٨٣٢٥٢٩

المشرف العام : دكتور قاسم عبده قاسم

تصميم الغلاف : محمد أبو طالب

الإهداء

إلى التي للمت شعاعها ودفننها من سمائي
ثم انحدرت إلى المغيب
فأسلمتني من بعدها إلى لوعة الفقد ووحشة الظلام
إلى نوجتي
في أكرم جوار

سعد مصلوح

مقدمة الطبعة الثانية

أعلم أن الإقدام على نشر مثل هذا الكتاب مغامرة. لكنى أعلم أيضاً علماً ليس بالظن أن الله سبحانه لم يخل أرضه من خيار المغامرين.

وقد كان للنادى الأدبى بجدة ولرئيسه العالم الجليل الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين فى نشر الطبعة الأولى من هذا الكتاب فضل لا يستقل بشكره لسانى.

وها هى ذى دار فتية أخرى هى دار «عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية» تتصدى لنشر هذه الطبعة الجديدة من هذا الكتاب؛ لتستفتح به وبأمثاله خطواتها الثابتة الأولى على ذلك المرتقى الصعب. وقد اقتنعت فى الأولى والآخره بأن كتابى هذا نوحظ عظيم؛ أتبع له من حفاوة هاتين الدارين الجادتين ما لم أحتسب، فاستفرغت وسعى لأستدرك ما فرط منى، ولأقيم هذا الكتاب على طريق مستقيمة حتى يكون جديراً بما نصب نفسه له من غاية شريفة. وعسى أن أكون بلغت من أمرى ما جردت نيتى خالصة له.

ولعل الشكر لازم فى حقى لكل من أزد وسدد وأعان، ولكل من حاطنى برعاية الصديق وحنو الشقيق فى لحظة من أحلك لحظات العمل تمطت بظلماتها فى آفاق حياتى، وأعانتى بجميل المواساة على مصابرة الأحزان، وفتح لى بمعاودة العمل قوة يتسلل منها شعاع الرحمة والأمل إلى قلب سففته مدلهجات الحوادث.

فإلى هؤلاء الأصدقاء جميعاً، وإلى أخى أحمد الهوارى خاصة من الشكر ما هو دين فى عنقى، ومن الثناء ما أعلم أنه عنه فى غنى، ومن الدعاء بالتوفيق لصالح القول والعمل ما أرجوه من الله القبول.

سعد مصلوح

فاتحة الكتاب

هذا الكتاب إسهام لسانى فى حل ما نحسبه أزمة أخذة بخناق الدرس الأدبى العربى المعاصر، وهى قضية يتجاوز خطرهما الجدل السائد حول الحداثة والتحديث إلى ضرورة تواصل أهل العلم بالعمل الدائب على ترسيخ أساليب المعالجة العلمية المنضبطة للنص الأدبى ، بعد أن أصبح نبأً مستباحاً لكل قادر على حوك الكلام، متصرف فى فنونه، يحسب أن فى هاتين الخليقتين مقنعاً يغنيه .

تلك النزعة فى الدرس الأدبى تقعد بدراسة النص عند رسوم الموروث من النعوت والالقب والأحكام ، وتعتمد النوق (١) مناطاً لفحص النصوص، ولا ترى فى النص الأدبى شيئاً جديراً بأن يحتشد الباحث له، ويتسلح لمقارنته بمعارف العصر وعلومه، وقصارى أحدهم أن يشهد لنفسه بحسن النوق، وسلامة الطبع، ونفاذ البصيرة، ثم يقتضى الناس الإذعان لحكمه والتسليم له بمقتضى هذه الشهادة .

ومن الدارسين فريق يجر النص الأوبى جراً ليركض به خلف معطيات وتفسيرات نفسانية أو إجتماعية أو تاريخية أو مذهبية، جاعلاً منه خداماً لكل علم، ملقياً به وراء الأسوار أسيراً لنوع من المعالجة المضمونية الضيقة وهى معالجة لا يمكن أن تفسر وحدها ما به يكون الأدب فاعلاً وخالداً، وإن دارساً هذا دأبه لهو - فى ظننا - كالضارب فى التيه؛ فلا هو رضى بمقعده بين الدارسين التقليديين للأدب، ولا هو فسخ لنفسه بين غيرهم من العلماء مكاناً كريماً. وحسبك بمن يعرض على الناس بضاعة مزجاة، أو ينتبذ بنفسه مكاناً قصياً يتسقط فيه فتات الموائد.

من هنا أحس بعض المتأملين لواقع الدرس الأدبى حاجة ملحة إلى حل تنشط به دراسة النص من عقالها، وامتازت من صخب الزحام فى السوق الأدبية أصوات أصيلة تدعو إلى الأخذ بأسباب الدرس العلمى على بصيرة، وتهيب بأرباب هذه الصناعة أن يتسمعوا لغة العصر، وأن يصلوا أمر آخر هذه اللغة الشريفة بأوله، فيضعوا ظاهرة النص الأدبى فى حاقٍ موضعها من ظاهرات النشاط العقلى عند الإنسان.

بيد أننا وجدنا بعض من ينسبون إلى التحديث ينطلق، من أسف، إلى وصف
الجنة الموعودة التي تنتظر المتمردين على النزعات التقليدية في دراسة الأدب،
والمتشبهين بأذيال البنيوية والأسلوبية والتفكيكية، دون أن يزج بنفسه في خضم دراسة
النص العربي صابراً محتسباً. وهكذا تحتشد في كتاباته أسماء أعلام الفرنجة
ومذاهبهم في زحام بونه زحام الأعراس والموائد، أما النص العربي فيتوارى عنده
بالحجاب. ثم إنه لا يفتق بذلك حتى يصوغه في نغمة من الزهو والإستعلاء، يقول بها
لقرائه : انظروا كيف أحسن ما لا تحسنون، وهيئات لما توقعون.

ولا نشك في أن هذا المسلك هو أقرب طريق إلى ذبوع الشهرة وتفشى الصيت
بأقل التكاليف وأيسر المئونة. غير أن دارساً يقنع من تحديث دراسة الأدب بنصيب أم
الحلّيس في الشاهد النحوي الشهير هو دارس يفتقد شجاعة مواجهة النص وإربما كان،
في ظنننا، لا يقل خطراً على الدرس الأدبي من الواقف عند رسوم القديم، أو المتسقط
لفترات الموائد، ذلك أنه لم يضيف إلى هذا الدرس من الجديد ما يعد به مفارقاً للقديم،
ولأنه لا يختلف عن الثاني إلا في نوع ما يسقط من فترات، ولأن أكثر ما يكتبه إنما
يسقط آخر الأمر ما بين عجمة العقل وعجمة النقل. ومثله يُحرّض بصنيعه المتطلع
للتحديث من شجائب الباحثين على إراقة السقاء دون أن يبلغ بهم منابع الرى، ويورثهم
سخطاً على ما في أيديهم، وبرما به دون أن يُبدلهم ما هو أوفر عطاء وأمس رحماً.

لهذا كان هذا الكتاب محاولة متواضعة (ونحن نعنى هذا الوصف على حقيقته)
يقدمها أحد المشتغلين بالدراسات اللسانية ممن يعينهم أمر النص الأدبي منذ أمد ليس
بالقريب، وغاية ما نطمح إليه هو أن نسهم مع المخلصين، إن شاء الله، في أن نمهد
لأنفسنا وللباحثين من بعدنا طريقاً إلى الخروج بدراسة النص الأدبي من النفق المظلم،
وإلى صياغة عربية القسّمات للملامح الحداثيّة الراشدة التي تتغيا بها ترسيخ المعالجة
العلمية المنضبطة للنص الأدبي.

وقد أمحضنا هذا الكتاب لنمط بعينه من أنماط الدرس الأسلوبى : ونعنى به

إستخدام لامعالجة الإحصائية فى تشخيص الأساليب، وفى إناطة الأحكام النقدية بما يسفر عنه التحليل اللسانى المنضبط لمبانى النصوص، وحاولنا، ما وسعتنا الحيلة، أن يبرأ من أكثر ما لحظناه فى غيره من مأخذ، فعرضنا فيه بالبحث النظرى المستفيض لمشكلات الأسلوبيات الإحصائية، من حيث بيان مفهوما، وما يصطنع فى ممارستها من أساليب وإجراءات منهجية، ومجالات توظيفها لمقاربة النص الأدبى، ثم إننا تجاوزنا البحث النظرى إلى مباحث تطبيقية لنصوص من الأدب العربى نشره وشعره، وحرصنا فى هذه المباحث على تحرير المشكلات، والتعريف بالمصطلحات، وضبط المقاييس الأسلوبية التى جرى أعمالها فى النصوص، وتحديد مصادرها، وتطويرها لمقولات النحو العربى، وبيان كفيات تطبيقها بالأمثلة المعينة على صحة استخدامها، ودقة توظيفها، والتوسع فى تطويرها لمن أراد.

ونحسب أننا قد تجاوزنا بكتابتنا السابق (الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية) طور الإستدلال لجسوى الإتجاه الأسلوبى الإحصائى، لنحاول، بهذا الكتاب، أن ننقل من طور الإستدلال له إلى طور الإستدلال به، واستعانت به، فى حل مشكلات نقدية مهمة بوسائل أسلوبية لسانية منضبطة.

غير. أننا ما زعمنا فى سابق، ولا نزعم الآن، أن ما ندعو إليه هو الحل الوحيد المعتمد لكل المشكلات، أو المفتاح السحرى الذى تُقضى به جميع المغاليق، ويتحقق به مقاصد الدرس الأدبى كاملة غير منقوصة. إن المنظور الإحصائى فى معالجة النص الأدبى لا يعنى، حتى الآن، أن يكون أداة منهجية وليس منهجاً. وما يزال الطريق أمامه طويلاً لكى يغنى نظرية من نظريات الدرس الأدبى. لكننا نؤكد أنه - بيقين - أداة كاشفة ومعينة، ووسيلة منهجية واعدة. وهى قادرة، إن شاء الله، على أن تخطوبنا خطوات فساحاً فى سبيل عقلنه التثوق، وعلمية التناول، والتسويغ المنطقى للأحكام، والتفسير المنضبط للظواهرات الأدبية.

ذلكم هو جوهر ما ندعو إليه حين نقرر أن الأدب فن ولكن دراسة الأدب ينبغى لها

أن تكون علماً، وأن إستخدام لغة كثيفة المجاز في الدرس النقدي يوشك أن يفسد قضية النقد بالكلية، إذ إن من المحالات المعرفية أن يُدرس فن بفن. ومن ثم فإنني أعيد هنا ما سبق أن كتبته من سنوات عشر، (الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية)، في مثل هذا المقام فأقول : (إنني لا أستطيع، بل لا أريد، أن أبرئ كتابي هذا من الانحياز إلى تلك الفكرة التي جعلت عنوانه دليلاً عليها : وأعنى بها ضرورة العمل على إرساء منهج لغوي (لساني) في نقد الأدب العربي، يكون فيه النص، أو الخطاب الأدبي هو موضوع الدراسة، ويكون منهج الدراسة به لغوياً (لسانياً) Linguistic بالمفهوم العلمي لهذا المصطلح .

وحسبنا أن نحاول مخلصين رد بعض ما في أعناقنا من دين للفتنا العربية الشريفة ولتراثنا الأدبي الخالد، وأن نستشرف بهذه اللغة ومن أجلها آفاقاً من العلم والمعرفة لا تحدها حدود.

سعد مصلوح

المبحث الأول

الدراسة الإحصائية للأسلوب :

بين المفهوم والإجراء

والوظيفة

الفتاحة :

يقول الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي «٨٤٩-٩١١هـ» في «الإتقان» : «وقال الهذلي في كامله : «اعلم أن قوماً جهلوا العدد وما فيه من الفوائد حتى قال الزعفراني : «العدد ليس بعلم، وإنما اشتغل به بعضهم ليروج به سوقه»^(١).

وقد سيقّت مقالة الزعفراني هذه في حق طائفة من العلماء اشتغلت بتتبع بعض المؤشرات الكمية في الأسلوب القرآني، ولكنها - على قدمها - تكاد تكون تعبيراً عن شكوك مترادفة يطرحها كثير من المعاصرين في المعالجة الإحصائية للأساليب^(٢) وتستند هذه الشكوك إلى بدهية تبدو ظاهرة الصدق، فقد لُحِظَ أن جمهور أئمة النقد من لدن أرسطو إلى العصر الحديث عالجوا باقتدار أخطر مشكلات النص الأدبي دون أن يحسوا حاجة ملحة لتجنّبهم إلى اصطناع الطرق الإحصائية والاستدلال بنتائجها، بل إن المقاربة الإحصائية لم تحظ عند عدد من أعلام اللسانيين المحدثين مثل سوسيور وبلومفيلد وتشومسكي بنصب ملحوظ من العناية، على أن ذلك لم يطعن على هؤلاء الأعلام، ولم يؤخر منزلتهم بين أهل العلم، وإذا كان الدرس الأدبي واللساني كلاهما قد كان ولم يكن إحصاء فما وجه الضرورة إذن في اصطناعه ضرباً من ضروب المقاربة للظاهرة اللسانية عامة، والأسلوبية خاصة ؟

والحق أن هذا الإعتراض القديم الجديد يعتضد أيضاً بظهور عدد وافر من الإشكالات المعرفية والمنهجية التي أثارها الظاهرة الأسلوبية نفسها، وما تزال تتردد في أدبيات هذا العلم ودونما جواب حاسم، وحسبنا هنا أن نشير إلى رؤوس من هذه المسائل: فما حد الأسلوب ؟ وهل يعرف بالإضافة إلى المنشئ بوصفه اختياراً ؟ أم إلى ذات

(١) السيوطي : الإتقان في علوم القرآن الكريم، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٧٤، ج١/٢٤١.

(٢) انظر، على سبيل المثال لا الحصر :

صلاح فضل، علم الأسلوب : مبادئه وإجراءاته، كتاب النادي الأدبي للثقافة - جدة، ط ٣، ص ٣٠٥ - ٣٠٧.

وشفيح السيد : الاتجاه الأسلوبى في النقد الأدبي، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٦، ص ١٨٧ - ١٨٨.

الرسالة بوصفها شفرة لغوية ؟ أم إلى المتلقى بوصفه مجموعة من المثيرات والمنبهات التي تستدعى انفعالات ومواقف وأحكاماً معينة ^(٣) ؟ وهل ثمة مشروعية معرفية لاختصاص ظاهرة الأسلوب بعلم قائم برأسه بحيث يكون من العلوم المتجاذبة الاختصاص Interdisciplinary ؟ أم أن دراسة الأسلوب ينبغي أن تكون فرعاً من علم آخر ؟ وإذا صح الفرض الأخير فأي العلوم في هذه العلاقة يكون أصيلاً وأيهما يكون تابعاً ؟ وكيف تتحدد العلاقة بين الأصل والتابع ؟

وينتقل الخلاف حول هذه المسائل المنهجية إلى معسكر اللسانيين مع اتفاق جمهورهم على الاعتداد بظاهرة الأسلوب موضوعاً من موضوعات البحث اللساني، وذلك حين ينظرون في أمر العلاقة بين الدرس الأسلوبى والدرس اللسانى، هل هي علاقة فرع بأصل ؟ ^(٤) أم أن كليهما أصل بنفسه ؟ وما مكان المكون الأسلوبى من بنية النص، أترأه ينتشر على كافة مستويات التحليل الصوتية والصرفية والنحوية على ما يقول شاتمان Chatman أم أنه مستوى قائم بنفسه على قول جاليرين Galperin ^(٥) ؟ على أن المدارس اللسانية تتفاوت تفاوتاً كبيراً في مدى ما توليه من عناية لدراسة ظاهرة الأسلوب، وفي تحديد موضوع المكون الأسلوبى من ثنائيات كثيرة اشتهرت بين النقاد اللسانيين مثل ثنائية الشكل والمضمون، وثنائية النمط والانحراف «أو الأصل والعدل» وثنائية النطق والتدوين، وثنائية لغة الفكر ولغة اللسان، وثنائية اللغة والكلام، وثنائية

(٣) أدت هذه الثلاثية إلى تقسيم الأسلوبيات إلى أسلوبيات تعبيرية، وأسلوبيات تأثيرية وأسلوبيات

موضوعية، وانظر عرضاً مفصلاً لهذه الاتجاهات وغيرها في : H.F. Plett, Concepts of Style : A Classificatory and Critical Approach Language and Style vol. no. 4, fall, 1977, P.268 - 9.

2- W, O, Hendricks, The Notion of Style, Language and Style. vol. VIII, No. Winter, pp. 35-41.

(٤) حول العلاقة بين الأسلوبيات واللسانيات انظر : Enkistnils Erik Linguistic Stylistics Mouton, : 1973, pp. 16-17.

(٥) نوقش هذان الرأيان بالتفصيل في : Enkvist On the Place of Style in Some

Linguistic Theories in literary Style : Asymposium ed. S. Chatman, Oxford Univ. Press, 1971, pp. 52-3.

الجملة وما وراء الجملة. وهو اختلاف ينتج أثراً بعيدة المدى على المستويات النظرية والتطبيقية وإجراءات التحليل وثمة أيضاً مسألة تتعلق بالخيار الأسلوبى، أهو خيار يتم فيه التشكيل الأسلوبى عن وعى واختيار وإرادة من المنشئ أم أنه عملية للغة بوصفها من المعطيات التاريخية القاهرة والمهيمنة على عملية الإبداع^(٦).

تلكم السلسلة التى لا نهاية لها من الخلافات لم تحسم بعد ولا نتوقع لها حسماً قريباً. إنها أسئلة تكاد تكون أبدية، وستظل دائماً محاور للحوار والخلاف بين أهل العلم. وكل هذه الخلافات وارد على أصل قضية الأسلوب بما هو ظاهرة، وعلى قضية الأسلوبيات بما هى علم أو مجال معرفى متعين. ومن البدهى أن قضية المعالجة الإحصائية للأسلوب لن تكون بمنجى من تأثير هذه الخلافات سواء من جهة المفهوم أو الإجراء أو الوظيفة، بل من جهة الحاجة إليها أصلاً.

وإذا كان من الصعب أن يستوفى القول فى جميع ما سبق من قضايا، إذ يقضى بنا ذلك إلى الخروج عن أصل الغاية التى نصبت لهذه الدراسة - وكان من المحالات المنهجية أيضاً أن نعرض عنها بالكلية فى هذا المقام؛ لوثاقة العلاقة القائمة بينها وبين سلسلة التصورات المنهجية والتحليلية التى تشكل قوام البحث - لذلك كان سواء الأمر هو أن نستفرغ الوسع فى استصفاء ما يتصل من هذه المعضلات الخلافية بقضية الدراسة الإحصائية للأسلوب اتصالاً مباشراً، وفى إرجاء الحديث المفصل حول الفروع والجزئيات، مع الإشارة إليها فى مظاهرها، ليستقيم لنا البحث فى أمر الإحصاء الأسلوبى من حيث المفهوم والإجراء والوظيفة. وهذه الثلاثة المحاور تقع تحتها منظومة المشكلات النظرية والتطبيقية التى يثيرها الدرس الإحصائى للأسلوب. وتشكل فى الوقت نفسه البنية الأساسية لهذا البحث على ثلاثة مطالب:

(٦) رأى الأخير هو لولان بارت ولزيد من التفصيل ينظر :

Roland Barthes, Style and its Image, in Literay Style, Op. cit, p. 8

الأسلوبية الذاتية أو النصوية، مجلة فصول مج ٥. ع ١٠، ١٩٨٤. ص ٨٩.

المطلب الأول : عن المفهوم ، ويشمل :

١ - ١ الأساس النظري لفكرة الإحصاء الأسلوبى .

١ - ٢ ماهية الأسلوب من المنظور الإحصائى .

المطلب الثانى : عن الإجراء ، ويشمل :

٢ - ١ المتغير الأسلوبى والخاصية الأسلوبية .

٢ - ٢ التشكيل الأسلوبى للمتغيرات اللغوية «أسلوبيات المقال» .

٢ - ٣ أسلوبيات المقام .

٢ - ٤ التشكل الأسلوبى وثلاثية المقام / المعنى / المقال .

٢ - ٥ التشخيص الأسلوبى .

٢ - ٦ المعالجة الأسلوبية الإحصائية للنصوص .

٢ - ٧ النماذج الرياضية للتشخيص الأسلوبى .

٢ - ٨ إطار عمل للتحليل الإحصائى الأسلوبى .

المطلب الثالث : عن الوظيفة ، ويشمل :

٣ - ١ مفهوم المقياس الأسلوبى الإحصائى .

٣ - ٢ مجالات تطبيقه .

٣ - ٣ أنماط المقاييس الأسلوبية .

٣ - ٤ مبدأ شمولية المقياس الأسلوبى .

المطلب الرابع : كلمة خاتمة : عن القضايا العربية ، والمعالجة الإحصائية .

وفيما يلى يعالج المبحث هذه المطالب على الترتيب السابق ذكره

المطلب الأول

المفهوم

١ - ١ الأساس النظري لفكرة الإحصاء الأسلوبى :

لا شك أن ظواهر السلوك اللغوى لدى أى جماعة لغوية إنما تتصف فى بعض مستوياتها الإتصالية على الأقل وفى بنية شفرتها، بالوحدة والتجانس، لأنها لو لم تكن كذلك لاستحال التواصل بين المتكلمين بها. وأول الشروط لتحقيق التفاهم أن يكون المرسل والمستقبل كلاهما على علم بالشفرة المشتركة ويتحققها الفيزيقي من حيث رموزها، وعلاماتها وقواعد تأليفها، ومفاتيح حلها.

بيد أن التنوع فى تجليات الشفرة اللغوية الواحدة حقيقة تشهد بها الملاحظة، ويصدقها العلم، فالسلوك اللغوى يتباين تبايناً ظاهراً بين أبناء الجماعة اللغوية الواحدة، حتى إن التجارب المختبرية لتقطع بأن الفرد الواحد لا يكرر كلمة واحدة عند أدائها بجميع خصائصها الأولى فى طرفين مختلفين، وهكذا تتنازع السلوك اللغوى عوامل جغرافية محلية، وانتماءات اجتماعية موحدة Group Affiliations وانتماءات اجتماعية متقاطعة (٧) Cross Affiliation فى خطوط ودوائر متداخلة ومتخالفة حتى يبلغ التنوع مداه، مُشكلاً ما اصطلح على تسميته بلهجة الفرد idiolect، وهى مجموعة السمات المميزة للسلوك اللغوى عند فرد بعينه فى جماعة لغوية بعينها .

هذا التنوع فى إطار الوحدة هو ما حاولت النظرية اللسانية الحديثة تفسيره من خلال ثنائية اللغة والكلام Langue / Parole عند سوسيور أو ثنائية الكفاءة والأداء Competence / Performance عند تشومسكى على خلاف بين الثنائيتين فى المنطلق الفلسفى، ومن ثم فى الإجراءات التحليلية والغايات (٨). غير أن النظرية اللسانية

(٧) سعد مصلوح : «الأسلوب : دراسة لغوية إحصائية» ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٢، ف ٣-٢.

(٨) عن الأصول النفسية والفلسفية لنظرية تشومسكى انظر جون ليونز، نظرية تشومسكى اللغوية، =

الحديثة قامت في الأساس على افتراض الوحدة والتجانس، وصرفت عنايتها في المقام الأول إلى دراسة ما هو عام ومشترك في إطار ما سمي باللسانيات التقريرية Deterministic Linguistics، وشغلت دراسة التنوعات والفروق المحل الثاني من الإهتمام، واضطلعت به مجموعة من العلوم ضمن ما يسمى باللسانيات الاحتمالية Probabilistic Linguistics. وإلى هذه المجموعة من العلوم تنتمي الأسلوبيات اللسانية Linguostylistics. ويتوزع مباحث الأسلوبيات اللسانية المعاصرة اتجاهان أو مدرستان متنافستان، هما بحسب تصنيف بيير جيرو: Pierre Guiraud مدرسة الأسلوبيات التقليدية Traditional Stylistics التي وضع أصولها بالي Bally، ومدرسة الأسلوبيات الحديثة New Stylistics التي اشتقها جاكوبسون Jacobson من الاتجاه البنيوي لمدرسة براغ. وتتفق المدرستان على تعريف الأسلوب بأنه الصيغة المميزة للنص. غير أن الطائفة الأولى تبحث عن مصدر تعريفاتها في دراسة الخواص الأسلوبية للنظام «أو الشفرة» Code على حين تلتزم الطائفة الثانية في وصف البنى الداخلية للرسالة Message^(٩).

ونحن إذا اعتبرنا الصيغة المقترحة للأسلوبيات اللسانية عند بالي ومدرسته من جهة، ثم عند جاكوبسون ومن نهج نهجه من جهة أخرى، ثم اعتبرنا كذلك العوامل الاجتماعية والنفسانية الفاعلة في تشكيل الرسالة - أدركنا ما عليه موقف الأسلوبيات اللسانية من تعقد، فهي دراسة تتقاطع مع اللسانيات التقريرية «بوصفها إطاراً مرجعياً لوصف التنوعات حتى داخل النظام نفسه»، وتكملها في آن معاً.

كذلك تتقاطع هذه الدراسة مع اللسانيات الاجتماعية «في مبحث محددات المقام، وفي تحديد الإطار المرجعي للتنوع الاجتماعي»، ومع اللسانيات النفسانية «في مبحثي = ترجمة حلمي خليل. دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، ١٩٨٥ ص ٢٠٧ - ٢١٠ وص ٢٤٧ - ٢٥١. ومحمد محمود غالي: أئمة النحاة في التاريخ جدة، ١٩٧٦، ص ٩ - ١٦، ص ١٧ - ٢٢ وجون سيرل: تشومسكي والثورة اللغوية، مجلة الفكر العربي، ٩/٨، ١٩٧٩، وص ١٣٤ - ١٢٧.

(٩) Pirre Gulraud, Immanonce and Transtivity of Stylistic Criteria, in Literary Style: Asymposium, op. cit. p. 16.

الشخصية والنمو»، ومع النقد الأدبي «في معالجة النص الأدبي، الذي هو من أعظم التنوعات اللغوية تميزاً». ويمتاز الدرس الأسلوبى من كل علم من هذه العلوم جميعاً بخصوصية تحدد له مجال بحثه، فهو يفارق «اللسانيات التقريرية» باحتفائه بمبدأ التنوع، وهو لا يلتمس من اللسانيات الاجتماعية إلا بعض الأطر المرجعية المعينة على التصنيف، وهو بإزاء اللسانيات النفسانية يختص بالسلوك اللغوى - السوى عادة - دون سائر أنواع السلوك البشرى الأخرى. وهو بإزاء النقد الأدبي إنما ينصرف إلى السلوك اللغوى فى النص، وإلى التشخيص بالأصالة والتقويم بالتبعية، وهو إذا عالج فى النص جوانب أخرى مما يهم الناقد الخالص فليس إلا من خلال المكون اللغوى وما يتصل ببنيته من قضايا، وهى - لحسن الحظ - كثيرة وخطيرة.

وموجز القول أن الدرس الأسلوبى يهتم بدراسة مظهر ذى خطر من مظاهر التنوع فى السلوك اللغوى، وينتمى بذلك إلى «اللسانيات الاحتمالية»، على حين تقوم «اللسانيات التقريرية» على إهمال مبدأ التنوع وافترض الوحدة والتجانس والمثالية فى ظروف التواصل اللغوى، وعن هذا يعبر تشومسكى بأوضح عبارة إذ يقول :

«إن النظرية اللسانية معنية، أولاً وقبل كل شىء بإنسان مثالى فى سلوكه اللغوى، تكلماً وسماعاً، يعيش فى جماعة لغوية متجانسة تمام التجانس، وهو عارف بلغته تمام المعرفة، ولا يخضع فى ممارسته لهذه المعرفة أثناء أدائه اللغوى الفعلى لتلك الظروف التى لا صلة لها بالجانب النحوى، مثل محدودية الذاكرة، والارتباك، والعوارض التى تتوزع اهتمامه وانتباهه، ولما يمكن ارتكابه من أخطاء عشوائية أو مميزة. ذلكم هو الموقف - كما يبدو لى - لدى مؤسسى اللسانيات العامة الحديثة. ولم يطرأ بعد من الأسباب المقنعة ما أدى إلى تعديل هذا الموقف»^(١٠).

ذلكم الفرد المثالى فى سلوكه اللغوى، وتلك الجماعة اللغوية المتجانسة التى تمارس التواصل اللغوى فى ظروف مثالية ليس إلا فرضاً نظرياً تنطلق منه كمباحث

N. Chomsky, Aspects of the Theory of Syntax Mass., 1965, pp. 3 - 4. (١٠)

النظرية اللسانية، وإذن فقد كتب على اللسانيات الاحتمالية، ومن بينها اللسانيات الأسلوبية مواجهة مشكلة التنوع اللغوي، أو بعبارة أخرى - امتحان فروض «اللسانيات التقريرية»، وتكملة نواقصها. والإسهام في معالجة أوجه القصور في النظرية اللسانية الحديثة.

من هنا تبرز وثيقة العلاقة بين الدرس الأسلوبى وأهمية المعالجة الإحصائية لظاهرة الأسلوب، بل بين «اللسانيات الاحتمالية» في مجملها والإحصاء، فما دام التنوع هو موضوع الدراسة فلا بد من رواة لغويين Informants يتم اختيارهم من الجماعة اللغوية ويتحقق سلوكهم التنوع، ولا بد من اختيار عينات من النصوص تمثل المجتمع الإحصائي Statistical Population إذا لم يتيسر دراسة المجتمع نفسه وهو الأمر الغالب دائماً، ولم يكن بدّ كذلك من إقامة الاختيار، سواء للعينات أو الرواة، على أساس يضمن دقة النتائج وسلامة الأحكام، ومن وسائل علمية يمتحن بها ثبات هذه الأحكام وصدقها. فماذا كان موقف الدراسات اللسانية بنوعها حيال الاستعانة بالمعالجة الإحصائية للمادة اللغوية الحاقلة بمظاهر التنوع والاختلاف ؟

يقرر فرانك أنشين Frank Anshen أن الدراسات اللسانية قد سلكت خيال اعتبار التنوع ومعالجته إحصائياً واحداً من مسالك ثلاثة :

أما المسلك الأول فهو تجاهل التنوع، والاعتراف بأن كل عضو من أعضاء الجماعة اللغوية المعينة هو متكلم مثالي بالضرورة، ومن ثم له الحق في أن يكون المتحدث الوحيد باسم جماعته في هذا المجال، إذ هي جماعة مثالية متجانسة في سلوكها اللغوي؛ ولما كان هذا التجانس لا وجود له على الحقيقة - وكانت دراسة التنوع اللغوي مرادة في ذاتها لأهميتها النظرية، ولأنها قوام علوم لسانية بأسرها - وجدنا أنشين يطلق على هذا الاتجاه تسمية لا تخلو من سخرية، إذ يسميه اتجاه، «عدّ عن ذا» (Ignore it !).

وأما ثانيها فقد توسط الأمور، وطالب بتقييد المادة المدروسة بالبيئة والمقام وإن كان ذلك قد جرى على نحو غامض، لا يمكن الإطمئنان إلى أسسه وإجراءاته ونتائجه .

وأما المسلك الأخير فقد أثر اللجوء إلى المعالجة الإحصائية ليضبط طرق اختيار الرواة والعينات ضبطاً علمياً، ويحول البيانات غير الرقمية إلى بيانات رقمية، ويختبر الصدق والثبات في النتائج، ويستكنه الدلالات الإحصائية للأرقام^(١١).

ولا شك أن هذا المسلك الأخير هو الحل العلمي المنهجي لمعالجة ظاهرة التنوع اللغوي على نحو علمي منضبط، بل إن أهمية الإحصاء قد ثبتت لكثير من علوم اللسانيات التقريرية مثل اللسانيات التاريخية على سبيل المثال^(١٢). أما في الأساليب اللسانية فالحاجة إليه أشد إلحاحاً لأنها لا تقارب السلوك اللغوي بما هو ظاهرة متنوعة فحسب، بل تقاربه أيضاً بما هو استعمال لغوي متميز بالقياس إلى غيره. وبذلك يتجاوز اللجوء إلى الإحصاء الأسلوبى مرتبة الجواز إلى مرتبة الوجوب، حتى يمكن لصور التنوع أن تكون قيد الدرس، وللحكام النقدية الناتجة أن تناط جميعها بأوصاف ظاهرة منضبطة.

١ - ٢ ماهية الأسلوب من المنظور الإحصائي

ثمة مفاهيم تكتسب بشيوعها في الاستعمال العام وضوحاً زائفاً، حتى إذا مارسها العلماء واختبروها وتناوشتها المدارس العلمية على اختلاف أصولها ومناهجها وإجراءاتها البحثية تكشف أمرها عن قدر لا يستهان به من الغموض والتعقيد، وإلى هذا الصنف من المفاهيم ينتمى مصطلح «الأسلوب»، سواء في مصنفات اللسانيين أو النقاد^(١٣). وتحرير هذا المفهوم جدير بأن يكون مطلباً علمياً لذاته، بيد أن التزام البحث بقضية المعالجة الإحصائية للأسلوب سوف يضطرنا إلى أن نقبل نوعاً من الحد هو إلى التفسير أقرب منه إلى التعريف، فعلماء اللسان والنقاد - على وجه الإجمال - يرون في

Farnk Anshen, Statistics for Linguists, Newbury House Publishers, U.S.A., (١١) 1978, pp. 2-3.

(١٢) عن الإحصائيات المعجمية في اللسانيات التاريخية انظر : Milka Ivic, Trends in Linguistics Trans by Muriel Heppell, 2nd printing, Mouton, 1970 pp. 219,220, D.L. Omisted, Lexicostatistics as Proof of Genetic Relationship, Anthropological Linguistics, Vol 3, No 4, pp. 9-14.-H.A.Gleason, Jr, Counting and Calculating for Historical Reconstruction, Anth. Linguistics, Vol.1, No2, pp.22-32

(١٣) عن مفهوم الأسلوب انظر سعد مصلوح : المرجع السابق ذكره فف ١-٢ إلى ٧-٢.

الأسلوب واحداً من تجليات التنوع فى السلوك القولى، إلا أن ما صدقات هذا التنوع عند اللسانى أوسع منها عند الناقد و فرق ما بين الرجلين هو فرق فى الغاية تتبعه سلسلة من الفروق، فغاية اللسانى هو الكشف عن أسرار الظاهرة اللسانية، وما سوى ذلك من غايات هو عنده من الغايات تالٍ وتَبَع، وينشأ من ذلك أن النص الأدبى هو واحد من مظاهر استخدام اللغة التى يوليها اللسانى عنايته فى بحث الأسلوب من منظوره الخاص، أما الناقد فالنص الأدبى هو كل بضاعته، والموضوع الوحيد لتأمله ونظره، ويدهى أن المكون الأسلوبى اللسانى هو بالنسبة إليه واحد من مكونات أخرى لا يكمل عمله إلا بالوقوف عليه، وينقص عمله بالوقوف عنده، تلك هى المنطقة التى يتقاطع عندها عمل اللسانى والناقد، ثم يتجاوزها كل منهما ماضياً إلى غايته، إنها منطقة الوصف والتشخيص، وسنعود إلى هذه القضية بفضل بيان فى فقرة قادمة. وحسبنا هنا أن تشير إلى سعة ما صدقات مفهوم «الأسلوب» فى البحث اللسانى، فهو إذا أضيف إلى فرد كان أسلوباً فردياً، وإذا أضيف إلى عصر بعينه كان أسلوباً مميزاً لحقبة من حقبة تاريخ اللغة، وإذا أضيف إلى جنس من أجناس القول كان أسلوباً نثرياً أو شعرياً أو قصصياً أو مسرحياً، وإذا أضيف إلى الوساطة الناقلة كان أسلوباً صحفياً أو إذاعياً أو مكتوباً أو مقروءاً. وإن القارئ لواجد فى هذا العرض المختصر أمرين : سعة ما صدقات المفهوم عند اللسانى بالقياس إليه عند الناقد، وتقاطع الاهتمامات بين اللسانى والناقد على اختلاف الوسائل والغايات بينهما.

ويمكن أن نتلمس مجال المعالجة الإحصائية بين تعريفين شهيرين من تعاريف

«الأسلوب»:

الأول : تعريف يحد الأسلوب بأنه مفارقة Departure «أو انحراف

Deviation^(١٤) عن أنموذج آخر من القول ينظر إليه على أنه معيار Norm وبالمقارنة

(١٤) انظر مناقشة بارت لهذا المفهوم فى المرجع السابق ذكره P.7 وأيضاً نقد تسفيتان توبورف

فى دراسة له بعنوان : The Place of Style in the Structure of the Text, In Literary

Style : A Symposium Op. cit, pp.30-1

بينهما يقع التمييز بين «النص المفارق» و«النص - النمط». ويشترط لجواز المقارنة تماثل المقام بينهما.

والثاني : تعريف يحد الأسلوب بأنه اختيار Choice أو انتقاء Selection يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة من بين قائمة الاحتمالات المتاحة في اللغة.

إن هذين التعريفين - وإن كان لهما من طابع البساطة ما يكاد يبلغ مبلغ البداهة - يثيران من الإشكالات النظرية أو المنهجية أكثر مما يحلان، فأولهما يقتضى معرفة بخصائص التعبير الأصيل أو «النمطى» أو «المعتاد» ليكون في الإمكان قياس التعبير المعدول إليه Deviant. وهو أمر لا يمكن أن يكون موضع اتفاق أو إجماع، كما أن السبيل إليه صعبة متوعدة المسالك. وأخرهما يلزمنا بمعرفة قائمة الأبدال المتاحة، تلك التى يُعمل المنشئ فيها فكره بالاختيار والاستبعاد والأسئلة التى يطرحها هذا التعريف كثيرة متشعبة، لعل من أهمها : هل لمثل هذه القائمة وجود بالفعل ؟ وهل من من الميسور التوصل إلى صياغتها ولو على وجه التقريب ؟ ثم ماذا عن طبيعة هذا الاختيار : أتراه يتم من المنشئ عن وعى وقصد ؟ أم أنه يتم بطريقة جبرية لا سيطرة حقيقية عليها للمنشئ ؟ (١٥)

بيد أن من المثير حقاً أن هذه الإشكالات هى التى تفتح الباب لتدخل المعالجة الإحصائية للأسلوب على نحو يمكن أن يفيد فى تحرير كثير من التصورات النظرية والإجراءات البحثية. وهو ما سيعرض له هذا البحث فيما بعد. ونبادر هنا إلى تأكيد أن ما بين التعريفين من وجوه التكامل هو أوسع من وجوه الاختلاف أو التناقض، ويرجع التعريف الثانى نظيره من الوجهة العملية - فيما نرى - لأمور، منها أولاً : أن الاختيار أمر تصدقه تجربة الأدباء فيما يكتبون، وثانياً : لأن القول بأن الأسلوب هو تعبير معدول عن أصل معتاد يمكن أن يؤدى إلى القول بأن كل تعبير جاء على الأصل دون عدول هو

(١٥) ثمة دراستان مهمتان فى مقولة «الاختيار» هما : Louis T. Milk, Rhetorical Choise and Stylistic Option, in Literary Style Op.cit, pp. 77-88, Jane R. Walpole, Style Option college Composition and communication.Vol. XXXI, No.2, 1980 pp. 205-212

خلو من الجمال وليس ذلك صحيحاً على إطلاقه.

وثالثاً : لأن الانحراف عن النمط ومفارقته يمكن أن يعد شكلاً من أشكال الاختيار ومحصلة له.

ورابعاً : لأن مفهوم الاختيار يفتح المجال لتجميع مفردات الظاهرة الأسلوبية وضم شتاتها في منظومة بحثية واحدة، ذلك أن الاختيار أمر يفترض أن يقوم به المنشئ على كافة مستويات التواصل بدرجات متفاوتة؛ ومن ثم فهو ليس محض اختيار لغوي وحسب، بل هو محكوم من جهة بإمكانات المقال، ومن جهة أخرى بمقتضيات المقام Context of Situation. وتشمل مقتضيات المقام عوامل كثيرة، منها مصدر الخطاب، والمقصود بالخطاب، وموضوعه، والوسيلة المعتمدة في الإبلاغ، وجنس الخطاب، والعلاقة بني مصدر الخطاب والمقصود به، والحضور الذهني أو العيني للمخاطب، والمسرح الذي تجرى عليه وقائع الخطاب، وغير ذلك كثير مما سنعرض له في حينه.

وأياً ما كان المفهوم الذي يعتمد أساساً للتحليل، فثمة أمران نحسبهما موضع اتفاق بين الدارسين :

أولهما : أن الأسلوب مفهوم احتمالي في جوهره، وهو بهذه الصفة مستحق لأن يكون موضوعاً للمعالجة الإحصائية إذا شئنا إحكام الوصف والتشخيص .

والآخر : أن الأسلوب بما صدقاته المختلفة لا يمكن تحليله تحليلاً شافياً إلا في ضوء التحليل الشامل للغة المعنية، ذلك أن هذا التحليل الشامل هو تحديد لخلفية الصورة «أو الأرضية» The Background التي برز بالقياس إليها الشكل The Foreground ، فلا بد من قياس المتنوع إلى المتجانس، والخاص إلى العام، يقول هاليداي Halliday : « إذا كان لعالم اللسان أن يأمل في الإسهام في تحليل الأدب الإنجليزي، فإن عليه أولاً

أن ينجز وصفاً شاملاً لإنجليزية العصر على كل المستويات»^(١٦)

وإذا كان الوصف الشامل للغة هو الأساس المعتبر لفحص الظاهرة الأسلوبية فإن التشخيص الإحصائي للأسلوب لا يمكن أن يستغنى فيه أو به عن التشخيص الإحصائي لمباني اللغة، وذلك في إطار الظاهرة المدروسة على أقل تقدير. ومن هنا تنشأ علاقة وثيقة بين اللسانيات الإحصائية والأسلوبيات الإحصائية، بحيث تتولى الأولى بيان الخصائص المشتركة في الاستعمالات اللغوية، وتقوم الأخرى بالدراسة الدالة للخصوصيات والفروق. أما حين يتعذر وجود الوصف أو الإحصاء الشامل - كما هو الحال في العربية - فإن قصارانا أن نقيس انحرافاً إلى انحراف، أو اختياراً إلى اختيار. وسبيلنا إلى ذلك هي المقارنة بين الخصائص الأسلوبية لأكثر من نص عند منشئ واحد، أو عند أكثر من منشئ، أو في نوع بعينه من النصوص عند عدد من المنشئين، أو في جزء من أجزاء نص بعينه إلى غيره من أجزاء النص، أو في مئونة كاملة Corpus .

M.A.K. Halliday The Linguistic Study of Literary Texts, Preceedings of the (١٦) Ninth International Congress of Linguists ed. Huraceae Lunt, The Hague, 1964, p. 302.

المطلب الثاني

الإجراء

٢ - ١ المتغير الأسلوبى والخاصية الأسلوبية :

٢ - ١ - ١ تعريف :

نعنى بالمتغيرات الأسلوبية Stylistic Variables مجموعة السمات اللغوية «بالمفهوم الأوسع لهذا المصطلح»، التى يعمل فيها المنشئ بالاختيار أو الاستبعاد، وبالتكثيف أو الخلطة، واتباع طرق مختلفة فى التوزيع ليشكل بها النص، وحينئذ تصبح المتغيرات الأسلوبية خصائص مميزة Stylistic Features موانز Discriminators ؛ ومن ثم ينبغى التمييز بين مفهوم المتغير الأسلوبى والخاصية الأسلوبية، من حيث إن المتغيرات الأسلوبية هى مادة غفل متاحة من جهة الإمكان العقلى على الأقل أمام جميع المنشئين، ليعمل فيها كل منهم بما سبق بيانه من طرق لتكون فى النص خصائص أسلوبية. وإذن يكون المتغير خاصية أسلوبية بالقوة، تتحول فى النص إلى خاصية أسلوبية بالفعل.

٢ - ١ - ٢ أنواع المتغيرات الأسلوبية

المدخل الأساسى لتصنيف المتغيرات الأسلوبية هو الوسطة الناقلة المستخدمة فى الرسالة اللغوية «أو النص» فالإلقاء والأداء الشفهى أسلوبيات تفارق أسلوبيات النص المسطر على الأوراق، ويمكن تصنيف المتغيرات الأسلوبية إجرائياً وتبعاً لذلك إلى متغيرات شكلية وصوتية وصرفية وتركيبية ودلالية. ونود هنا أن نورد ملاحظ ثلاثة :

أولها : أن المتغيرات الشكلية ينصرف معظمها إلى النص المدون، وتعالج الصورة الطباعية أو التدوينية التى يظهر بها النص على الورق، ومظاهر التشكيل

الجمالى للحروف بما هى كم فيزيقى يدرك بالبصر، ولا ينفى ذلك أن يكون لهذه التشكيلات الجمالية أبعاد أخرى على المستوى الصوتى أو الصرفى أو التركيبى أو الدالى.

ثانيها : أن أنواع المتغيرات بمختلف أنواعها يمكن اعتبارها على مستويين : مستوى الجملة فيما نطلق عليه مصطلح «نحو الجملة» Sentence Grammar ومستوى النص فيما اصطلح على تسميته «نحو النص»^(١٧) Text Grammar .

أخرها : أن ما ذكر من أنواع المتغيرات هنا إنما ذكر على سبيل التمثيل لا على جهة الاستقصاء والحصص. وقد سوغ ذكرها أنها من أكثر المتغيرات سيورة فى البحث الأسلوبى، وهى أطوعها للمعالجة الإحصائية، وفيما يلى قائمة بالمتغيرات الأسلوبية المختارة :

أولاً : من المتغيرات الشكلية :

- (١) الشكليات التى تميز الشعر من النثر «قمسة البيت إلى شطرين» .
- (٢) توزيع الأبيات «الأسطر» على الصفحة .
- (٣) الأشكال الهندسية البيعية .
- (٤) نظام الفراغات على الصفحة .
- (٥) فنون البديع القائمة على التصحيف والتحريف .
- (٦) طول الكلمة «مقيساً بعدد الحروف» .
- (٧) طول الجملة «مقيساً بعدد الكلمات بحسبان الكلمة كمّاً فيزيقياً متصلاً مسبقاً

(١٧) لبيان المقصود من هذين المصطلحين انظر : Teun A. Von DUK, Some Aspects of Text Grammar : A Study in Theoretical Linguistics and Poetics, Mouton, The Hague, 1972, pp. 10-12. Wilbur Pickering, A Frame work for Discourse Analysis, Summer Institute of Linguistics, Publication No. 64, 1980, p. 5.

وملحوقاً بفراغ (١٨) .

(٨) أنواع من الجناس « المركب والمتشابه » .

(٩) علامات الترقيم (١٩) .

ثانياً : المتغيرات الصوتية :

(١) التوزيع النسبي لفئات الصوتيات « الفونيمات » (٢٠) .

(٢) أنواع المقاطع « المفتوحة / المغلقة » (٢١) .

(٣) التشاكل المقطعي Isosyllabism (٢٢) .

(٤) الكلمات الموحية Onomatopoeic .

(٥) انساق نبر الكلمات Word-Stress .

(١٨) هذا المعيار لتحديد الكلمة هو المعيار المعترف به إحصائياً بالنسبة للنصوص المدونة، وقد عول عليه كاتب هذا البحث في دراسة لخاصية تنوع المفردات (انظر حاشية رقم ٢٤) . وأيضاً Jan Helbich, Statistical Methods on Evaluating Words for Indexing Purposes in Prague Studies in Mathematical Linguistics Academia Prague, 1972, No. 4, p. 66.

(١٩) علامات الترقيم هي أحد المتغيرات التي يمكن استخدامها في قياس أسلوبية طول الجملة ونوعها، انظر : George A. Miller, Language and Communication, New York, Toronto, London, 1963, pp. 126-7.

(٢٠) قامت بعض الباحثات باستخدام مقياس كاي ٢ في دراسة توزيع صوتيات الصوائت في خمس معلقات جاملية، انظر : Mary C. Bateson, Strucural Continuity in Poetry, Mouton, 1970, pp. 60-67.

(٢١) يرى بعض العلماء وجود ارتباط بين حسن الجرس في الشعر وشيوع المقاطع المفتوحة. انظر إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٦٥، ط ٢ ص ٣٢٥-٣٢٧.

(٢٢) عن التشاكل المقطعي انظر : A. W. Degroot, Phonetics in its Relation to Aesthetics : in Manual of Phonetics ed. b. Malemberg, Amestrdam, 1968, p. 538.

(٦) الوزن العروضى .

(٧) قافية الصدارة Alliteration .

(٨) الجناس بأنواعه «التام والناقص» .

(٩) السجع .

(١٠) نظم التقفية ومنها :

(أ) القافية التامة True Rhyme «ويراعى فيها التطابق التام» .

(ب) لزوم ما لا يلزم .

(ج) القافية البصرية Eye Rhyme «وتقوم على التطابق فى الرسم الكتابى دون

النطق» .

(د) القافية الناقصة Half Rhyme «وتقوم على التشابه والتطابق فى النطق

ومنها ما يسمى بمصطلح العروضيين الأكفاء والإجازة والسناد بأنواعه» (٢٣)

(هـ) القافية السمعية Ear Rhyme «ويراعى فيها تطابق الانطباع السمعى دون

الرسم الكتابى» ..

(١١) القلب .

(١٢) الإحالة Anaphora .

(١٣) التشريع .

(١٤) طول الكلمة «مقيساً بعدد المقاطع أو الصوتيات» .

(٢٣) عولجت ظاهرة القافية التامة والناقصة باستفاضة فى : س موزيه " الشعر العربى الحديث

١٨٠٠ - ١٩٧٠ : تطور أشكاله وموضوعاته بتأثير الأدب الغربى، ترجمة شفيق السيد وسعد

مصلوح، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٨٦، ص ١٨٥ - ٢٢٦ .

(١٥) تماثل الصوائت Assonance .

(١٦) تماثل الصوائت Consonance .

(١٧) انسجام الصوائت Vowel Harmony .

(١٨) حسن الوقع Euphony . «وترتبط بالشيوخ النسبى لفئات معينة من الأصوات وهى الصوائت Vowels والصوائت الرنانة Resonants والأنفية Nasalas والجانبية Laterals والترددية Rolled فى مقابل الفئات الأخرى : الاحتباسيات Stops والاحتكاكيات Fricatives. كذلك يرتبط حسن الوقع - كما أسلفنا - بالشيوخ النسبى للمقاطع المفتوحة فى مقابل المقاطع المغلقة» .

(١٩) تقابل السمات الفارقة Distinctive Features .

(٢٠) التخالف الصوتى Dissonance .

ثالثاً : من المتغيرات الصرفية :

(١) أقسام الكلم : «الاسم، الفعل، الصفة، الظرف، الضمير، حروف المعانى» .

(٢) الصيغ الصرفية. «الأفعال، الجموع، المصادر، المشتقات ...» .

(٣) مبتكرات الصيغ .

رابعاً : المتغيرات التركيبية :

(١) المركبات النحوية : «المركب الجرى / الظرفى / النعتى / البدلى / العطفى» .

(٢) أنواع الجمل : «اسمية / فعلية / بسيطة / مركبة / معقدة / إنشائية / خبرية» .

- (٣) التنافر والتعقيد التركيبي .
- (٤) جميع مباحث علم المعانى فى البلاغة العربية .
- (٥) المجاز بالحذف «من مباحث علم البيان» .
- (٦) البعد التركيبى من المقابلة .
- (٧) البعد التركيبى من التشبيه والاستعارة والمجاز المرسل «بالمصطلح البلاغى» .
- (٨) فنون بلاغية من مباحث علم البيان والبدیع مثل :
- «التفويف»، والعكس، واللف والنشر، والابتداء والتخلص والانتهاء، والجمع والتفريق والتقسيم، ورد الأعجاز على الصدور، وغير ذلك .
- (٩) الصحة النحوية Grammaticality .
- (١٠) القبول النحوى Acceptability .

خامساً : من المتغيرات الدلالية :

- (١) الوحدات المعجمية Lexemes .
- (٢) السجل المعجمى Register .
- (٣) المفردات المهجورة Archaism .
- (٤) المفردات البخيلة .
- (٥) التركيز والتشتت فى توزيع المفردات .
- (٦) المولد .

(٧) تنوع المفردات (٢٤) .

(٨) الثروة اللفظية (٢٥) .

(٩) البعد الدلالي للاستعارة «بأنواعها : التجريدية / الإحيائية Animation / التشخيصية Personification ..» .

(١٠) البعد الدلالي للتشبيه والمجاز المرسل والكناية .

(١١) فنون بديعية فى التراث البلاغى مثل : الطباق، والتدبيج، ومراعاة النظير، وإيهام التناسب، والإحصاء، والمشاكلة، والرجوع، والتورية، والاستخدام، والتجريد، والمبالغة، والتبليغ، والإغراق والغلو، والتفويف والعكس ... إلخ .

سادساً : من متغيرات ما فوق الجملة (٢٦)

(١) طول الفقرات وتوزيعها .

(٢) هرمية البنية المنطقية للنص .

(٣) انفتاح النص أو انغلاقه . (٢٧)

(٢٤) انظر : سعد مصلوح : «قياس خاصية تنوع المفردات فى الأسلوب، عند العقاد والرافعى وطه حسين» المبحث الثانى من هذا الكتاب.

(٢٥) صاغ المعادلة الخاصة بقياس الثروة اللفظية بير جيري، انظر نقداً لهذه المعادلة وتطبيقاتها فى : Marie Tesitelova, On The so - called vocabulary Richness, in Prague Studies in Mathematical Linguistics, Academia, Prague, 1972, No. 3, pp. 104-115.

(٢٦) ثمة خلاف فى تحديد الوحدة الحاملة للأسلوب : أهى الجملة أم ما فوق الجملة، ومن القائلين بالاول ريتشارد أوهمان انظر : R. Ohmann, Literature as Sentences in Essays on the Language of Literature, eds. S. Chatman and S. Levin, Boston. 1967, pp. 232-3.

على حين يرى أ. هيل اللسانيات تختص بمستوى الجملة وتتفرد الاسلوبيات بمستوى ما فوق الجملة، انظر : A. Hill, Eassays in Literary Analysis, Austin, Texas, 1965, p. 69.

(٢٧) انفتاح النص أو انغلاقه، إحدى الخصائص الاسلوبية التى يعول عليها بعض الباحثين لتشخيص الفرق ما بين لغة النساء ولغة الرجال. انظر Thomas J. Farrell, The Female and Male Modes of Rhetoric, College English, Vol. 40, No. s, April, 1979, pp. 909-910.

(٤) هرمية البنية النحوية : «الكلمة - المركب - العبارة - الجملة - الفقرة» .

(٥) الربط بين الجمل .

(٦) التوافق والتخالف في مباني الجمل .

(٧) وسائل السبك Cohesion صوتية / حرفية / تركيبية / معجمية .

(٨) المعلومات المقدمة Given Information ^(٢٨) .

(٩) معدل ورود المعلومات Rate of Information ^(٢٨) .

(١٠) الالتفات «على مستوى النص» Pronominalisation .

تلكم الأنواع من المتغيرات الأسلوبية ذكرت هنا لا قصداً إلى الحصر، ويمكن القول - على وجه الإجمال - إن أي خاصية لغوية مائزة Distinctive أو فائضة Redundant ^(٢٩) هي متغير أسلوبى بالفعل وخاصية أسلوبية بالقوة، وهي بذلك قابلة لأن تكون موضوعاً للمعالجة الإحصائية الأسلوبية بهدف التشخيص الأسلوبى للنص، أو للكشف عن أنواع التشكيل الأسلوبى الذى خضعت له من قبل المنشئ .

٢ - ١ - ٢ المتغيرات الأسلوبية والطراز النحوى

تشتمل قائمة المتغيرات الأسلوبية على تصورات ومصطلحات لسانية، وعلى مفاهيم يكثر استخدامها في البلاغة المدرسية، ومعلوم أن التعاريف التى تساق لأكثر هذه التصورات، وتوظيف ما هو معروف منها في التحليل الأسلوبى إنما يختلف باختلاف المدارس والاتجاهات اللسانية، فكثير منها ليس موضع اتفاق وإجماع، ضرورة أن هذه المدارس يختلف بعضها عن بعض في المنطلق الفلسفى والغاية ومناهج التحليل وإجراءاته .

^(٢٨) W. Longacre, op. cit. pp. 71-74 and 79-81.

^(٢٩) للتمييز بين الخواص المائزة والفائضة وبورهما في التشكيل الأسلوبى انظر : A. W. Degroot, op. cit. pp. 537-8.

وتطرح هذه الحقيقة البديهية على القائم بالتحليل الأسلوبى ضرورة تحديد الطراز النحوى Grammatical Model الذى يعتمد أساساً لتحديد مفهوماته، ومن ثم لتحديد المنهج وإجراءات التحليل وطرق القياس وقد جهل فضيلة هذا الأمر - على أهميته البالغة - كثير من الذين عالجوا بعض مسائل تاريخ العربية أو بنيتها أو ظواهرها الأسلوبية، حيث استخدموا هذه المصطلحات ملقن إياها ملقى المسلمات، على توهم وضوح مفاهيمها واستقرارها وثباتها، وليس هذا الظن صواباً بإطلاق، ولا يتسع المجال هنا لتتبع أشهر الطرز النحوية واستعراض علاقتها بالدراسة الأسلوبية عامة والإحصائية منها خاصة، بيد أننا هنا نعيد ما سبق أن أشرنا إليه فى موضع آخر من أن «الطرز النحوية جميعها - بما فى ذلك الطراز التقليدى - كلها قابل من حيث المبدأ لأن تشكل أساساً منهجياً للبحث الأسلوبى»^(٣٠) هذا وإن كان من الطبيعى أن تتفاوت الطرز فى مدى كفاءتها ووفائها بمتطلبات الوصف الدقيق للخصائص الأسلوبية.

٢ - ٢ أساليبيات المقال

يقصد بأساليبيات المقال التشكيل الأسلوبى للمتغيرات اللغوية Stylistization أو بعبارة أخرى - تنظيم السمات اللغوية فى النص على نحو تتحول به من مجرد كونها بنوداً فى قائمة المتغيرات إلى خصائص أسلوبية مائزة للنص.

وينبغى هنا إيراد عدد من الملاحظ الهامة :

الأول : أن قائمة المتغيرات الأسلوبية التى سبق إيرادها هى محصلة رصد وتأمل لعدد غير قليل من الدراسات الأسلوبية، وقد يكتسب بعضها الصفة الجامعة Universal بحيث يمكن أن تصادفه فى اللغات على اختلافها، وقد يكون لبعضها طابع من الخصوصية يجعله وفقاً على لغة بعينها، كما أن أهمية بعضها قد تتفاوت من لغة إلى لغة بحسب خصائص بنيتها وقوانينها.

الثانى : أن هذه القائمة ليست جامعة ولا مانعة، ولا يبعد أن يجتهد مجتهد

(٣٠) سعد مصلوح : «الأسلوب»، ٢-٨.

فيضيف إليها أو ينقص منها، أو يعدل من العلاقات بين وحداتها بما يؤديه إليه تأمله للنصوص واجتهاده في رصد خصائصها.

الثالث : من المحال أن يستخدم منشئ واحد لا في نص واحد ولا في مجموعة من النصوص جميع المتغيرات الأسلوبية التي سبق ذكرها، وإنما يتحقق التشكيل الأسلوبى باختيار عدد منها يتم باستخدامه تمايز الأساليب^(٣١).

الرابع : أن التشكيل الأسلوبى عملية مركبة تتم فى نسيج متشابك معقد على جميع المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية فى آن معاً.

الخامس : أن تعدد عملية التشكيل الأسلوبى يقابلها صعوبة مماثلة من جانب الباحث عند محاولته فك تداخلات النسيج، وتشخيص الخصائص المائزة، واستكناه دلالاتها.

السادس : أن المستويات السابق ذكرها تتفاوت فى مدى طواعيتها للتشكيل الأسلوبى، وتحتل المتغيرات الدلالية قمة القابلية للتشكيل، يليها المتغيرات الصرفية والتركيبية، أما المتغيرات الصوتية فهى أكثر خضوعاً لنظام اللغة، ومن هنا تبدو مهمة الشاعر فى التشكيل الأسلوبى صعبة بالقياس إلى غيره من المنشئين، وبها يتفاوت الشعراء فى قدراتهم وخصائص شاعريتهم .

السابع : أن القول بقيام نص ما على متغيرات أسلوبية معينة لا ينفى إمكان وقوع أبدالها أو نقائضها من المتغيرات فى النص نفسه، أو فى غيره من نصوص المنشئ الواحد، وإنما الفيصل فى تقويم دورها فى التشكيل الأسلوبى هو لدرجة الشبوع وطرق التوزيع.

(٣١) هذا خلافاً لما يتصوره بعض الباحثين من إمكان ذلك، بل وجوبه، يقول صلاح فضل : «لا يمكن الوصول إلى نتائج هامة دون حصر شامل لكل الخواص فى جملة النص، علم الأسلوب ص ٣٠٦، وانظر رداً على هذه المقولة فى : سعد مصلوح : دراسات نقدية فى اللسانيات العربية المعاصرة. عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٩ م ، ص ٦٥-٦٦.

الثامن : أن الاختيار، والشيوع، والتوزيع، هي العوامل الثلاثة التي تحدد متضافرة التشكيل النهائي لأسلوب النص، وبها تتحقق مفارقة النص للمعيار المعتاد.

هذه الملاحظ الثمانية هي أهم ما ينبغي اعتباره عند النظر في شأن المتغيرات الأسلوبية والطريقة التي تتحول بها من قائمة مجردة صماء إلى خصائص أسلوبية قاعلة في التشكيل الأسلوبى للنص، بقى أن نقرر أن جميع ما سبق إirاده مما هو واقع تحت تسمية المتغيرات الأسلوبية إنما يمثل القسم الأول في عملية التشكيل الأسلوبى، ونعنى به القسم المقالى، وهذه الحقيقة تفتح باب القول فى أمر القسم الثانى وهو القسم المقامى، وكلا القسمين يرتبط بالآخر أوثق ارتباط فى هذا الصدد، ومن ثم كان لابد أن نتخذ من مفهوم المقام ومحدداته Context Parameters موضوعاً للفقرة التالية :

٢ - ٣ أسلوبيات المقام

من جوامع الكلم التى تتردد فى كتب السلف مقولتان، أولاهما : « لكل مقام مقال » والأخرى : « البلاغة هي موافقة الكلام لمقتضى الحال »، وقد اكتسبت هاتان المقولتان فى القديم والحديث طابعاً تعليمياً، ولكنهما تقرران من الوجهة العلمية مبدأً تطبق على صحته جميع الاتجاهات والمدارس فى العلوم اللسانية خاصة والإنسانية عامة، ألا وهو وجود علاقة لا يمكن تجاوزها - تنظيراً أو تحليلاً - بين المقال وما يكتنفه من ظروف ومواقف وسياق اجتماعى، ولأمر ما جعل المفسرون والأصوليون من المعرفة بأسباب النزول أصلاً من أصول تفسير القرآن الكريم واستنباط الأحكام لا يقومان إلا به، وما المعرفة بأسباب النزول إلا استحياء للمقام لا مندوحة عنه لفهم المقال^(٣٢).

وإذا كان تحليل المقال فى سياقه المقامى واجباً فى اللسانيات الاجتماعية والتاريخية والنفسانية فإنه فى مجال التحليل الأسلوبى أوجب، لقد سبقت الإشارة إلى أن الاختيارات الأسلوبية لا تحكمها ظواهر اللغة الخالصة فحسب، بل تحكمها كذلك

(٣٢) انظر : السيوطى : المرجع السابق ذكره، ج ١/ص ١٠٧-١١٠، وقد ناقش هذه المسألة أيضاً تمام حسان، انظر : العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٧٣، ص ٣٤٨-٣٥٠.

محددات المقام، ونعنى بها الخصائص التى تحدد الظرف الاجتماعى - المادى الذى سبق فى إطاره الكلام سواء أكان منطوقاً أو مكتوباً Socio-physical Envelop .

والعلاقة بين المقام والمقال تسير فى اتجاهين على نحو مستمر فكما أن المقال دليل على المقام، فكذلك تكون المعرفة بالمقام جوهرية فى فهم المقال، وتظل العلاقة الجدلية قائمة بينهما طوال عملية الممارسة اللغوية، «فحين يتكلم زيد إلى عمرو يكون عمرو متهيئاً لاستنباط الطريقة التى صنف بها زيد مقام الكلام، أى أنه - على سبيل المثال - سيلحظ نظرة زيد إلى مستوى الألفة بينهما أو إلى ما ألزم زيد نفسه باتباعه أثناء الكلام من التأدب اللائق، وسيؤدى ذلك إلى تأثير مرتد، أى أن الأفكار التى كوّنها زيد حول ما استنبطه عمرو من أفكار عنه تؤثر على نظرة عمرو إليه، كما تؤثر أيضاً على تصنيفه هو «أى زيد» لمقام الكلام مع عمرو، ومن ثم تؤثر على أسلوبه» (٣٣).

وهكذا يتبين لنا أن العلاقة التى تحكم المقام والمقال - فى الموقف الحى - ليست بالبساطة التى تبينها يادى النظر.

على أن ثمة جانباً آخر يزد من تعقد تلك العلاقة، ذلك أن ثمة فنوناً من القول والكتابة كالمعاريض والتوبيخ والسخرية وغيرها تعتمد فى تشكيلاتها الأسلوبية وفى بلوغ غايتها من التأثير والإبلاغ على المفارقة القائمة بين أجزاء المقال (٣٤)، أو المفارقة القائمة بين المثال والمقام (٣٥)، وما ينشأ عن هذه المفارقات خذلان للتوقع يتحقق به التأثير الأسلوبى المراد، ومن ثم فإن العلاقة بينهما فى هذا الصدد يراد لها أن تخالف قصداً عن المؤلف والمتوقع، على نحو لا يتحقق الغرض من المقال إلا به، وهو نمط من العلاقة العكسية غير المباشرة لا يقل أهمية فى هذا المجال عن العلاقة الإيجابية

(٣٣) N. Enkvist, Linguistic Stylistics, p. 63.

(٣٤) مثاله قوله تعالى: «فبشرهم بعذاب اليم» آل عمران: ٢١، إذا ما قورن بقوله تعالى «وبشر الصابرين» البقرة: ١٥٥.

(٣٥) مثاله قوله تعالى: «نق إنك أنت العزيز الكريم» النخان: ٤٩، إذا ما قورن بقوله تعالى: «فذكروا فلن نزيدكم إلا عذاباً» النبأ: ٣٠.

المباشرة بين المقولتين.

وبالنظر إلى ما تتمتع به فكرة المقام من أهمية محورية في عملية التشكيل الأسلوبى - على النحو الذى سلف بيانه - ، وبالنظر إلى أن اعتبار محددات المقام وإدخالها فى المعادلة الإحصائية لتشخيص الأساليب تواجه الأسلوبيات الإحصائية بتحدٍ حقيقى يندر مثيله فى التشخيص الإحصائى لأسلوبيات المقال - نقول : نظراً لما تقدم كان لزاماً أن نعرض بالبيان لهذه المحددات والكيفية التى يمكن أن تكون بها موضوعاً للمعالجة الإحصائية الأسلوبية.

ثمة محاولات مختلفة بذلها مشتغلون بعلوم اللسان وبالدراسات الاجتماعية لوضع صيغة جامعة لمحددات المقام تكون لها القابلية للتطبيق عند تصنيف المقامات والمقالات فى مختلف اللغات، ولا شك أن الفروق الثقافية بين الجماعات الكبرى والجماعات الصغرى واختلاف المقامات فى تفاصيلها الدقيقة ذات التأثير المحتمل على تشكيل الأسلوب، كل أولئك يجعل مهمة وضع التصنيف الجامع لمحددات المقام أمراً لا ينقاد للباحثين فى يسر، ومن ثم لا وجود لصيغة نهائية أو مثالية من هذا النوع، وعلى من يستخدم أياً من هذه الصيغ المقترحة أن يعيد النظر فيها لاستيفاء ما يراه ناقصاً، واستبعاد العناصر غير ذات التأثير على الظاهرة موضوع الدراسة.

ولعل النموذج الذى اقترحه دافيد كريستال D. Crystal وديريك دافى D. Davy أن يكون من أكثر نماذج محددات المقام بساطة وشمولاً وقابلية للتطبيق فى مجال تشخيص الأساليب، ويتخذ هذا النموذج الشكل التالى ^(٣٦) :

(أ) محددات التفرد Individuality .

- اللهجة .

- العصر .

٤٠

(ب) محددات الخطاب .

– واسطة الاتصال Medium .

«كتابة، كلام شفهي» .

«واسطة بسيطة / واسطة مركبة» .

– المشاركة Participation .

«أداء فردي ، حوار» .

«مشاركة بسيطة / مشاركة مركبة» .

(ج) محددات المجال Province .

مثال : لغة العبادة، الإعلان، القانون ... إلخ .

(د) محددات الموقف الاجتماعي .

وتتصل بالمكانة الاجتماعية النسبية للمشاركين في عملية الاتصال من حيث الرسمية، والتأدب، والقراءة، وعلاقات العمل .

(هـ) المحددات الشكلية Modality .

وتتشكل ما يوجد من فروق وفي صيغة الاتصال كالرسائل، وبطاقات البريد، والملاحظات والبرقيات، والتقارير والمقالات العلمية، والمتون الدراسية.

(و) العوارض الشخصية Singularity .

وتختلف عما يندرج تحت عوامل التفرد من جهة كونها عوارض مؤقتة وطارئة ويمكن استخدامها في التلاعب أو المناورة، ويتم إقحامها في الموقف لإحداث تعاقب لغوي محدد «ومثالها» أن يلوى أحدهم لسانه بصيغة لغوية يقلد بها الطبقة الراقية أو لكنة

أعجمية، أما عوامل التفرد فتمتاز بالدوام والثبات.

٢ - ٤ التشكيل الأسلوبى وثلاثية المقام / المعنى / المقال

عالج هذا البحث فيما مضى من فقرات جانب المتغيرات الأسلوبية المقالية، وجانب محددات المقام، مقترحاً أحد النماذج التى أثبتت كفاءتها فى هذا الصدد، ونعنى به نموذج كريستال ودافى على ما سبق بيانه.

بيد أن عملية التشكيل الأسلوبى لا يمكن حصرها فى ثنائية المقال والمقام، ذلك أن هذا الحصر إنما يغفل الضلع الثالث من مثلث التشكيل الأسلوبى وهو جانب «المعنى» أو «المكون الدلالى»، كما يغفل الإشارة إلى الآلية Mechanism التى تتحول بها المعانى إلى «نظم نحوية» ثم إلى «مبان نحوية» و«أحداث مقالية» وتتمثل تلك الآلية وفى وظائف اللغة Language Functions وقد تولى هاليداي تحديد دور «المكون الدلالى» و«وظائف اللغة» فى تشكيل الخصائص المائزة للمقال، وقدم صيغة لهذه العلاقة تستحق التوقف عندها بشئ من البيان^(٣٧).

يميز هاليداي ما بين وظائف اللغة عند الطفل فى مرحلة ما قبل المدرسة، وما يطرأ على هذه الوظائف من تطور بنمو الطفل وانتقاله إلى مرحلة النضج، ويرى هاليداي أن الوظائف اللغوية عند الطفل مرتبطة بحاجاته ارتباطاً مباشراً، ومن ثم نرى لديه شكلاً لغوياً واحداً يتكرر كلما أراد التعبير عن حاجة بعينها دون اعتبار للأبدال الأخرى المتاحة، وبذلك يمكن القول إن النظام اللغوى عند الطفل فى طفولته المبكرة يتشكل من مجموعة من التنوعات المشروطة والمقيدة تقييداً مباشراً بالمواقف والمقامات، أى أن ما يريد الطفل أن يعبر عنه هو الذى يحدد التركيب اللغوى تحديداً مباشراً.

وخلال المسار الذى يقطعه الطفل نحو النضج تتوارى الوظائف المتعددة

(٣٧) أخذنا هذا العرض المفصل لنظرية هاليداي عن : Roger T. Bell, Sociolinguistics, Gools, Approaches, and Problems, London, 1976, pp. 84-7.

تدرجياً ليحل محلها نظام وظيفي هو أمعن في الرمزية والتجريد وإن كان أبسط في التركيب من سابقه، ويتشكل هذا النظام من ثلاث وظائف كبرى
Macrofunctions هي :

الوظيفة التصورية Ideational، والوظيفة التفاعلية Interpersonal، والوظيفة النصية Textual

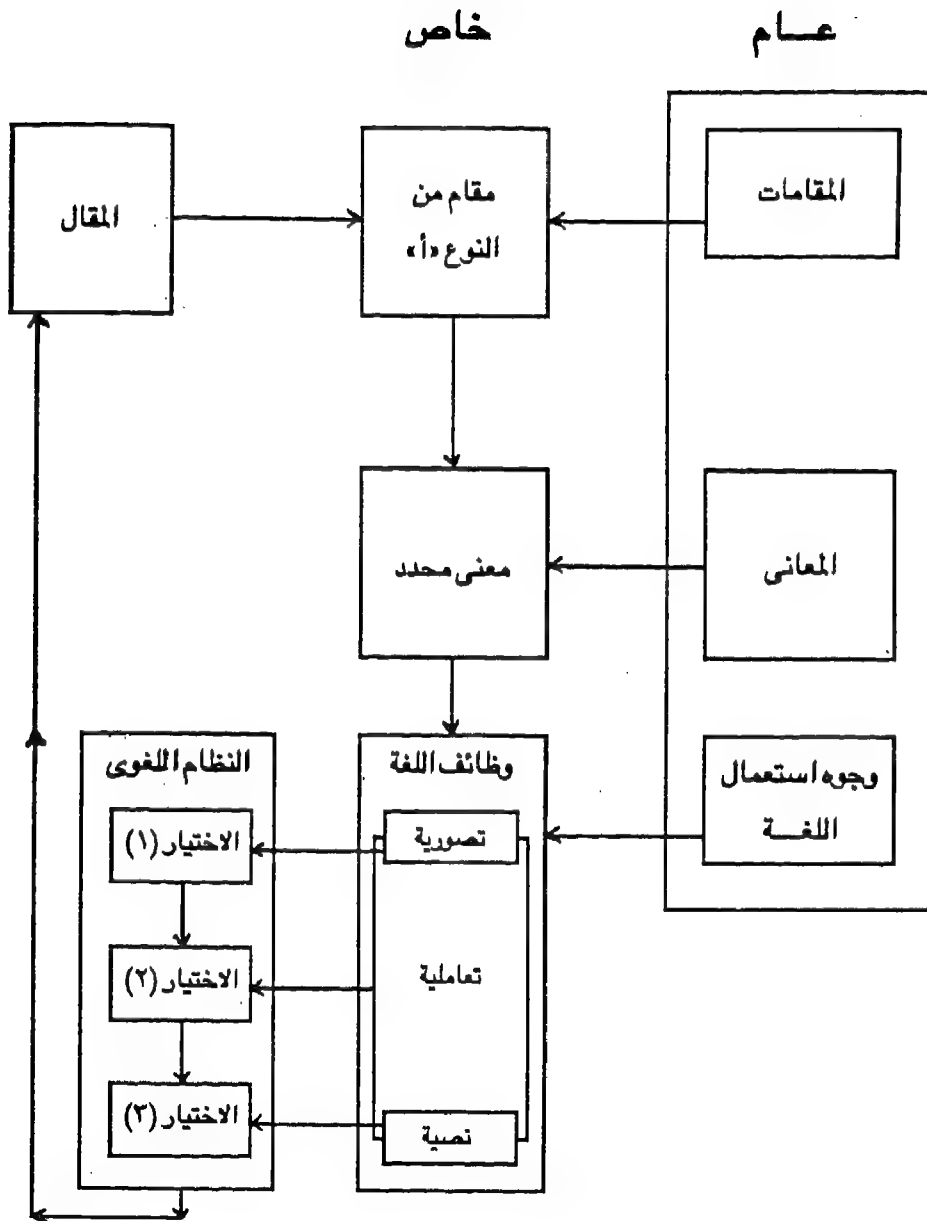
يتمثل جوهر «الوظيفة التصورية» في التعبير عن التجربة وما يتضمنه الموقف من تقويم للأحداث والأشخاص والأفكار، ومن جوانب عاطفية تأثيرية، ويؤخذ من ذلك أن هذه الوظيفة معنية بالتعبير عن التجربة تعبيراً يشمل العمليات التي تجري داخل نفس الإنسان وخارجها، أي يشمل الظواهر القائمة في العالم الخارجي وظواهر الوعي البشري، كما يشكل العلاقات المنطقية التي يمكن استنباطها من هذه الظواهر.

وتعتبر «الوظيفة التفاعلية» عن دور المتكلم في مقام الكلام، وما يلزم به نفسه من قيم وأعراف في تعامله مع الآخرين، وهذه الوظيفة من وظائف اللغة هي التي تعين على تأسيس العلاقات الاجتماعية وترسخها، وهي التي من خلالها تتحدد الفئات الاجتماعية وتتشكل وتقوى شخصية الفرد؛ إذ إن تمكنه من الاتصال بالآخرين والتعامل معهم يعينه على التعبير عن ذات نفسه وعلى تطويرها.

أما «الوظيفة النصية» فتختص ببناء الحدث اللغوي أي «المقال»، وذلك باختيار الجمل المناسبة للمقام، ولقوانين النحو، ولتنظيم المحتوى بطريقة منطقية مترابطة تتسق مع عملية الاتصال في مجموعها.

وتتكامل هذه الوظائف الثلاث الكبرى لتقوم، من خلال نظرية نحوية قائمة للغة معيَّنة بإقامة علاقات مفصلية بين «المكون الدلالي» من جهة، وكل من المكونين «الاجتماعي» و«اللغوي» من جهة أخرى، ويرى هاليداي أن «الدلالة» تمثل مستوى تركيبياً بسيطاً بين أوجه الاستعمال الاجتماعية للغة والأشكال اللغوية، أي أنه إذا غاب هذا العنصر الدلالي الحاسم فإن أي شكل لغوي يمكن أن يعبر به عن أي وجه من وجوه

استعمال اللغة، ومن ثم تكون الوظائف الكبرى للغة - كما سبق البيان - آلية تتحول به المعانى إلى «نظم نحوية» ثم فى نهاية الامر إلى «مبان نحوية» و«أحداث مقالية»، وفى الشكل التالى تمثيل للعلاقة بين العناصر المكونة لثلاثية التشكيل الأسلوبى المقام والمعنى والمقال :



ونحاول الآن أن نلتبس في الشكل السابق توضيحاً للكليات والعلاقات المتضمنة في عملية التشكيل الأسلوبى ، ولنبدأ قراءة الشكل من اليمين.

يبدأ الشكل في أقصى اليمين بما هو عام من مقامات ومعان واستعمالات في اللغة ، ويعتمد المتكلم أو المنشئ إلى هذا العام فيقوم بعزل عدد محدود من مجموع المقامات الممكنة «وقد اكتفى الرسم بالإشارة إلى مقام واحد منها على سبيل التمثيل، وأطلق عليه تسمية المقام «أ»، ثم يقوم باختيار ما يناسب المقام المختار من المعانى، وكذلك باختيار وجه واحد من وجوه الاستعمالات اللغوية الممكنة يناسب ما وقع عليه اختياره من مقام ومعنى، وبهذه الاختيارات الثلاثية تتحدد الوظائف اللغوية وصورها، ويدخل جميع ما وقع عليه اختيار المنشئ في دائرة ما هو «خاص» ثم إن كل وظيفة من الوظائف الثلاث تتطلب إجراء اختيارات معينة من مجموع النظام اللغوى للغة المعنية، ومن مجموع ذلك كله يتشكل المقال الذى يتم تشكيله وصياغته للتعبير عن مقام بعينه.

ونعود الآن إلى نموذج كريستال ودافى لننتعرف - من خلال استطلاع الشكل السابق - تلك العلاقة القائمة بينه وبين نموذج هاليداي وحينئذ سيتبين لنا أن نموذج كرسنال ودافى وما شاكلة يحتل في شكل هاليداي المربع الأول مما هو «عام» وأن إعمال محدداته في تشكيل مقام بعينه ومقال بعينه يحتل المربع الأول مما هو «خاص»، وأنه باستخدام كلا النموذجين تتكامل العناصر اللازمة لوصف عملية التشكيل الأسلوبى بعناصرها الثلاثة : المقام والمعنى والمقال.

بقيت كلمة أخيرة تتعلق بإعمال نموذج كريستال ودافى في تحديد المقامات فبعض أوصاف المقام قد تتلازم حيث يمكن بالنص على وجود أحدها حجب أوصاف أخرى بطريق التضمن، أو استبعاد أوصاف أخرى بطريق التناقض، أى أن بعض الأوصاف قد يتضمن - أو قد ينفي - بالضرورة أوصافاً أخرى، ويوجب هذا على الباحث أن يقوم بتنظيم محددات المقام بحيث يقتصر على المحددات الأساسية دون حشو وفصول، فلا يضيف إليها ما هو معلوم وجوده بالضرورة، أو ما هو معلوم غيابه

بالضرورة، هكذا يرتبط المقام بالمقال على نحو يتحدد فيه المقال بالمقام، ويستكشف فيه المقام من خلال المقال^(٢٨) ولعل حاجتنا إلى هذين الأمرين جد ملحة لا سيما عند الدراسة الدلالية والأسلوبية للنصوص المبنية في تراثنا القديم.

٢ - ٥ التشخيص الأسلوبى

فرق ما بين التشكيل الأسلوبى Stylization وهو ما سبق الحديث عنه - والتشخيص الأسلوبى Stylistic Diagnosis الذى هو موضوع هذا المطلب هو أن الأول عمل تركيبى يقوم به المنشئ، أما الثانى فنشاط تحليلى يقوم به الباحث، وهدف الأول إنتاج النص، أما هدف الثانى فهو الكشف عن الهوية الأسلوبية للنص، ومادة الأول هى المتغيرات الأسلوبية، أما مادة الثانى فالتصورات والإجراءات المنهجية، وكما يقوم التشكيل الأسلوبى على محاور الاختيار والتوزيع والشيوع فلا بد أن يقابل ذلك من جهة الباحث عمل يكشف به عن أجدر المتغيرات الأسلوبية بأن تكون خصائص أسلوبية ماثرة للنص، أى تلك التى يمكن أن توصف بأنها اختيارات للمنشئ، وعن درجات شيوع هذه الاختيارات وأنماط توزيعها.

وإذا كانت تقنيات المعالجة الإحصائية من الكفاءة بحيث تعين الباحث على الكشف عن درجات الشيوع وأنماط التوزيع فإن القطع باختيارات معينة للمنشئ أمر هو من الصعوبة بمكان، وثمة حالات نادرة - بالنسبة لأدباء العربية - يصرح فيها المنشئ باختياره قولاً أو كتابة، كما أن من الممكن فى حالات أخرى الاستدلال بمسودات النصوص التى أعمل فيها المنشئ قلمه بالاستبقاء والاستبعاد^(٢٩)، على أن الباحث فى غيبة مسودات النصوص - وهو الظرف الغالب - لا يمكنه أن يعثر على دليل

(٢٨) انظر نموذجاً لاستكشاف المقام من خلال المقال فى : Deborah Schiffin, Discovering the Context of an Utterance, Linguistics, Vol. 25, 1987, pp. 11-32.

(٢٩) انظر : مصطفى سوري : «الأسس النفسية للإبداع النفسى فى الشعر خاصة، القاهرة ط ٣، ١٩٦٩، ص ٢٥١-٢٧٧ - حسن عيسى الإبداع فى الفن والعلم، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٩م، ص ١٢٨-١٣٢.

مباشر يحدد الخصائص المستبعدة، علماً بأن الاستبعاد له في ميزان التشخيص الأسلوبى ما للإستبقاء من أهمية، وإذن فليس أمام الباحث إلا طريق افتراض الفروض واختبارها على ما سيأتى بيانه.

ويهدف التشخيص الأسلوبى الإحصائى إلى تحقيق غايات ثلاث تتدرج هرمياً على النحو التالى :

(١) الوصف الإحصائى الأسلوبى للنص بهدف الكشف عن الخصائص الأسلوبية المائززة فيه.

(٢) التحليل الإحصائى للنص.

(٣) الحكم التقويمى، أو ما يمكن الإصطلاح على تسميته «نوعت الأسلوب».

وترجع خاصية التدرج والهرمية بين هذه الغايات إلى أن الوصف أساس لا غنى عنه فى التحليل، وأن كليهما أساس لا غنى عنه فى الحكم والتقويم، ولدارس الأسلوب دراسة إحصائية أن يستبعد الغاية التقويمية بالكلية وأن يقنع فى عمله بالوصف والتحليل، إما لأن الحكم والتقويم خارجان عن مهمة البحث «كما فى البحوث الهادفة إلى الكشف عن المؤلف المجهول»^(٤٠)، أو ترجيح نسبة نص ما إلى منشئ بعينه من بين عدد من الاحتمالات البديلة، وإما لأن الوصف والتحليل قد لا يؤدىان إلى حكم تقويمى يطمئن الباحث إليه، ويحصل من ذلك أن الغايتين الأولىين متلازمتان غالباً، أما الغاية الثالثة فغير لازمة على وجه الضرورة. بيد أن الأبحاث التى تتغيا تمييز نوعت الأساليب لا منووحة لها من التوغل فى مجال الحكم التقويمى شريطة أن تسلم مقدمات الوصف والتحليل إلى حكم موضوعى منوط بأوصاف ظاهرة منضبطة.

وتتنظم إجراءات التشخيص الأسلوبى فى مراحل ثلاث :

(٤٠) انظر : سعد مصلوح : تحقيق نسبة النص إلى المؤلف : دراسة أسلوبية إحصائية فى الثابت والمنسوب من شعر شوقى، المبحث الثالث من هذا الكتاب.

الأولى : مرحلة الفرض وفيها يحدد الباحث المتغيرات الأسلوبية التي يرجح مسئوليتها عن التميز الأسلوبى للنص المدروس اعتماداً على خبرته واطلاعه على ما سبق من دراسات، أو على وضع استجابات عدد من المتلقين موضع الاختبار.

الثانية : مرحلة اختبار الفروض، وتقوم على معالجة النص المدروس إحصائياً بهدف إثبات صحة الفروض أو بطلانها، وتشتمل هذه المرحلة على جانبين : أولهما جانب الوصف الإحصائى، والثانى جانب التحليل الإحصائى وسنخصص هذه المرحلة ببيان فيه شىء من التفصيل، إذ هى الغاية الأساسية من هذا البحث.

الثالثة : مرحلة الاستنتاج، وهى الثمرة المرجوة من وضع الفروض واختبارها.

٢ - ٦ المعالجة الأسلوبية الإحصائية للنصوص

أشرنا فى غير هذا البحث إلى أن كثيراً من الدراسات والرسائل الجامعية التى اعتمدت الوسيلة الإحصائية لمعالجة النصوص، ولا سيما نصوص الأدب لم تأخذ من الإحصاء إلا وظيفته البدائية الأولى، ونعنى بها وظيفة العد أو الحصر Counting^(٤١) وهذه الوظيفة - وإن كانت من أساسيات العمل الإحصائى - ليست إحصاء Statistics بالمفهوم العلمى المنتج، فلقد تجاوزت وظيفة الإحصاء علمية الحصر والعد الإجمالى للمفردات وأقسام الكلام وأنواع الجمل وغير ذلك، لتعطى مزيداً من البيانات القابلة للتوظيف فى مجال الكشف عن أدق خواص النص على المستويات التحليلية المختلفة كافة، ليست الغاية إذن هى الحصول على أرقام مطلقة عارية من الدلالة، ولكنها الوصول إلى الأرقام والبيانات النسبية القادرة على إنتاج مقارنات دالة.

وإذا كانت مرحلة اختبار الفروض هى المرحلة التى يتجلى فيها دور المعالجة الإحصائية للنصوص فإن ذلك لا ينبغى أن يحجب عنا حقيقة هامة، وهى أن التدخل

(٤١) سعد مصلوح : «الأسلوب»، فاتحة الكتاب ص ٢١-٢٢، وأيضاً : مختار محمود الهانسى : مقدمة فى طرق الإحصاء الاجتماعى، الإسكندرية، بنون تاريخ ص ٤-٤.

الإحصائي يبدأ مع مرحلة وضع الفروض وربما قبلها، إننا في الدرس الإحصائي أمام أحد خيارين : فإما أن نخضع للفحص مادة تمثل مجتمعاً إحصائياً كاملاً Statistical Population، كديوان شعر، أو عمل أدبي برمته، أو مدونة كاملة، Corpus وإما أن نستقنى عن ذلك - مختارين أو مجبرين - باختيار عينات Samples يشترط بها أن تكون جيدة التمثيل للمجتمع الإحصائي المطلوب دراسته، واختيار العينات - وهو الطرف السائد - مطلب له ضوابطه وقواعده في مبحث العينات والاحتمالات؛ حيث تتحدد خصائص العينة وحجمها بالنسبة للمدونة أو المجتمع الإحصائي، ومن هنا فإن الإحصاء يبدأ غالباً قبل مرحلة الوصف والتحليل، ومن هنا فإن الإحصاء يبدأ غالباً قبل مرحلة الوصف والتحليل، أى عند اختيار العينات المدروسة، وعلى الذى تلجئه ظروف بحثه إلى اصطناع المعالجة الإحصائية وليس له بها سابق خبرة كافية - أن يناقش مع بعض المتخصصين في الإحصاء مسألتين مبدئيتين :

أولاهما : تحديد نوع العينة وحجمها، فالحل العلمى الدقيق لهذه المسألة يوفر على الباحث وقتاً طويلاً وجهداً مضيعاً قد يضيعهما بلا جدوى، كما يستتقذ الباحث من متاهات أخرى به أن يتجنبها من أول الطريق .

والأخرى : هى اختيار أساليب المعالجة الإحصائية المناسبة لاختيار فروضه ولنوع العينة وحجمها .

ويتصل بما سبق أوهام تشيع فى بعض الدراسات الإنسانية التى تستخدم المعالجة الإحصائية منها ما سبق أن ذكرنا من الخلط البين بين العد والإحصاء، ومنها الاعتقاد بأن الخطأ فى اختيار نوع العينة الجيدة للتمثيل يعوضه زيادة حجم العينة، والحق أن الأمر على التقيض تماماً.

فزيادة حجم العينة إذا بنى على خطأ فى اختيار نوعها يزيد من فرص فساد النتائج، ومنها : الاعتقاد بأن هذا النوع من الدراسات إنما يتفاضل بحسب ما تمتاز به الطرق الإحصائية المختارة من دقة، والحق أن مقياس التفاضل هو موافقة الطرق

المستخدمة لطبيعة البيانات العددية الخاضعة للمعالجة^(٤٢).

وليس ينتظر من مثل هذا البحث تقديم تعريف مفصل بالطرق الإحصائية الممكن استخدامها في دراسة الأسلوب، فمكان ذلك هو متون الإحصاء لكن ذلك لا يعنى من محاولة لإضاعة هذه الطرق على نحو يزيل الوحشة القائمة بين كثير من النقاد واللسانيين وهذا الأسلوب المنضبط في معالجة النصوص.

وما دام مفهوم الدرس الإحصائي للأسلوب يتضمن بالضرورة مفهوم المقارنة، بين أكثر من متغير أسلوبى في نص واحد أو بين متغير واحد في أكثر من نص، أو بين أكثر من متغير في أكثر من نص - فإن هذا المفهوم يستدعى طرقات إحصائية معينة تفيد في تحقيق التشخيص الأسلوبى سواء على مستوى وصف النص أو على مستوى تحليله.

نبدأ الآن أولاً بتحديد لأهم الطرق الإحصائية المستخدمة في الوصف، ثم نثنى بما يستخدم منها في التحليل أو «الاستدلال» الإحصائي، وتشمل طرق الوصف إمكانات كثيرة أهمها وأكثرها شيوعاً في الإحصاء الأسلوبى واللغوى ما يلى :

أولاً : مقاييس الوصف الإحصائي :

(١) قياس كثافة المتغير الأسلوبى Density

ومثاله قياس كثافة نوع معين من أنواع الجمل، «الاسمى / الفعلى / البسيط المركب / المعقد / الإنشائى / الخبرى»، ويتحقق بقسمة عدد الجمل من النوع المراد قياسه على المجموع الكلى لعدد الجمل المكونة النص^(٤٣). ومن ذلك في العربية قياس

(٤٢) فؤاد البهى السيد : علم النفس الإحصائى، دار الفكر العربى، القاهرة ط ٣ ، ١٩٧٩ ، ص ٦٤.
(٤٣) انظر : Curtis W. Hayes, A study in Prose Style Edward Gibbon and Ernst Hem-
ingway in Statistics and Stylistics ed. L. Dolezel and R.W. Bailly. New York,
1969, pp. 80-81.

كثافة المجاز Density of Metaphor بقسمة عدد المركبات المجازية على العدد الكلى للمركبات اللفظية المجازية وغير المجازية Collocations فى النص. ^(٤٤)

(٢) قياس النسبة بين متغيرين أسلوبيين Ratio

وذلك بقسمة تكرارات أحدهما على تكرارات الآخر. ومن ذلك قياس نسبة الأفعال إلى الصفات «معامل بوزيمان» ^(٤٥)، أو نسبة الجمل البسيطة إلى المركبة، أو نسبة المركبات المجازية إلى الحقيقة.

(٣) قياس النزعة المركزية للمتغيرات Central Tendencies

وبيان ذلك أن تمييز نص أو منشئ ما باستخدام جمل طويلة مثلاً لا يعنى انعدام الجمل القصيرة، بل كل ما يعنيه أن ثمة نزعة مركزية غالبية إلى استخدام الجمل الطويلة مع وجود إمكان محتمل لورود الجمل القصيرة بتكرارات أقل وهكذا الأمر فى رصد الخواص الأسلوبية الأخرى، وأهم مقاييس النزعة المركزية، الوسط الحسابى Arithmetic mean، والوسيط Median، والمنوال، Mode والوسط الهندسى Geometrical Mean ^(٤٦).

(٤) قياس تشتت بيانات المتغيرات Dispersion

حين تتفق النصوص فى نزعة مركزية واحدة فإن ثمة احتمالات لإمكان التمييز بينها باستخدام مقاييس التشتت، أى قياس الدرجة التى تتجه بها البيانات الرقمية للإنتشار حول قيمة وسطى. ومن أهم مقاييس التشتت : المدى Range، والتباين Variance، والانحراف المعيارى Standard Deviation ^(٤٧).

(٤٤) انظر : سعد مصلوح المبحث الثالث من هذا الكتاب فى التشخيص الأسلوبى الإحصائى

للاستعارة : دراسة فى نواوين البارودى وشوقى والشابى.

(٤٥) سعد مصلوح : «الأسلوب»، ص ٦١-٦٢.

(٤٦) المرجع السابق، ف ٣-٤.

(٤٧) F. Anshen, Op. Cit, pp. 17-18.

(٥) قياس التوزيع الاحتمالي للمتغيرات Probabilistic Distribution

ويقصد به قياس تكرارات متغير أسلوبى ما «ولیکن المتغير «أ» بوصفه واحداً من أبدال متاحة» ولتكن أ، ب، ج ... ن» فى ارتباطه بمقام معين، وسيأتى مناقشة النموذج الرياضى الذى يمكن الاحتكام إليه فى وصف الأسلوب عند تعدد الاحتمالات.

(٦) قياس معامل الارتباط بين المتغيرات

ومثاله قياس ارتباط الحوٲ بين متغيرين أسلوبيين «كالارتباط بين طول الجملة والبساطة أو التركيب فيها»، أو بين متغيرات أسلوبية معينة ومتغيرات المقام «كالارتباط بين طول الجملة واختلاف الوسط الناقل Media، أو بينه وبين اختلاف شكل النص» بين البرقية والرسالة البريدية»، أو بين المتغيرات الأسلوبية والأحكام النقدية التقويمية «كالارتباط بين طول الجملة أو تنوع المفردات والحكم بصعوبة الأسلوب»^(٤٨).

ثانياً : طرق الاستدلال الإحصائى :

بيننا - فيما سلف - أهم طرق الوصف الإحصائى وأكثرها شيوعاً فى الدراسة الإحصائية للأسلوب، وقد يكون الوصف كافياً بذاته ليشكل أساساً مقنعاً لاختيار المتغير الأسلوبى أو العلاقة بين المتغيرات، وتحديد أهميتها فى التشخيص الأسلوبى لنص ما ، إما بالاعتراف بها سمة مائزة للنص، وإما باستبعاده واعتباره من السمات الفائضة Redundant Features. وأمثلة الحالات التى يكتفى فيها بالوصف الإحصائى هى تلك التى يجرى فيها الوصف على المجتمع الإحصائى، أما عند اللجوء إلى فحص عينات من المجتمع الإحصائى فقد تنشأ الحاجة إلى استجلاء الدلالة الإحصائية للبيانات المستخرجة من العينات بغية استنتاج المميزات الرئيسة للأصل «أو المجتمع الإحصائى»

(٤٨) استخدام ل : دوايجيل معامل الارتباط فى التشخيص الأسلوبى للعلاقة بين طول الجملة وطول الكلمة فى نصوص اللغة التشيكية، وقد ثبت وجود معامل ارتباط عال بينها إلا فى الشعر. انظر : L. dolezel, A Framework of Statistical Analysis of Style, in Statitics and Stylistics, Op. Cit, pp. 19-20.

وحينئذ ينحو الباحث «نحو التعميم العلمى للظاهرة التى يبحثها، ويهدف إلى استنتاج خواصها الإحصائية فى صورتها العامة.

ولذا يسمى هذا النحو الاستدلال الإحصائى، لأنه يستدل على الخواص الإحصائية للأصل من الخواص الإحصائية لإحدى عيناته أو بعضها، أى أنه يستنبط صفات الكل من الجزء أو الأجزاء التى تنطوى تحت إطاره. والمشكلة لا تقف عند هذا الحد، بل تمتد فى جوهرها إلى الكشف عن مدى صحة ذلك الاستنتاج ودلالته الإحصائية فنستطيع أن ندرك مدى ثقفتنا فى تعميم نتائج الأبحاث المختلفة التى نقوم بإجرائها»^(٤٩).

وجدير بالذكر هنا أن بعض ما سلف بيانه من طرق الوصف الإحصائى صالح للاستخدام فى مجال الاستدلال الإحصائى. ومن أهمها قياس التباين والانحراف المعيارى ومعامل الارتباط. وبقي أن نعرض إلى مقياس يعتمد عليه اعتماداً كبيراً فى اختيار الدلالة الإحصائية أسلوبياً ولغوياً وهو مقياس كاي^٢.

(١) مقياس كاي^٢ : Chi-Square (٥٠)

مقياس كاي^٢ هو من مقاييس التوزيعات الحرة التى لا تعتمد على شكل التوزيع التكرارى، ويكثر استخدامه فى البحوث الأسلوبية واللغوية الإحصائية لاختبار دلالة التكرارات على المستوى الفونيمى، وإن كانت إمكانات استخدامه أوسع من ذلك بكثير. وتقوم فكرة المقياس على اختبار دلالة الارتباط بين ظاهرة ما والبيانات العددية المتعلقة بتوزيعها. «مثال ذلك : الارتباط بين جنس المتكلم ذكراً أو أنثى واشتمال الكلام على ظواهر صوتية أو تركيبية وأسلوبية معينة».

(٤٩) فؤاد البهى السيد : المرجع السابق ذكره ، ص ٤١٢-٤١٣.

(٥٠) انظر : F. Anshen, Op. Cit, pp. 23-25. ومن تطبيقاته فى العربية انظر : أحمد طلعت سليمان : علاقة الهمس والجهر بالمعانى فى المضادات العربية : دراسة إحصائية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، مج ٩ ، ع ٣٤ ، ربيع ١٩٨٩م. ص ٢٦.

ونحن - فى هذه المسألة بين فرضين : إما أن الارتباط بين جنس المتكلم وهذه الظواهر هو ارتباط منعدم ويسمى هذا الفرض : فرض العدم أو الفرض الصفري Null Hypothesis ، وإما أن يكون ثمة ارتباط دال بين الأمرين. ويقوم المقياس باختبار فرض العدم. وينشأ عن رفض فرض العدم قبول الفرض البديل «أى إثبات وجود العلاقة»، كما أن عكس ذلك أيضاً صحيح ويتم الاختبار بإدخال التوزيع الفعلى «أو التوزيع المشاهد» للظواهر مع التوزيع المتوقع، ثم تربيع ناتج الطرح وقسمته على الرقم المتوقع. ويتم هذه العملية بالنسبة لكل خانة من خانات الجدول، ثم نقوم بإيجاد المجموع الكلى لنواتج هذه العملية فى جميع خانات الجدول.

وتقدم لنا المعادلة السابقة طريقة حساب مقياس كاي^٢. أما حساب دلالة المقياس «أى حساب المستوى الذى يمكن عنده رفض فرض العدم» فيلزم له حساب درجة الحرية Degree of Freedom . «وهى حاصل ضرب عدد الصفوف الأفقية فى جدول التوزيع المعنى باستثناء الصف الخاص بالمجموع الكلى مطروحاً منه واحد صحيح \times عدد الأعمدة الرأسية للجدول باستثناء عمود المجموع الكلى مطروحاً منه واحد صحيح. وثمة جداول إحصائية جاهزة تحدد المستوى الذى يمكن عنده رفض فرض العدم «أى إثبات العلاقة» مع كل درجة من درجات الحرية.

(٢) مقياس النسبة الحرجة Z-score^(٥١)

يفيد هذا المقياس فى إجراء حساب مباشر لدلالة فرق المتوسطات، أى لتحديد ما إذا كان الفرق بين متوسطى مجموعتين من القيم كافياً لاعتباره دالاً من الوجهة الإحصائية أم لا . ويتطلب هذا المقياس معرفة ما يأتى :

(٥١) انظر : F. Anshen, Op. Cit. pp. 25-26 - سعد جلال : «المقياس النفسى : المقاييس والاختبارات، دار الفكر العربى. ١٩٨٥ ص ٣٢٨-٣٣١.

(أ) متوسط القيم في المجموعتين المعنيتين.

(ب) عدد المشاهدات في كل مجموعة.

(ج) حساب درجة التباين Variance لكل مجموعة «مربع الانحراف المعياري».

أما المعادلة الخاصة به فتكون بإيجاد : الفرق بين متوسطي قيم المجموعتين ثم قسمته على الجذر التربيعي لحاصل جمع «درجة تباين المجموعة الأولى مقسوماً على عدد المشاهدات الخاصة بها + درجة تباين المجموعة الثانية مقسوماً على عدد المشاهدات الخاصة بها».

تلكم هي أهم الطرق الإحصائية المعتبرة عند اللسانيين والأسلوبيين في معالجة النصوص اللغوية. وننتقل الآن إلى التعريف بمفهوم النموذج الرياضي في التشخيص الأسلوبى وأنواعه.

٢ - ٧ النماذج الرياضية للتشخيص الأسلوبى :

يكثر ظهور المعادلات الرياضية في الدراسات الإحصائية للأسلوب، مما يشكل حاجزاً نفسياً بين كثير من المهتمين بأمر النص اللغوى - والأدبى خاصة - وهذا النوع من الدرس العلمى، وربما كان للكلفة فى ذلك دخل كبير. وقد أمحضت هذه الفقرة لمناقشة فكرة النماذج الرياضية المستخدمة فى التشخيص الأسلوبى Mathematical Models وأنواعها، وكيفيات استخدامها فى فحص الأساليب.

يقصد بالنموذج الرياضى الصياغة التجريدية للعلاقة القائمة بين المتغيرات الأسلوبية على النحو الذى تشكل به خاصية أسلوبية مايزة.

بذلك يكون النموذج الرياضى صياغة للمقياس وينشأ مما سبق توقع اختلاف النماذج الرياضية الأسلوبية بحسب حظها من التجريد أو البساطة، فأبسط النماذج هو ما كان خاصاً بالكشف عن خاصية أسلوبية واحدة. أما حين يضبط النموذج العلاقة بين

أكثر من خاصية أسلوبية فمن المتوقع أن تكون المعادلة أشد تركيباً حتى إذا افترضنا وحدة المقام. أما إذا اختلف مواصفات المقام، واختلفت، تبعاً لذلك، عدد الخصائص المفحوصة وعلاقتها بعضها ببعض من جهة وعلاقتها بالمقام من جهة أخرى، فحينئذ يكون علي النموذج أن يخطو في سلم التركيب درجة أعلى من سابقه.

وتتنوع النماذج الرياضية المستخدمة في فحص الأسلوب باعتبار آخر، ونعني به تعدد فروع الرياضيات نفسها. وقد حددها هـ. ب. إدموندسون H. P. Edmundson فسلها في نوعين رئيسيين هما : النماذج التقريرية Deterministic Models، والنماذج الاختيارية Stochastic Models . وتشمل النماذج التقريرية بحسب تصنيف إدموندسون : (٥٢).

(١) النماذج الهندسية Geometric Models وتمثلها بحوث هيردان Herdan (٥٣).

(٢) النماذج التحليلية Analytic Models وتمثلها بحوث زيف Zipf (٥٤).

(٣) النماذج المنطقية Logical Models ومن دعائها لويس ميليك Louis Milic (٥٥).

(٥٢) D.R. Tallentire, Mathematical Modelling in Stylistics : Its Extent and general Limitations, in Computer in Literary and Linguistic Research, ed. R.A. Wisbey, Univ. of Cambridge, 1971, p. 118.

(٥٣) ينتمي المنظور الذي يقترحه هيردان إلى الهندسة الإسقاطية Projective Geometry وهي فرع من فروع الهندسة التي جاءت لتخرج الهندسة الإقليدية من المجال الذي حصرت نفسها فيه، وهو دراسة السطوح المستوية إلى دراسة الأشياء في أبعادها الثلاثة الصارمة : الطول والارتفاع والعرض، وهو ما يعرف بهندسة الجسومات، ويرى هيردان أن الثنائية الهندسية المتمثلة في «النقطة» و«الخط» يمكن ربطها على الترتيب بثنائية «النمط» و«التحقق» Type/token في دراسة اللغة، أما تالنتير فيرى أن النموذج الهندسي يبدو أقل النماذج الرياضية اتصالاً بالأسلوبيات. انظر : D.R. Tallentire, Op. Cit. pp. 120-121 وانظر تطبيقاً لهذه الثنائية الرياضية في دراستنا التي تضمناها المبحث الثاني من هذا الكتاب.

(٥٤) عن جهود زيف في اللسانيات الرياضية انظر : Milka Ivic, Op. Cit, pp. 217-218.

(٥٥) يتحقق النموذج المنطقي - كما يتصوره لويس ميليك بإجراء عملية اختصار افتراضية =

(٤) النماذج الجبرية Algebraic Models ومنها دراسات هايس Hayes (٥٦).

أما النماذج الاختيارية فتشمل :

(١) النماذج الاحتمالية Probabilistic Modes .

(٢) النماذج الإحصائية Staistic Models .

ويمثل هذين الاتجاهين أودنى يول O. Yule ولويوموار دوليجيل L. Dolezel .

ويرى د. د. تالنتير D. D. Tallentire أنه لا بأس باتخاذ هذا التصنيف أساساً للنظر، بيد أنه أورد عليه ملحظين :

أولهما : «أن هذه الأنواع ليست منقطعة الصلة بعضها ببعض كما يوحي بذلك الرسم التوضيحي الذي قدمه إدموندسون، فالمنطق والتحليل أساسيان لنماذج الاحتمالات والنماذج الإحصائية، كما أن هذين النوعين هما فرع واحد من فروع الرياضيات».

والملاحظ الثاني فحواه أن كل فرع من الفروع الستة يمد الدراسات الأسلوبية بنموذج محدد، وهذا لا ينفي إمكان استخدام توليفات من هذه النماذج الأساسية في دراسة المشكلة الواحد وقد أنجزت دراسات ناجحة باستخدام توليف من هذه النماذج (٥٧).

== للجملة يتوصل به الباحث إلى أبسط صيغة تكون عارية من كل ما يمكن أن يعد حلية أسلوبية، ثم تجرى مقارنة هذه الصورة المبسطة بالجميل الواردة فعلاً في النص، وبذا تكون الصورة المبسطة بنية افتراضية أعيدت صياغتها صياغة منطقية وتسمى بالجملة النواة Kernal Sentence أو جملة ما قبل التأسلب Pre-stylized وانظر لمزيد من التفصيل : سعد مصلوح : «الأسلوب» ، ص ٢٨-٢٩.

(٥٦) من أوضح الدراسات دلالة على اتجاه هايس دراسته للأساليب الثرية عند جيبون وهمنجواي ، (انظر حاشية رقم ٤٣).

(٥٧) D.R. : tallentire, Op. Cit. p. 119.

وتتفاوت النماذج التقريرية بأنواعها المختلفة : الهندسية والتحليلية والمنطقية والجبرية فى قدرتها على استيعاب العلاقات فى التشخيص الأسلوبى، فأقلها عطاء وشيوعاً النموذجان الهندسى والتحليلى وكذلك المنطقى والجبرى، فهما - بهذا الترتيب - أكثرها شيوعاً ويستفاد مما سبق أمور :

أولها : أن مفهوم النموذج الرياضى فى التشخيص الأسلوبى أعم من مفهوم النموذج الإحصائى الاحتمالى، أو أن التشخيص الإحصائى الاحتمالى هو واحد من عدة نماذج رياضية ممكنة التطبيق فى مجال التشخيص الأسلوبى. «ولاحظ هنا أننا عدنا النموذجين الإحصائى والاحتمالى بحسب تصنيف إدموندسون نموذجاً واحداً».

ثانيها : أن موضوع هذا البحث يوجب علينا أن نصرف اهتمامنا الأصيل إلى معالجة النموذج الرياضى الاختيارى، أما النماذج الرياضية التقريرية فمجالها هو دراسة التشخيص الأسلوبى بإطلاق وليس خصوص التشخيص الأسلوبى الإحصائى.

ثالثها : أن الملحظ السابق - وإن كان صحيحاً بوجه عام - يرد عليه استثناء فيما يتصل بالنموذج الجبرى، لأسباب : منها قدرته على حصر التنوعات اللغوية التى تشكل قائمة الاختيار، أو تجدد مجال الاحتمالات التى يمكن تصنيفها إلى «تعبير - نمط» و«تنوعات انحراف». كما أن ثمة صلة نحوية بين النموذج الجبرى والأنحاء الجبرية، ولا سيما النحو التوليدى التحويلى. وسترى حين نعرض لمشروع دوليجيل فى التشخيص الأسلوبى الإحصائى احتفاءه الشديد بمقولات النحو التحويلى، وإيمانه بقدرتها على تزويد النظرية الأسلوبية الإحصائية بما يمكنها من أداء مهمتها على الوجه المأمول. لذلك كان من المفيد - فيما نرى - أن نعرض بشيء من التفصيل للنموذج الرياضى الجبرى من بين النماذج الحتمية ويتفصيل أشد للنموذج الإحصائى الاحتمالى إذ هو المقصود بالأصالة.

أولاً النموذج الجبرى :

الأنحاء الجبرية - ومن بينها الطراز التوليدي التحويلي - وثيقة الصلة بالرياضيات من جهة، وبالمنطق من جهة أخرى، إذ أن قوامه هو استخدام نماذج شكلية «أوصورية» فى اللسانيات النظرية وفى الوصف التحليلي لتراكيب اللغة، وعلى الرغم من أن استخدام الصياغة الشكلية ينحى غالباً قضية التنوعات الراجعة إلى تمايز الأفراد واختلاف المقامات - فقد أثبت النحو التوليدي قدرة على استيعاب التنوعات من خلال استخدامه لمقولاتي التوليد والتحويل. وترجع أهميته فى هذا المجال إلى اهتمامه بالمستوى التركيبى (أى مستوى النظم) Syntactic Level ، وهو مستوى يحظى بعناية الأسلوبيين الذين يقدمون الإشارات التركيبية على الخيارات المعجمية فى تشخيص الأساليب. وقد وجد هؤلاء ضالتهم فى كثير من مقولات التحويليين مثل مقولة الكفاءة والأداء Competence / Performance ، ومقولة البنية الباطنة والبنية الظاهرة -Deep Surface Structure بالإضافة إلى الإجراء التحليلي المتمثل فى قواعد التحويل Transformational Rules . وكان فى ذلك عون لهم على تمييز الفروق بين الأساليب بطريقة علمية منضبطة.

ولقد دفعت الحاجة إلى تطوير قواعد التحويل للدرس الأسلوبى بعض العلماء مثل وليام لافوف W. Labov إلى القول بوجود التمييز بين نوعين من القواعد أولهما القواعد الملزمة «أو ما نؤثر تسميته قواعد الوجوب Categorical Rules» ، والقواعد الاختيارية «ونسُميها قواعد الجواز» Optional Rules ورأى أن الحاجة ماسة إلى نوع من التحليل النحوى تعمل فيه القواعد فى نسبة مئوية معينة من الحالات وتختلف عن العمل فى الحالات الباقية. ويلحظ إنكفيست Enkvist أن اقتراح لافوف قد اطلع الباحثن على مثال للكيفية التى يمكن بها تزويد النحو التحويلي بقواعد تقيس الاحتمالات قياساً كمياً. وما هوذا تلخيص للمعادلة الرياضية الإحصائية التى اقترحها لافوف.

يبدأ لابوف فيلاحظ أن القواعد السائدة في النحو التحويلي تتخذ صيغة عامة هي

$$. x \text{ ————— } Y / A \text{ — } B$$

وتفسير ذلك أنه حيثما ترد x في الوسط $A \text{ — } B$ فإن كتابتها تعاد لتصبح Y ولا تعمل القاعدة إلا إذا توافر هذا الشرط وتسمى مثل هذه القواعد بتعليمات الوجوب Categorical Instructions بيد أننا إذا أدخلنا في التحليل قواعد جوازية Optional Rules - على نحو ما فعل تشومسكى في تصوره الأول الذي نشره عام ١٩٥٧ - أمكننا أن نتجنب الوقوع في تلك المشكلة العويصة، مشكلة تحديد ظروف الإعمال والإهمال بالنسبة للقاعدة، ويرى لابوف أن الحل الأمثل هو إدخال قواعد للتنوع Varia-ble Rules تتضمن كمية محددة يرمز إليها بالرمز cP وتشير هذه الكمية إلى التمثيل النسبي للحالات التي تنطبق عليها القاعدة، بحيث تكون هذه الحالات جزءاً من تركيب القاعدة نفسها. وهذا التمثيل النسبي للحالات التي تنطبق عليها القاعدة بالفعل بالنسبة إلى المجموع الكلى للجمل أو أحداث الكلام التي يمكن أن تنطبق عليها القاعدة بالشروط التي حددتها للوسط، إذا افترضنا أنها من القواعد الوجوبية.

وتتدرج قيمة K_0 في قواعد التنوع بين الصفر والواحد الصحيح. أما في قواعد الوجوب فليس لها إلا قيمة ثابتة هي الواحد الصحيح، وتأخذ قاعدة التنوع الاحتمالى شكل المعادلة الآتي : $cP . 1 - K_0$

حيث تمثل K_0 المدخلات المتغيرة التي تتضمنها المعادلة، تلك التي ترسم حدود تطبيقها، وكلما زادت قيمة K_0 ضاق مجال العمل بالنسبة للقاعدة، أو - بعبارة أخرى - قلت نسبة الحالات التي تنطبق عليها القاعدة. وحين تتعدد عوامل المدخلات يتعدد الرمز المقابل لها في المعادلة على هذا النحو :

$$K_0 - XK_1 - Bk_2 \dots . VK_n$$

وتمثل $K_0 \dots K_n$ ثوابت يجرى تحديدها بالاختبار الامبريقي أما

الرمزان $X - V$ فيمثلان أوزان هذه العوامل.

وقد صممت المعادلة بحيث إذا اشتملت بعض تفرعات الجمل المدروسة على أحد الثوابت الموجبة أدى ذلك إلى نقص قيمة K_0 وهكذا يتسع مجال تطبيق القاعدة بتناقص قيود تطبيقها وزيادة قيمة K .

وحيث تعطى الثوابت المختلفة قيماً تتحدد في ضوء اختبار المادة ودراستها ينبغي ترتيب الثوابت في تسلسل هرمي. ويقوم معيار الترتيب على أساس البدء بالقيود «أى العامل الثابت» الذى يحوز الوزن الأكبر، ثم الذى يليه .. وهكذا وخلاصة القول أن استخدام النماذج الجبرية التى تمدنا بها قواعد التحويل يمكن أن تتم بطريقتين تختلفان بساطة وتركيباً، فى الأولى يجرى إحصاء تكرارات استخدام المنشئ لقاعدة معينة أو المجموعة من القواعد. ومن المتوقع أن يتفاوت المنشئون فى إثارة قواعد معينة على غيرها، مما يشكل سمة أسلوبية نحوية يمكن اعتمادها فى المقاربة الأسلوبية، أما الطريقة الثانية فهى مركبة نسبياً، إذ تقوم على تزويد النحو نفسه بنوع من قواعد التنوع يختلف عن قواعد الوجوب والجواز فى النحو التحويلي التقليدى.

ثانياً : النموذج الإحصائى الاحتمالى :

هذا النوع من النماذج الرياضية هو أقدرها على تقديم النموذج الموفق الذى يمكن الباحث من التعبير الصورى عن تميز الأساليب باعتباريات مختلفة. وتكاد ترقى هذه المقولة إلى أن تكون موضوع اتفاق بين أكثر الدارسين لظاهرة الأسلوب، إذ هو أكثر النماذج انسجاماً مع طبيعة هذه الظاهرة. ولعل فيما سلف من حديث عن الأساس النظرى للإحصاء الأسلوبى ومفاهيم الأسلوب ما يعزز صحة هذا الرأى ويثبت صوابه.

وحيث تذكر النماذج الإحصائية الاحتمالية فى الدرس الأسلوبى تبرز جهود عالين من أعلام هذا الاتجاه هما أودنى يول ولويو موار بوليجيل. وقد صاغ أولهما واحداً من أهم المقاييس وأكثرها حساسية فى مجال تمييز البصمة الأسلوبية، وهو ما أصبح

يعرف بخاصية يول Yule's Characteristic^(٥٨). أما ثاني الرجلين فكان من بين جهودهم دراسة مفصلة أرادها أن تكون «إطار عمل للتحليل الإحصائي الأسلوبى» A Framework for Staistical Analysis of Style وقد توافرت لهذه الدراسة ميزة الدقة والشمول على نحو يجعل منها مشروعاً بحثياً يمكن - فى حالة استيعابه - أن يكون منطلقاً للبحث فى كافة مجالات الإحصاء الأسلوبى، ولتناقشة ما يثيره من قضايا ومشكلات. وفيما يلي عرض لمشروع دويجيل حاولنا أن نستوفى فيه الدقة والتبسيط فى أن معاً.

٢ - ٨ إطار عمل للتحليل الإحصائي الأسلوبى «مشروع دويجيل»^(٥٩)

٢ - ٨ - ١ الأسلوب مفهوم احتمالى

تقوم النظرية الإحصائية للأسلوب - عند دويجيل - على أساس مقولة بسيطة هى أن «الأسلوب مفهوم احتمالى». ويمتاز المفهوم الاحتمالى بسمتين أساسيتين :

الأولى : أنه فى عالم الاحتمالات لا يتوقف وقوع الظاهرة (أ) على وجود الشرط (س)، بحيث توجد بوجوده وتتعدم بانعدامه. لكن الذى يقال هو أن الظاهرة (أ) تقع فى وجود الشرط (س) باحتمال معين، أى أن وجود الشرط (س) لا يمتنع معه وقوع

(٥٨) تلك الخاصية التى استخدمها كاتب هذا البحث فى دراسته للشوقيات المجهولة (المبحث الثالث من هذا الكتاب) وانظر أيضاً حاشية ٤٠. وتوجد مناقشة مفصلة لخاصية يول فى مقال يافا فاشك «بالروسية»، واستخدامه لها فى تحقيق نسبة نص من نصوص القرن التاسع عشر Paval Vasak : Metodi Ustanovienyla Spornogo Avtorstva. Methods of Determinating of Disputed authorship, in Prague Studies in Mathematical Linguistics, Academia, Prague, No. 3, pp. 143-161.

(٥٩) هذا عرض لإطار العمل الذى اقترحه دويجيل للكيفية التى تصاغ بها معادلة رياضية لتشخيص الخصائص الأسلوبية فى علاقتها بعضها ببعض. وفى علاقتها بالمقام، مع إعطاء كل خاصية وزنها الحقيقى فى المعادلة. انظر : L. Dolezel, A Frame Work for the Statistical : Analysis of Style, Instatistixs and Stylistics, op. cit. pp. 57-65.

الظواهر (أ) أو (ب) أو (ج) .. إلخ. ولكن تختلف درجات الاحتمال. وهذا هو الأمر القابل للقياس الإحصائي، ويسمى بالتوزيع الاحتمالي Probabilily Distribution .

والسمة الأخرى : للمفهوم الاحتمالي هي أن التوزيع الاحتمالي يصف توقع حدوث الظاهرة في مجتمع إحصائي مثالي، لكننا نستطيع - عملياً - أن نكتفي بملاحظة وقوع الظاهرة بعينات ممثلة للمجتمع الإحصائي. ولا ينبغي لنا أن نتوقع من جميع العينات أن تتجانس تجانساً تاماً في توزيع الظاهرة المدروسة، فالمشاهد بالتجربة أن قيم الاحتمالات تتأرجح حول قيمة معينة تارحجاً غير ذي دلالة من الناحية الإحصائية. وهنا يتجلى التوزيع الاحتمالي «الذي سبقت الإشارة إليه في السمة الأولى» في شكل آخر يسمى بالتوزيع التكراري للعينه Sample Frequency Distribution .

ويرى بوليجيل أن ثمة براهين قوية على أن كلتا هاتين السمتين تتجلى في الخواص الأسلوبية. وينشأ عن تقرير الصفة الاحتمالية للظواهر الأسلوبية وجوب تحديد الصفة العامة للأسلوب على أساس من درجة الحضور (أو الغياب) لأشكال معينة من التعبير، لأن هذه الأشكال هي نتيجة لإيثارات المنشئ أكثر من كونها نتيجة عادات ثابتة. إن العادات الثابتة تؤدي إما إلى الاستعمال المطلق وإما إلى الكبت المطلق لبعض أشكال التعبير. وهذا الأمر غير وارد في الأسلوب. ولذلك كان من الأرجح أن ننظر إلى الأسلوب على أنه نتاج إيثار واختيار لا أنه نتيجة عادات وثوابت. وإذن فالسمات الأسلوبية هي اتجاهات وليست عادات.

على أن القياس الإحصائي قادر على تحديد الدلالة الإحصائية لتأرجح قيم العينات حول القيمة الاحتمالية، أي أنه قادر على التوصل إلى القرار الصحيح : إما بإهمال التأرجح والنظر إليه على أنه غير ذي قيمة وإما بالاعتداد به، من ثم يمكن بالقياس الإحصائي الكشف عن الاتجاهات الأسلوبية المستقرة Stylistic Stability المختلفة وراء التأرجح الظاهر. ونستظهر مما سبق أمرين هامين :

أولهما : اعتبار الخواص الأسلوبية اتجاهات لا عادات.

والآخر : أنها اتجاهات مستقرة تختفى وراء ما يبدو من تأرجح لقيمها في العينات والتسليم بهذين الأمرين - عند دوايجيل - يمكن أن يجعل من المعالجة الإحصائية نظرية أسلوبية تمتاز بالكفاءة، وليس مجرد مظهر ثانوي من مظاهر النظرية الأسلوبية، لكنه يقرر أن الطريق إلى تحقيق ذلك ما يزال طويلاً، وأن مشروعه هذا ليس إلا خطوة على الطريق.

ويبرز دوايجيل في مشروعه أهمية ثنائية الكفاءة/ الأداء في إمداد النظرية الأسلوبية بالخلفية العامة لتفسير التنوع الأسلوبى، وهو يعد عمليات التشكيل الأسلوبى مكوناً أساسياً من مكونات مقولة (الأداء)، أما مقولة (الكفاءة) فإنها تشكل خلفية ضرورية لأى نظرية أسلوبية، ومن خلال بعض الملاحظة النقدية التى يبديها على نظرية (الأداء) يحدد لنا الشروط المتوقعة فى أى مخطط كامل للأداء، فيرى أن على هذا المخطط.

(١) أن يفسر السمات البراجماتية للسلوك اللغوى،

(٢) أن يفسر الفروق الجوهرية بين النصوص،

إن على هذا المخطط - بعبارة أخرى - أن يعطى وصفاً لعملية التشكيل الأسلوبى Style-Formation Process التى يتجلى فيها تأثير السمات البراجماتية من جهة، كما أنه مسئول - من جهة أخرى - عن كشف الفروق الأسلوبية بين النصوص.

٢ - ٨ - ٢ عملية الاختيار :

عملية الاختيار هى مكون أساسى من مكونات عملية التشكيل الأسلوبى، وهى فى جوهرها، اختيار شكل تعبيرى واحد من بين مجموعة أبدال متاحة، ويكون الاختيار فى أبسط حالاته بين بديلين. أما فى الحالات المعقدة فيكون الاختيار بين عدد كبير من الأبدال، ويحكم عملية الاختيار عوامل براجماتية يمكن تصنيفها إلى نوعين :

(١) عامل ذاتى Subjective : ويشمل الإيثرات اللغوية للمتكم، وطابع تفكيره، ومهاراته الأسلوبية.

(٢) عامل موضوعى : Objective ويشكل المقام Context (بأوسع مفهومات هذا المصطلح). وهذا العامل مستقل عن المتكلم، وإن كان يمارس تأثيره من خلاله. ويشمل العوامل المتعلقة بالاتصال اللغوى، مثل شكل اللغة : منطوقة أو مكتوبة، وشكل الخطاب : فردى أم حوارى، وجنس القول .. إلى غير ذلك من العوامل وكلا هذين النوعين من العوامل البراجماتية حاضر دائماً أثناء إنتاج النص. ويمكن - نظرياً - استنباط ثلاثة احتمالات للعلاقة بين العوامل الذاتية والموضوعية فى تشكيل الأسلوب.

الاحتمال الأول : قد يخضع الاختيار عند المنشئ لإيثارته الخاصة، وينحى تماماً أثر المقام (العامل الموضوعى). ويمكن التمثيل لهذا النمط بشاعر تسيطر خواصه الأسلوبية المميزة على جميع قصائده فى جميع الموضوعات. ويعنى هذا هيمنة العامل الذاتى عنده وتنحية العامل الموضوعى. ويسمى هذا النمط من المنشئين : (المنشئ المتحرر من المقام) Context - Free Speaker.

الاحتمال الثانى : أن يكبت المنشئ إيثارته الفردية كبتاً تاماً، ويخضع تمام الخضوع لما يمليه المقام. ويمكن التمثيل لذلك بكتابات الأجهزة الإدارية وكتاب النواوين، حيث يسود العامل الموضوعى وينحى العامل الذاتى تنحية تامة. ويسمى مثل هذا (المنشئ الخاضع للمقام) Context - bound Speaker .

الاحتمال الثالث : أن يضبط المنشئ اختياراته تبعاً لما يتطلبه المقام وهو العامل الموضوعى الذى يتجاوز الفرد Supra-individual Context ، ولكنه يحتفظ فى الوقت نفسه بتفرده وخصوصيته التى تميزه من غيره من المنشئين. ومثل هذا المنشئ يسمى (المنشئ الحساس للمقام) Context-sensitive Speaker إذ هو يخضع اختياراته للعاملين الذاتى والموضوعى فى آن معاً. ويصبح سلوكه فى الاختيار عملاً مركباً بالقياس إلى النوعين السابقين.

والنمط الثالث هو أكثر شيوعاً، ومثاله المنشئ الذى يحتفظ بخصائصه

الأسلوبية، وهو - مع ذلك - ينوع ما بين أسلوبه منطوقاً ومكتوباً. والملاحظ أن المنشئ الواحد لا يلزم نمطاً واحداً من الأنماط الثلاثة، قد يرواح في أسلوبه بينها جميعاً ويمكن القول بأن هذا النوع من الأسلوب هو حصيلة تدافع قوتين : العوامل الذاتية والعوامل الموضوعية؛ وهما تعملان في اتجاهين متضادين، وتحاولان السيطرة على المسافة الاتصالية في لغات البشر.

٢ - ٨ - ٢ البنية الإحصائية للنص :

تحدد البنية الإحصائية للنص بمجموع الخواص التي تثبت له بالقياس. ويمكن أن تصاغ المعادلة العامة للبنية الإحصائية للنص كما يلي : $ص = خ ، خ ، ...$ حيث $ص = نص ، خ = خاصية ، ١ ، ...$ وتشير إلى جميع خواص النص التي تم فحصها. ويطلق على هذه المعادلة (المعادلة المبدئية للنص - Text Formula Elementary) وهي معادلة معيبة نظراً لما نتوقعه من عدم تجانس القياسات الإحصائية للخواص المختلفة، وهو ما يجعل من جمعها في معادلة واحدة مشكلة إحصائية تتطلب حلاً. وحين نعتبر التصنيف المقامى القائم على أساس ما هو موجود من العوامل الاجتماعية المؤثرة في إنتاج النص يتحصل لنا أن مجموع نصوص لغة ما «ويرمز لها بالرمز : $ص (ل)$ ، حيث $ل = لغة ، ص = نص$ » يمكن تصنيفها باعتبارين :

الأول : أن تصنف تبعاً للعوامل الذاتية. وينتج لنا هذا التصنيف $ص (ن)$ حيث $ص = نص ، و (ن) = منشئ أو متكلم بعينه مع تنوع المقامات ويصبح مدلول $ص (ن) = منشئ أو متكلم بعينه مع تنوع المقامات ويصبح مدلول $ص (ن)$ هو مجموعة النصوص التي ينتجها منشئ بعينه بقطع النظر عن اختلاف المقامات.$$

الاعتبار الثانى : أن تصنف تبعاً للعوامل الموضوعية. وينتج لنا هذا التصنيف $ص (ق)$ ، حيث $ص (ق) = مقام بعينه. ويصبح مدلول الرمز $ص (ق) = هو مجموع النصوص التى تنتج فى مقام معين بقطع النظر عن اختلاف المنشئين.$$

ولما كانت الجهة منفكة بين التصنيفين فإنه يحصل لنا باجتماعها ص (ك ي ق ج) ، أى مجموعة النصوص التى ينتجها منشئ معين فى مقام معين. ومن الطبيعى أن نتوقع خلو بعض المجموعات من هذا النوع، ضرورة أن المنشئ المعين لا يتوقع منه أن يكتب فى جميع المقامات.

وقد نتسأل : كيف يحدد الباحث العوامل الذاتية والموضوعية التى يتم على أساسها تصنيف مجموع نصوص اللغة : ص (ل) والجواب أن هذه العوامل يمكن تحديدها إمبيريقياً، فالتصنيف البراجماتى هو إطار تجريبى امبريقى للتحليل الإحصائى يمكن تحديده دون أن نعرف شيئاً عن البنية الإحصائية للنصوص. ويتحول النصوص بعد تحديدها على هذا الأساس البراجماتى إلى مجتمعات إحصائية. وبذلك يمكن استخدامها لتحديد الخصائص الإحصائية للنصوص.

ولقد سبق لنا الحديث عن المعادلة المبدئية للنص، ووصفناها بأنها معيبة مع بيان لحيثيات هذا الحكم. ومن ثم لم يكن بد من تهذيب هذه المعادلة. وأول مراحل هذا التهذيب أن نحذف منها بعض الخصائص التى تعوق عملية التشخيص الإحصائى للنص. ولدينا - عادة - نوعان من هذه الخصائص :

الأول : خصائص ما فوق الأسلوب Supra-stylistic Features .

ويقصد بها بعض الخصائص التى تتجاوز الخيار الأسلوبى، وتفرض نفسها على جميع المنشئين فلا تنقاد للتشكيل الأسلوبى. وليس لهذا النوع من الخصائص اللغوية ما يؤهله ليشكل سمات مائزة بين الأساليب وسنرمز له بالرمز (خ-ل)، حيث خ = خاصية و ل = لغة.

ومثل هذه الخصائص - وإن لم تكن مادة للتشكيل الأسلوبى - هى خلفية ضرورية لإدراك الفروق الأسلوبية بين النصوص، وإلى هذا النوع ترمى الصوتيمات والحرفيمات Graphemes «أى وحدات نظام الهجاء»

والثانى : خصائص ما نون الأسلوب Sub-stylistic Features .

ويندرج تحت هذا المفهوم خصائص يثبت من فحص ص «ك ي ق ج» أنها تتسم بعدم الثبات Non-stationary ، أو أنها تتأرجح تأرجحاً ذا دلالة إحصائية وتمثل هذه الخصائص تحدياً حقيقياً للنظرية الإحصائية فى دراسة الأسلوب، ولا مفر أمام الباحث من عزل هذا النوع واستبعاده، لكى تستقيم البنية الإحصائية للنص.

وحين يتم عزل هذين النوعين من الخصائص غير الأسلوبية يصبح من الممكن إجراء أولى خطوات تهذيب المعادلة المبدئية للنص، حيث تحصل لنا : المعادلة المبدئية لأسلوب النص Elementary Text-style ولا يسمح بدخول المعادلة إلا للمتغيرات الأسلوبية، التى يثبت بالفحص الإحصائى أنها سمات أسلوبية وصيغة هذه المعادلة هى: ص - «خ س١ ، خ س٢ .. خ س» ، حيث خ س = خاصية أسلوبية، أو ١ ، ٢ فهى مجموع الخواص الأسلوبية بما فيها الخواص التى ترتبط بخواص سبق ورودها ارتباطاً على وجه اللزوم.

وتتجه الخطوة التالية فى تهذيب المعادلة إلى استبعاد الخواص التابعة، أى المتضمنة فى خواص أخرى على التلازم، واستبقاء الخواص الأسلوبية الأساسية والمستقلة نون غيرها، وتنتج هذه الخطوة المعادلة المختصرة لأسلوب النص Reduced Text-style Formula وهى ص = «خ١ ، خ٢ .. خ ن» ، حيث تساوى خ١ فى هذه المعادلة خاصية أسلوبية مستقلة «وحيث يكون عدد الخواص المستقلة ن» أصغر من مجموع الخواص المستقلة والتابعة».

٢ - ٨ - ٤ مادة الفحص والفروض

على الباحث أن يجرى فحصه الإحصائى على فئات النصوص من النوع ص «ك ي ق ج» ، أى نصوص منشئ معين فى مقام محدد ويرمز إلى المجموع الكلى للنصوص «ص» «ك ي ق ج» بالرمز ص «ق» ، ويعنى مجموع فئات النصوص فى مقام محدد بقطع

النظر عن اختلاف المنشئين ، وتشمل ص «ق» المدونة الأساسية للمادة التي تخضع للفحص بهدف تحديد البنية الإحصائية للنصوص وثمة احتمالان متعارضان يمكن أن يؤدي إلى أحدهما فحص التجانس في «خ ي» «أى الخواص الأسلوبية المستقلة»، ولكل منهما تفسيره :

أولهما : أن تتأرجح قيم «خ ي» في المجتمعات الإحصائية المختلفة ص «ك ي ق ج» من المدونة ص «ق» تأرجحاً ذا دلالة إحصائية، وحينئذ يمكن اعتبارها خواص مستقرة في نصوص منشئ بعينه بحيث تميزه تمييزاً واضحاً عن غيره من المنشئين، أى أنها خاصية أسلوبية ذاتية وسنرمز لهذه الخواص بالرمز «ش - خ ي» حيث ش = شخصية.

ثانيهما : أن تتأرجح قيم «خ ي» في المجتمعات الإحصائية المختلفة ص «ك ي ق ج» من المدونة ص «ق» تأرجحاً غير ذي دلالة إحصائية، أى أن «خ ي» تبدو متجانسة في جميع المدونة، وحينئذ ينبغى أن تعزى «خ ي» إلى الخواص الأسلوبية الموضوعية Objective Stylistic لأنها خواص تتجاوز الفرد Supra Individual وسيكون رمزها «ض - خ ي» ، حيث ض = موضوعية.

على أن ثمة احتمالاً ثالثاً هو أن تتجانس «خ ي» في أسلوب بعض المنشئين دون بعض، مع افتراض وحدة المقام ق ج، ويفسر بوليجيل هذا الاحتمال بأنه تشابه في أسلوب الأفراد أكثر من كونه خواص أسلوبية موضوعية.

ونعود إلى فحص الخواص الأسلوبية الذاتية «ش - خ ي» من جديد كي نحدد ما كان منها ذاتياً خالصاً، وما كان ذاتياً موضوعياً «ش ض خ ي» ، وذلك بتعريضها للاختبارين التاليين :

الأول : يقارن الباحث فيه بين مدونتين على الأقل ينتميان إلى مقامين مختلفين، لترمز لهما بالرمز ص «ق ي» والرمز ص «ق د» وعليه أن يفحص في مقارنته الخواص

الأسلوبية الذاتية «ش - خ_ي» ثم يرى الباحث هل تختلف المسافة التي تتأرجح فيها قيم «ش - خ_ي» بين المودتين ص «ق_ي» و ص «ق_د» ؟

الثاني : يحسب الباحث متوسط قيمة «ش - خ_ي» في المودتين ص «ق_ي» و ص «ق_د» يرى هل تختلف القيمتان اختلافاً دالاً ؟ إذا كان الجواب عن السؤالين السابقين بالإيجاب فإن الخواص الذاتية المميزة لا تكون ذاتية خالصة، بل هي خواص ذاتية موضوعية «ش ض - خ_ي» في أن معاً، فهي ذاتية باعتبار تأرجح قيمها الدالة خلال المودة، مما يعنى ثباتها لدى المنشئ الواحد واختلافها عند سائر المنشئين. وهي موضوعية بحكم اختلاف مسافة تأرجح قيمها أو اختلاف متوسط قيمة التأرجح باختلاف المقام، أما الخواص التي لا تلبي متطلبات الاختيارين السابقين فتكون ذاتية خالصة «ش - خ_ي» ، وهكذا يتحصل لنا مما سبق ثلاثة أنواع من الخواص الأسلوبية هي :

- (١) خواص أسلوبية ذاتية خالصة «ش - خ_ي».
- (٢) خواص أسلوبية ذاتية موضوعية «ش ض - خ_ي».
- (٣) خواص أسلوبية موضوعية خالصة «ض - خ_ي».

ومن هذه الأنواع تتشكل الصورة الأخيرة المعادلة التشخيص الإحصائي للأسلوب ونعنى بها : المعادلة المحددة لأسلوب النص Specified Text-style Formula وتتخذ الصيغة الآتية :

$$\begin{aligned} & \text{ص} = \text{ش} - \text{خ}_1 , \text{ش} - \text{خ}_2 , \dots , \text{ش} - \text{خ}_n , \text{ش} - \text{ض}_1 , \text{ش} - \text{ض}_2 , \dots , \text{ش} - \text{ض}_m , \text{ض} - \text{خ}_1 , \text{ض} - \text{خ}_2 , \dots , \text{ض} - \text{خ}_n , \dots \\ & \text{ض} - \text{خ}_n \end{aligned}$$

«ش - خ ... ش - خ ن» والذاتى الموضوعى

«ش ض - خ م ، ش ض م» والموضوعى

«ض - خ م ... ض - خ ن»

وتتميز المعادلة المحددة لأسلوب النص بأنها تمثل النص تمثيلاً شكلياً باستخدام منظومات من مكوناته المستقلة المتنوعة، كما أنها تعبر عن الدرجة التى تسهم بها المكونات الذاتية والموضوعية فى تشكيل النص، وما يتمتع بها كل منها من وزن خاص، كذلك تظهر لنا هذه المعادلة أسلوب النص فى هيئة بنية إحصائية مركبة. وهكذا يمكن تشخيص أسلوب النص إحصائياً بتجزئته إلى عدد محدد من المكونات الأسلوبية الموصفة القابلة للقياس الدقيق، ويمثل هذا الإنجاز فى رأى بوليجيل أهم إسهام يقدمه المفهوم الإحصائى لنظرية الأسلوب، وجدير بالذكر أن صفة الذاتية والموضوعية فى المعادلة لا تحددها الخواص اللغوية، بل العوامل البراجماتية المتحركة فى توليدها.

٢ - ٨ - ٥ خلاصة

أولاً : أن التوصل إلى المعادلة القادرة على تشخيص البنية الإحصائية لأسلوب النص قد مر بالمراحل الآتية :

(١) المعادلة المبدئية للنص.

(٢) المعادلة المبدئية لأسلوب النص.

(٣) المعادلة المختصرة لأسلوب النص.

(٤) المعادلة المحددة لأسلوب النص.

ثانياً : أن المعادلة المحددة لأسلوب النص تتنوع بحسب العوامل الذاتية والموضوعية التى تحكم الاختيار من البدائل.

ثالثاً : أن الاختيار من بين مجموعة الأبدال المتاحة إذا كان محكوماً بالعوامل الذاتية الخالصة كانت صيغة المعادلة هي : ض = «ش - خ_١ ، ش - خ_٢ ... ش - خ_ن».

رابعاً : إذا كان الاختيار محكوماً بالعوامل الموضوعية الخالصة فإن المعادلة تكون كما يلي :

$$\text{«ص} = \text{ض} - \text{خ}_1 , \text{ض} - \text{خ}_2 , \dots \text{ض} - \text{خ}_n\text{»}$$

خامساً : إذا كان الاختيار محكوماً بعوامل ذاتية موضوعية كانت صيغة المعادلة «ص - ش ض - خ_١ ، ض - خ_٢ ... ش ض خ_ن».

سادساً : أن الحالات الثلاثة السابقة تفترض وجود نصوص متجانسة تجانساً تاماً. وهذا استثناء، أما الغالب فهو أن تتألف النصوص من الأنواع الثلاثة السابقة وتعتبر عن ذلك المعادلة المركبة التي سبق إيرادها.

سابعاً : ينبغي نوليجيل - في ختام مشروعه - إلى مشكلة هامة فحواها أن الخواص الأسلوبية المتطابقة لغوياً قد تختلف طبيعتها الإحصائية باختلاف النصوص أو باختلاف أنواع النصوص، فقد يكون طول الجملة خاصة ذاتية في نص، وموضوعية في نص آخر، وذاتية موضوعية في نص ثالث، وينشأ عن ذلك اختلاف وظيفة الخاصية في عملية التشخيص، إنها في النص الأول صالحة لأن تكون مميزاً لأسلوب المنشئ الفرد، وفي الثاني لا تصلح البتة لهذه الوظيفة، أما حين تكون الخاصية ذاتية-موضوعية فإن صلاحيتها لتمييز فردية الأسلوب تكون مقيدة بمنطقة معينة، أي أنها لا تكون مميزاً إلا في حدود مقام واحد ثابت، وهذه المشكلة - عند نوليجيل - من أكبر المشكلات التي تواجه النظرية الإحصائية في التحليل الأسلوبى صعوبة وخطراً، ولم تلق حتى الآن ما هي جديرة به من اهتمام.

ثامناً : قد يتخذ من هذا التعارض المثير للدهشة في التفسيرات المتنوعة للخواص الأسلوبية دليل على وجود نقص في النظرية غير أن النقص في النظرية ليس

هو وحده المسئول عما يشيع فى نتائج الأسلوبيات الإحصائية من مظاهر التردد والتناقض ذلك أن التفسيرات ذات طابع افتراضى ظاهر، كما أن الحساب الدقيق لهذه المادة صعب بسبب العلاقة المعقدة بين «النص - العينة» و«النص - المجتمع».

يضاف إلى ذلك أن وضع حدود مرضية للمجتمع الإحصائى للنص «أو المجتمعات» هو مهمة معقدة، لأن المجتمعات الإحصائية هى بالنسبة لدراسة النصوص مجموعات مفتوحة، أى لا يمكن وقوعها تحت حصر.

وأخيراً يقرر نوليجيل أن الأمل معقود على استخدام الحاسوب للتوسع فى معالجة مجموعات كبيرة ومتكاملة - وبها تتمكن من الاختبار العلمى للفروض الأساسية فى نظرية الأسلوبيات الإحصائية، ولا بد من تضافر الجهود فى هذا الاتجاه ليكتسب هذا الدرس صفة المنهج العلمى الحديث عن جدارة.

المطلب الثالث

الوظيفة

٢ - ١ المقياس الأسلوبى الإحصائى

نحاول بهذا المطلب الثالث أن نستوفى أنحاء التقسيم المقترح لهذه الدراسة ببيان للكيفيات والمجالات التى يمكن بها وفيها توظيف الإحصاء فى دراسة الظاهرة الأسلوبية. ونحسب أن أول ما ينبغى البدء بها هنا هو بيان مفهوم المقياس الأسلوبى الإحصائى واستخداماته ومجالات تطبيقه.

المقياس الأسلوبى الإحصائى هو : صيغة شكلية تؤسس علاقة بين المتغيرات أو الخصائص وما يمتاز به النص من غيره من النصوص، أو ما يستدعيه من أحكام ونعوت».

٢ - ٢ مجالات تطبيقية

وينشأ مما سبق وجود وجهين لاستخدام المقياس الأسلوبى :

أولهما : تأسيس علاقة بين المتغيرات الأسلوبية بهدف الكشف عن الخصائص الأسلوبية المائزة، «وهو الهدف الوصفى».

ثانيهما : تأسيس علاقة بين الخصائص الأسلوبية المائزة بهدف الكشف عن نعوت الأسلوب، «وهو الهدف التقويمى» وكلا الهدفين واقع فى مجال التشخيص الأسلوبى، إلا أن أولهما ينصرف إلى تشخيص الأساليب، وثانيهما ينصرف إلى تشخيص نعوت الأساليب.

وبشكل كلاً من هذين الاستخدامين باباً واسعاً يدلف منه الباحثون إلى ميدان عريض يستشرفون فيها آفاقاً رحبة للبحث الأسلوبى، وتتسع مجالات التطبيق والإفادة

من المقاييس الأسلوبية الإحصائية لتشمل :

(١) فى اللسانيات الاجتماعية Sociolinguistics : قضايا الاستعمال الاجتماعى للغة، والسجل اللغوى Register وتحليل الخطاب Discourse Analysis ، ومقاميات اللغة Pragmatics of Language .

(٢) وفى اللسانيات التاريخية Historical Linguistics قضايا تمايز الأساليب باعتبار العصر، والتغير التاريخى للأساليب Dynamic Stylistics وفحص الوثائق التاريخية اللغوية.

(٣) وفى اللسانيات النفسانية قضايا اللغة والفكر، واللغة والشخصية، والعقلانية والانفعالية، ومبحث الإبداع.

(٤) وفى اللسانيات الأدبية : قضايا تمايز أساليب الأفراد، والكشف عن المؤلف المجهول، وتصحيح نسبة النصوص، وتحقيق قضايا الانتحال والوضع والتقليد، وتمييز نعوت الأساليب، وتشخيص العلاقة بين المنشئ، وشخصياته الروائية أو المسرحية، وأنماط اللغة الأدبية، والترتيب التاريخى لأعمال المنشئين وبحث الأنواع الأدبية، جماليات التشكيل اللغوى للنص الأدبى.

(٥) وفى الدراسات التربوية : قضايا المعجم الأساسى، والثروة اللفظية، وقابلية النصوص للقراءة Readability والتشويق والإثارة فى تشكيل لغة النصوص التعليمية.

هذا إلى مجالات أخرى كثيرة فى علم الاجتماع، علم الثقافات، وعلم المعلومات، والسيميائيات، وعلوم الإعلام؛ نورد هنا على وجه الحصر إنما لنشير بها إلى ما ينتظر الأسلوبيات الإحصائية من مهمات جسام فى جميع ميادين الدراسات الإنسانية عل يتنوعها ورحابتها.

٣ - ٢ أنماط المقاييس الأسلوبية

تتعدد أنماط المقاييس الأسلوبية بحسب المبدأ الذي تستند إليه، ومن الأهمية بمكان أن تحدد هذه الأنماط، فذلك أنسب المداخل لمناقشة قضية كثر حولها الجدل واختلطت فيها الأوراق، ونعني بها مبدأ شمولية المقياس الأسلوبى، ومدى شرعية اقتراض المقاييس وتجاوزها حدود اللغة التى استتبط فيها إلى غيرها من لغات البشر، وسنعود إلى ذلك فيما يلى من حديث.

ويمكن أن نستظهر مبادئ أربعة يقوم على أساسها الاستدلال بالمقاييس الأسلوبية الإحصائية :

(١) مبدأ رياضى : وإليه تنتمى المقاييس الأسلوبية التى تقوم على حساب العلاقة بين الكميات فى صيغة معادلة رياضية، ومنها حساب التباين، والانحراف المعياري، والارتباط، وكاي^٢، والنسبة الحرجة وسائر طرق الاستدلال الإحصائي.

(٢) مبدأ لغوى : يقوم على الكشف عن الدلالة اللغوية بين المتغيرات الأسلوبية المقالية ومنه مقاييس طول الجملة، وأنواعها، والمفاتيح المعجمية وغير ذلك مما يقيس الشبوع والتوزيع لمتغيرات المقال.

(٣) مبدأ منطقي : وهو حساب رياضى للمتغيرات الأسلوبية يستمد حججه من موافقته لبدهيات المنطق، ومن هذه المقاييس قياس تنوع المفردات Vocabulary Diversification الذى استنبطه ت. م. جونستون T. M. Joneston وقد أقامه على أساس من رد مجموع تحقيقات الكلمات التى يتشكل منها النص Tokens إلى الأنماط الأساسية بعد حذف جميع تكراراتها Types ثم قياس التنوع بطرق ذات دلالات مختلفة بحساب النسبة بين المجموع الكلى للكلمات وأنماطها.

(٤) مبدأ نفسانى : وأكثر المقاييس التى تقوم على مبدأ نفسانى تستمد إسهامها من الفروض العلمية فى الدراسات النفسانية، إلى هذا النمط ينتمى معامل

بوزيمان Busemann's Coefficient لقياس درجات الانفعالية والعقلانية فى الأسلوب عن طريق حساب النسبة بين الأفعال والصفات، وقد أوحى إليه بفكرة المقياس ما لاحظته من دراساته فى اللسانيات النفسانية للغة الأطفال، إذ لاحظ غلبة الأفعال على الصفات فيما يحكونه من قصص، وتغير هذه النسبة باتجاهها نحو الانخفاض بنمو الطفل ونضوج قدراته وملكاته الفكرية والإدراكية، وهكذا تشكل هذا الفرض العلمى فى إطار البحوث النفسانية، وجرى اختباره فأُسفر عن إمكانات طيبة فى قياس درجة التوازن الانفعالى، وقياس أنماط الشخصية وحفظها من الانفعالية والعقلانية.

ولقد كانت هذه الملاحظة العلمية منطلق بوزيمان لوضع هذا المقياس الأسلوبى، ومنطلق من جاوا بعده لتطويره، وأصبح ممكناً به اختبار الفوارق الأسلوبية بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة وبين الأسلوب العلمى والأدبى، وبين الشعرية والنثرية، وبين لغة الفرد ولغة الحوار، وبين لغة الرجال ولغة النساء، وبين لغة الصغار ولغة الكبار، ولغة الأنواع الأدبية، وقياس الخط الدرامى فى القصة والمسرحية والرواية^(٦٠).

٢ - مبدأ شمولية المقياس الأسلوبى

نعود هنا - فى ضوء ما تقدم - لمناقشة مبدأ شمولية المقياس الأسلوبى بمحاولة للإجابة عن هذا السؤال الهام : إلى أى مدى يجوز للغات أن تتعارض المقاييس الأسلوبية فيما بينها، وأى حجية تكون للمقياس إذا جاوزنا به حدود اللغة التى استتبط فيها إلى غيرها من لغات البشر؟ «ومن الضامن لتلك المقاييس أن تتحول إلى كليات معرفية مهما اختلفت الألسنة التى تجرى عليها؟ أفليس من الطبيعى أن نختبر الجهاز الإجرائى أولاً؟ بل أليس بديهياً أن نعمل على استنباط هذا الجهاز من صلب المثونة التى نتخذها مناهجاً لبحثنا التطبيقى؟»^(٦١).

(٦٠) انظر : سعد مصلوح : «الأسلوب» : ف ف ١-٥، ٢-٥.

(٦١) من رسالة كريمة تلقاها كاتب هذا البحث من الدكتور عبد السلام المسدى، مؤرخة =

ولأن هذه التساؤلات تتردد في غير موضع ومن غير باحث فإنها - ولا شك - مستحقة لأن تكون موضع اعتبار، وعلينا - لدى مناقشتها - أن ننبه إلى أنها لا ترد إلا على النمط الأخير من المقاييس، إذ إن حجية المقاييس القائمة على المبدأ الرياضي أو المنطقي ثابتة في كل لسان، كما أن حجية المقياس القائم على مبدأ لغوي في إطار اللغة الواحدة ليست موضع خلاف من هنا كان حظ المحاولة التي بذلت لإعمال معامل بوزيمان وتطبيقه على المادة العربية من النقد والمناقشة موفوراً، وقد كان منى رد مفصل في غير هذا المكان على ما أثير من ملاحظات وحسبنا هنا أن نقول: إن مثل هذا المقياس إذا كان قد استنبط من لغة بعينها فإن ذلك يمنحه شرعية الفرض العلمي الذي يبقى قابلاً للإثبات أو النفي بحسب ما يؤدي إليه الجهد التطبيقي، وقد أثبتت الدراسات التي أجريت عليه في الألمانية والإنجليزية والفرنسية صدقه وقدرته على أن يكون مؤثراً كاشفاً لأنواع الأساليب، ولم تكن درجة صدقه على العربية بأقل منها في غيرها من اللغات.

بيد أن الاحتراز الأساسي في هذا المقام - إنما ينصرف إلى المتغيرات اللغوية الأسلوبية الداخلة في الكميات المقيسة، إذ ينبغي تحديدها تحديداً قاطعاً ونافياً لكل لبس؛ ومن ثم كان لابد من تكييف لمقاييس من هذه الوجهة لتكون صالحة للتطبيق ومحققة للغاية المنوطة بها إن هذه المتغيرات، وإن اتفقت في طبيعتها اللسانية العامة «صوتية كانت أو صرفية أو تركيبية أو دلالية» هي تصورات ذات ماصدقات مختلفة باختلاف النظم اللغوية الأصلية، ومن ثم نتوقع اختلاف حدود الصوتيمات وأنواع الصرفيمات والجمل والحقول الدلالية من لغة إلى لغة كما نتوقع أيضاً اختلاف التبويب والتععيد وأجراءات الوصف باختلاف الطرق النحوية، ومن هنا كان تحرير مفاهيمها وتحديد

== في ١٩٨٤/٤/١٠ يعلق فيها على استخدامه لمعامل بوزيمان في التشخيص الأسلوبى وقريب من ذلك ما ورد في صلاح فضل: علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته، ص ٣٢٦، وانظر رداً لنا عليه في: «دراسات نقدية في اللسانيات العربية المعاصرة»، ص ٧٦-٨٧.

أما اللسانيون فقد مال كثير منهم إلى تزكية هذه التجربة وتأكيد أهميتها. وانظر في ذلك عرضاً ناقداً وافياً للكتاب في مازن الوعر: دراسات لسانية تطبيقية، دمشق، دار طلاس، ط ١، ١٩٨٩ ص ١٦٣-٢٢٠، وقد ضمنه المؤلف وجهة نظره في إيجابيات التجربة وسلبياتها.

ما صدقاتها وعلاقاتها النظامية ضرورة منهجية لا ترخص فيها، بيد أن اختلاف هذه المفاهيم، وخصوصية المباني والاستعمالات الأسلوبية في لغة ما لا ينفي ما لظاهرة الأسلوبية من طبيعة لسانية عامة، وهي بذلك إحدى الجوامع اللسانية Linguistic Universal التي لا تخلو منها لغة، ولا تختص بها إحداها دون سائرهما.

كلمة خاتمة عن قضايا العربية والمعالجة الإحصائية

لعل استبصار الأفاق الرحبة التي تعدّ بها المعالجة الإحصائية، بله الحاسوبية^(٦٢) نصوص اللغة تفضى بنا إلى ضرورة وضعها في حاق موضعها من الهموم العلمية للباحث العربي المعاصر، ولا شك أن رصد ما تم إنجازه في هذا المقام ربما كان أيسر منالأ من تعداد المجالات التي تتطلع العربية إلى اقتحامها والإفادة منها^(٦٣).

بيد أننا نشير هنا إلى عدة مجالات تمثل بالنسبة لجمهور الباحثين أحلاماً تستعصى على التحقيق إلا باستفاد الجهود وتضافر المؤسسات العلمية القادرة على التخطيط والمتابعة والإنجاز.

أولهما : إنجاز وصف دقيق للعربية المعاصرة على اختلاف تنوعاتها الإقليمية والاجتماعية.

وثانيهما : إنجاز المعجم التاريخي للعربية.

وثالثهما : إنجاز الأطلس اللساني العربي.

ورابعهما : الإسهام الجاد من اللسانين في صياغة نظرية نقدية تستوفي أشراط العلمية

(٦٢) لا يفوتنا أن ننوه هنا بكتاب نبيل على : «اللغة العربية والحاسوب» القاهرة، دار التعريب ١٩٨٨، وهو دراسة تحتاج إلى متابعة لسانية جادة، وقد أورد المؤلف في ختامه قائمة ثرية ببحوث مقترحة في مجال اللسانيات الحاسوبية مطبقة على اللغة العربية ص ٥٣٦-٥٥٠.

(٦٣) قطع معهد الخرطوم الدولي في اللغة العربية «التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم» شوطاً في إنجاز مشروعات الدراسات الإحصائية على اللغة العربية، وكان لكاتب البحث شرف الإشراف على بعض مراحلها ولكن ضعف الإمكانيات وضخامة المشروع تقف عائقاً دون إتمامه، وانظر لكاتب البحث مؤشرات لغوية إحصائية في عناوين الصحافة العربية : مصر - ليبيا - السودان، في «دراسات إحصائية استطلاعية في العربية المعاصرة، الخرطوم، ١٩٨٥، ص ٢٣-١.

والموضوعية فى دراسة النص الأدبى بأجناسه المختلفة.

وفى كل ما تقدم نحسب أن إعمال المعالجة الإحصائية والحاسوبية فى دراسة
نصوص العربية قديمها وحديثها هو أمر لا يمكن تجاوزه بحال.



المبحث الثانى

قياس خاصية تنوع المفردات

فى الأسلوب

عند العقاد والرافعى وطه حسين

- الفاتحة :

المعجم الذى يستخدمه الكاتب أو الشاعر هو من أبرز الخواص الأسلوبية الدالة عليه، والمبينة عن سر صناعة الإنشاء عنده، وبالرغم من أن مصطلح المعجم الشعرى Poetic Diction هو أكثر شيوعاً وتداولاً على ألسنة النقاد ودارسى الأدب - فإن خاصية استخدام معجم متميز هي أمر لا ينفرد به الشاعر دون الناثر حتى فيما يتعلق بالدلالات المباشرة أو الإيحائية للمفردات، ومن ثم لا معنى لاختصاص الشعر بذلك دون النثر فى مبحث الأسلوب والشاعر أو الناثر كلاهما يحاول عند صياغة الرسالة The Message أو الخطاب الأدبى The Literary Discourse تحويل تجربته من خلال الثروة اللفظية الخاصة به، لذلك يؤدى فحص الثروة اللفظية Vocabulary Richness كما تظهر فى النصوص إلى استبانة واحد من أهم الملامح المميزة للأسلوب، فما المفردات إلا الخلايا الحية التى يتحكم المنشئ فى تخليقها وتنشيط تفاعلاتها على نحو يتحقق به للنص كينونته المتميزة فى سياق النصوص والمنشئ تفرد بين المنشئين.

وتختلف الثروة اللفظية بين الشعراء والكاتب من جهتين :

الأولى : حجم الثروة اللفظية Vocabulary Size .

والثانية : طرق استخدام هذه الثروة اللفظية والتصرف فيها عند صياغة النص .

من المتوقع عند الموازنة بين عدد من الأساليب أن يمتاز بعضها من بعض من إحدى الجهتين أو كليهما .

وينبغى عند قياس حجم الثروة اللفظية لدى المنشئ أن تميز بين نوعين مختلفين منها : أولهما : قياس حجم ما يعرفه المنشئ من ألفاظ، و - بعبارة أخرى - كمّ الألفاظ الذى يمكنه أن يتعرف إليه إذا قرأه أو سمعه .

وثانيهما : قياس كمّ ما يستخدمه من الألفاظ بالفعل فى صياغة نصوصه .

ويدهى أن كم ما يعرفه من ألفاظ سيكون أكبر بكثير من كم المستخدم منها، فالدارس المختص بالأدب الجاهلي والقارئ الشغوف به كلاهما يمكنه التعرف إلى كثير مما تحف به نصوص الجاهليين من غريب، لكننا نشك إلى أبعد مدى في أن أحدهما سيستخدم أكثر هذا الغريب إذا أراد أن يصوغ شعراً أو نثراً، وثمة طرق إحصائية تصطنع لقياس النوع الأول تقوم على استتطاق المنشئ نفسه مباشرة بأن يطلب إليه الباحث الإجابة على عدد من الأسئلة توضع بحيث يمكن من خلالها تقويم الثروة اللفظية لديه، وأما النوع الثاني فطريقنا إليه هو فحص النص الأدبي بعد أن يفرغ منه المنشئ، وهذا الفحص مفيد من جهتين :

الأولى : أنه يعين على معرفة جانب من أهم جوانب صناعة الإنشاء عنده وعن الكيفيات التي يتصرف بها المنشئ في ثروته اللفظية.

الثانية : أنه يصلح - عند الموازنة بين أكثر من نص لأكثر من منشئ - مؤشراً دالاً على تمايز أساليب منشئها من حيث الزيادة والنقص في كم الثراء المعجمي بوجه عام، ومن البديهي أن التحكم الذي نصل إليه في هذه القضية سيكون حكماً نسبياً وليس مطلقاً.

وتنوع المفردات Vocabulary Diversification هو أحد الخواص الأسلوبية التي يمكن التوصل بقياسها في عدد من النصوص إلى إجابة مدعومة بالدليل الإحصائي على سؤاليين مهمين :

الأول : أي هذه النصوص يعبر عن ثراء معجمي نسبي إذا ما قورن بغيره؟

الثاني : كيف يستخدم المنشئ خاصية التنوع بين مفرداته عند صياغة

النص؟

ومقتضى وصفنا لتنوع المفردات بأنه أحد الخواص الأسلوبية يعني أنه ليس بالخاصية الوحيدة أو الحاسمة في مجال التمييز بين الأساليب، كما يعني أيضاً أن

الخواص الأسلوبية من الكثرة والتعدد بحيث ينبغي اعتبار هذا التعدد إذا ما أريد تحديد العلاقات بين الأساليب المتنوعة على نحو أوسع وأشمل، وستتضح هذه المقولة للقارئ فيما يلي من مناقشة في الفقرة الخامسة من هذا المبحث.

ويهدف هذا البحث إلى تقديم عرض نظري لإحدى الطرق الإحصائية المستخدمة في قياس خاصية تنوع المفردات مع دراسة نصية لنماذج من الكتابة العربية وستعالج الدراسة المسائل التالية على الترتيب :

١ - تحديد العينات التي أجري عليها البحث.

٢ - عرض للمقياس وطريقة تطبيقه على العينات.

٣ - طرق حساب نسبة التنوع.

٤ - نتائج القياس.

٥ - ملاحظات على نتائج القياس.

٦ - العلاقة بين خاصية التنوع وصعوبة الأسلوب.

١ - العينات :

يتناول هذا البحث بالدراسة ثلاثة نماذج لثلاثة من أعلام الأدب في العصر الحديث هم : عباس محمود العقاد ومصطفى صادق الرافعي وطه حسين، وقد أثرنا هؤلاء الأعلام بالدراسة لأسباب منها :

أولاً : أن الثلاثة هم من أبرز الأعلام العرب في صناعة النشر، ومن ثم كان تأثيرهم في مجال الفكر والثقافة من جهة وفي فن الكتابة والأسلوب من جهة أخرى عظيماً، وكان لأدبهم نفوذ القوى وانتشاره الواسع - على تفاوت - بين قراء العربية والمختصين بآدابه.

ثانياً : أن أدب هؤلاء الأعلام الثلاثة قد حظى فى أبعاده الفكرية والحضارية من الدارسين والمختصين باكبر اهتمام على حين ظل الجانب الأسلوبى مهملاً أو شبه مهمل، فلم يقع لنا - فى حدود ما قرأنا - دراسة أخلصت نفسها لهذا الجانب لديهم، إلا من نتف ميثوثة هنا وهناك هى فى الغالب أحكام ذاتية صيغت فى عبارات مرنة توهم بون أن تحدد، وتوحى بون أن تبين.

ثالثاً : أن بعض الأحكام الذاتية التى اشتملت عليها دراسات سابقة هى ذات قيمة نقدية عالية ولا شك، وذلك لصدوره عن أدباء ودارسين أكثرهم نوأرومة عريقة فى صناعة الأدب. بيد أن صياغتها فى عبارات دوقية وجدانية تجعل من الصعب على القراء والدارسين تحديد المراد منها، وعلى كتابها أن يجيبوا إذا سألتهم على صدقها البرهان، ومن ثم كانت المعالجة العلمية ضرورة يمكن بها تفسير هذه الأحكام أو نقض ما لا يقوم عليه منها دليل.

رابعاً : أن الشعر قد استأثر باهتمام الجمهور من دارسى الأدب العربى نقاده، لذلك رأينا أن نسهم بجهد متواضع فى رفع الغبن الذى حاق بصناعة النثر فى العربية حين لاحظنا أن مكتبة الدراسات الأسلوبية تشكو ندرة الأعمال التى اتخذت من نصوص النثر موضوعاً لها، على أن كثيراً مما كتب فى هذا المجال إنما يقوم دليلاً واضحاً على أزمة المنهج التى يعانى منها درس الأدب العربى، والتى لا مخرج له منها - فيما نحسب - إلا بالإفادة من مناهج اللسانيات الحديثة عامة والدراسات الأسلوبية خاصة على ما أسلفنا بيانه فى غير هذا المكان^(١) وقد شملت العينات الثلاث :

١ - الجزء الثانى من وحي القلم للرافعى^(٢)

وقد اخترنا منه مقالاً بعنوان : «سمو الفقر فى المصطلح الاجتماعى الأعظم»، وهو مقال كتبه الرافعى فى ثلاث حلقات متتابعة، لهذا كان اختيارنا له، فهو أول مقال

(١) انظر مقدمة الطبعة الثالثة من كتابى : «الأسلوب»، وعنوانها : «عن اللسانيات العربية وقراءة النص الأدبى»، وكذلك الفصل الأول من الكتاب بعنوان : «الحاجة إلى منهج».

(٢) رجعنا إلى طبعة دار الكتاب العربى، بيروت، ص ٤٦-٥٨ من الجزء الثانى.

فى هذا الجزء يمكنه أن يستغرق العينة المطلوبة، والتى حددناها بثلاثة آلاف كلمة استغرقتها - على وجه التقريب - الحلقتان الأولى والثانية من المقال.

٢ - عبقرية محمد للعقاد (٣)

وقد اخترنا منه ثلاثة آلاف الأولى من كلمات الكتاب.

٣ - «الفتنة الكبرى»: «عثمان» لطف حسين (٤)

وهنا أيضاً تم اختيار ثلاثة آلاف الأولى من كلمات الكتاب، وبذلك بلغ مجموع العينات الثلاث تسعة آلاف كلمة وهو كم لا بأس به فى مجال دراسة تنوع المفردات.

ويلاحظ أن النماذج المختارة تنتمى جميعها إلى مجال الأدب الإسلامى، وفيها يعالج الكاتب أحداثاً وشخصيات من التاريخ الإسلامى على طريقتة الخاصة التى ينفرد بها، وعلى أى حال فإن تشابه الموضوع العام للعينات هو شرط تحسينى وليس شرطاً من شروط الصحة، ذلك لأننا لا ندرس دلالة كلمات بعينها ولا تعالج شكلها اللغوى فى النصوص ولكننا نفحص خاصية التنوع فى المفردات التى يستخدمها الكاتب فى نصوصه أياً كان الغرض الموضوعى الذى تنتمى إليه هذه المفردات.

ومن المتوقع أن تتماثل نسب التنوع فى أسلوب الكاتب بقطع النظر عن تغيير الموضوعات التى يتناولها.

وتبقى لنا مسألة مهمة فى هذه الفقرة تختص ببيان ما نعنيه بمصطلح «الكلمة» الذى اعتمدناه فى تحديد كم العينات المختارة. والحق أن تحديد هذا المصطلح استنفد جهداً كبيراً من اللسانيين المحدثين حتى استيأس بعضهم فحملة اليأس على الشك فى وجودها، واعتبرها خرافة علم اللغة» (٥).

(٣) رجعنا إلى طبعة الكتاب المنشورة فى الأعمال الكاملة، المجلد الأول، بيروت، ص ١١-٢٥.

(٤) رجعنا إلى طبعة الكتاب المنشورة فى الأعمال الكاملة، المجلد الرابع، بيروت، ص ١٩٩-٢٠٩.

(٥) راجع فى ذلك كتاب حلمى خليل: «الكلمة»: دراسة لغوية ومعجمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠، ص ٣٤، ومواضع متفرقة من الفصل الأول الذى أخلصه لاستعراض محاولات تعريف المصطلح.

ويمكن أن نرد هذا الخلاف - فيما نظن - إلى أنهم يحاولون تعريفاً لمفهوم الكلمة في اللغة المنطوقة والتي تتحقق فيزيقياً في هيئة كم متصل Continuum من المؤثرات الصوتية المتنوعة. وتجزئة هذا الكم المتصل إلى الوحدات التي يتكون منها غالباً موضوعاً للاجتهاد والاختلاف. أما على مستوى اللغة المكتوبة فقد تولى العرف وتقاليده الرسم الإملائي إعطاء تحديد للكلمة صادر عن منطق اللغة الخاص. وفي الكتابة تظهر على هيئة مجموعة من الحروف المتصلة خطأ والتي يفصل بينها وبين ما سواها فراغ أوسع نسبياً من كلتا الجهتين^(٦). وقد اعتمدنا في هذه الدراسة هذا التعريف لأن الاختلاف عليه قليل من ناحية، ولأننا ندرس بالفعل نصاً مكتوباً لا مقروءاً من ناحية أخرى. وإذن فليس المعتمد هنا على مصطلح الصوتيم Phoneme كوحدة للتحديد، بل على الحرفيم Grapheme^(٧). وتكون الكلمة بهذا المفهوم مجموعة حرفيمات متصلة في الرسم يفصل بينها وبين ما سبقها وما يلحقها فراغ أوسع نسبياً، ولهذا الفراغ دلالة على استقلال هذه المجموعة في تقاليد الكتابة، وهو بهذه الدلالة يشكل حرفيماً من حرفيمات اللغة العربية المكتوبة يمكن تسميته حرفيم المفصل Juncture Grapheme .

ذلكم أهم ما يتعلق بالعينات التي اختيرت لدراسة. أما طريقة قياسها فهي موضوع الفقرة التالية.

٢ - القياس :

هناك عدة مقاييس اقترحت لقياس خاصية تنوع المفردات^(٨) ومن أهمها ما

(٦) انظر المرجع السابق : ص ١٠٢-١٠٤.

(٧) ترجمة المصطلحين لعبد الرحمن أيوب، انظر كتابه : «اللغة والتطور» معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة : ١٩٦٩ ، ص ١٠٤.

(٨) من بين هذه المقاييس : مقياس كارول J.B. Carrol وقد عرضه في مقال له بعنوان : Diversity of Vocabulary and the Harmonic Series Law of Word Frequency Distribution, Psych, Rec., 1838, 2, 379-386.

وثمة عرض شامل لعدد من هذه المقاييس تجده في : G. Miller, "Language and Communication", New York, Toronto, London, 1963, pp.122-126.

اقترحه و. جونسون في دراسة بعنوان «اللغة والعادات السليمة في الكلام»^(٩) وكتاب «الناس في المآزق»^(١٠)، وفيهما يرى جونسون أن في الإمكان إيجاد نسبة لتتوزع المفردات في النص أو في جزء منه إذا ما حسبنا فيه النسبة بين الكلمات المتنوعة (أي المختلفة بعضها عن بعض) والمجموع الكلي للكلمات المكونة له.

ويطلق جونسون على الكلمات المتنوعة مصطلح «الأنماط» Types وعلى المجموع الكلي للكلمات مصطلح «التحققات» Tokens ومن ثم يطلق على نسبة التنوع Type-token Ratio (وتختصر عادة إلى TTR).

ويقتضى هذا المقياس أن ندخل في دائرة الكلمات المتنوعة كل كلمة جديدة ترد في النص - أو في بعض أجزائه - لأول مرة مع احتسابها مرة واحدة في العدد مهما تعددت مرات ورودها في الجزء الذي نفحصه من النص. وتُعد مثل هذه الكلمة «نمطاً» Type، وبعد إحصاء عدد الكلمات المتنوعة «الأنماط» يتم إيجاد نسبة التنوع بقسمة عددها على حاصل الجمع الكلي للكلمات «التحققات» Tokens.

وبواضح أن التوصل إلى عدد الأنماط في نص ما ليس أمراً بالغ السهولة فقد اقتضانا ذلك بالنسبة لكل عينة أن نقوم بما يلي :

(١) عمل نموذج لجداول تكون عدد خاناته حاصل ضرب 10×10 وبذلك يصل مجموع الخانات في الجدول الواحد ١٠٠ خانة (انظر النموذج في الجدول رقم (١)).^(١١)

(٢) تفريغ العينة كلها في هذه الجداول بحيث تكتب كل كلمة في خانة مستقلة وبذلك

(٩) عنوان الكتاب بالإنجليزية : W. Johnson, "Language and Speech Hygiene", Gen. Semantics, Monograph No. 1, 2 and ed., Chicago, Institute of General Semantics, 1941.

(١٠) "People in Quandaries" New York, Harper 1946.

(١١) من الممكن - بطبيعة الحال - اختيار نموذج الجدول يشتمل على عدد أكبر أو أصغر، ولكننا اخترنا الجدول المكون من مائة خانة قصداً لتيسير حساب النسبة.

استغرقت العينة الواحدة (والتي تتكون من ثلاثة آلاف كلمة) ٣٠ جدولاً.

(٣) حصر الأنماط فى كل جدول على حدة، وذلك بمراجعة أول كلمة من كلماته على سائر الكلمات الباقية فيه وعددها ٩٩ كلمة ثم شطب أى تكرار لهذه الكلمة يمكن أن يوجد فى حدود الجدول الواحد. ثم نبدأ بعد ذلك بمراجعة الكلمة الثانية فيه بالطريقة السابقة على الكلمات الباقية (وسيصير عددها ٩٨ كلمة) حتى تنتهى جميع المنه.

ثم نقوم بمثل ذلك فى سائر الجداول الأخرى وعددها بالنسبة للعينات الثلاث ٩٠ جدولاً.

(٤) الكلمات التى بقيت دون شطب تمثل ما نعنيه بالأنماط وهذه يتم حصرها وكتابة عددها أسفل كل جدول.

يبد أن الخطوات الأربع السابقة تؤدى إلى حصر الأنماط فى كل جدول على حدة. وهذا أمر مطلوب كما سنرى بعد - ولكنها لا تحصر الأنماط بالنسبة إلى العينة كلها! فقصارى ما تصل إليها من تطبيق هذه الخطوات ألا تتكرر الكلمة الواحدة فى كل منة، وهذا لا يمنع من تعدد مرات ورودها فيما يلحق من جداول. ومن ثم يتطلب الأمر القيام بخطوات أخرى لحصر الأنماط على مستوى العينة كلها، وهذه هى :

(١) مراجعة كل كلمة لم تشطب فى الجدول الأول على جميع الكلمات التى لم تشطب فى الجداول التسعة والعشرين اللاحقة بحيث يتم شطب جميع تكرارات الكلمة على مستوى النص كله.

(ويستحسن أن يتم الشطب فى هذه المرة بقلم ذى لون مخالف أو بإشارة مخالفة حتى يتبين للباحث ما تم شطبه على مستوى الجدول الواحد مما تم شطبه على مستوى العينة كلها).

(٢) مراجعة كل كلمة لم تشطب فى الجدول الثانى على جميع الكلمات التى لم تشطب فى الجداول اللاحقة (وعدها ٢٨ جدولاً). وهكذا حتى نفرغ من جميع الجداول الثلاثين التى تتكون منها العينة. وقل مثل ذلك فى العينيتين الأخريين بجدولهما الستين.

جدول رقم (١)

نموذج جدول التفرغ

مقياس جونسون لاختيار تنوع المفردات في النص

تعود	بنا	هذه	المقدمة	ثلاثين	سنة	إلى	اليوم	الذي	سمعت
فيه	أول	اقتراح	بتأليف	كتاب	عن	محمد	عليه	السلام	ركبت
أقيم	يومئذ	فسي	ضاحية	العباسية	البحرية	على	مقربة	من	الساحة
التي	كانت	معدة	للاحتفال	بالمولد	النبوي	فسي	كل	عام	ولنا
رابط	من	الأصدقاء	المشتغلين	بالآداب	يشترون	فسي	قراءة	كثيرة	العربية
والإفريقية	ويترددون	معا	على	الأحياء	الوطنية	وقلما	يترددون	على	غيرها
فلا	يزالون	متنقلين	فترة	بعد	فترة	بين	التي	الزينية	والتي
الحسيني	أو	بين	منشئة	القلعة	وضاحية	العباسية	أو	بين	الروضة
والخليج	على	حسب	المناسبات	على	غير	مناسبة	فسي	كثير	من
الأوقات	ركان	رابطا	له	تقائض	الدنيا	مجتمعات	تقائض	الشباب	تقائض

مصدر النص : عبقريّة محمد صفحة ١١ - المؤلف العقاد - رقم الجدول (١).

No. of Types 70

TTR 0.7

No of Tokens 100

(٣) لكى نضمن دقة الحصر قمنا بعد إجراء هاتين المجموعتين من الخطوات بتفريغ الكلمات الباقية بون شطب فى جداول مماثلة تحمل سلسلة الأرقام نفسها من ١ إلى ٣٠ فى كل عينة من العينات الثلاث. ومن المتوقع أن يكون عدد الكلمات المفرغة فى الجداول الأخيرة أقل بكثير من عددها فى الجداول الأصلية مما يسهل عملية حصرها بالطريقة السابقة نفسها وياتباع المراحل نفسها، وذلك حتى نستدرك ما عسى أن يكون قد تقلت من نظرنا أثناء الحصر الأول، وحتى يطمئن الباحث تماماً إلى دقة مراحل القياس.

(٤) راجعنا بعد ذلك جداول التصفية على الجداول الأصلية لشطب ما تم اكتشافه من تكرارات.

(٥) تم حصر عدد «الأنماط» فى هذه المرحلة فى كل جدول من جداول التصفية مع مراجعة حاصل الجمع على الجدول الأسمى المقابل فإذا توافق الرقمان كان ذلك دليلاً على دقة الإحصاء، وإلا فلا بد من إعادة التدقيق لاستكشاف أسباب التخالف واستدراكها.

(٦) يكتب عدد الكلمات المستخرج من المرحلة السابقة تحت الجدول الخاص به.

ومن الواضح أننا بذلك نكون قد استخرجنا رقمين من كل جدول : الأول « للأنماط » على مستوى الجدول، والثانى « للأنماط » على مستوى العينة كلها ومن ثم يجب تمييز كل رقم بعلامة مميزة. (يمكن - على سبيل المثال - كتابة كل رقم باللون الذى استعمل فى شطب الكلمات ذات العلاقة بهذا الرقم).

(٧) تتبع نفس الخطوات السابقة على العينتين الآخرين كل على حدة.

بهذه المجموعة من الخطوات يمكن التوصل إلى عدد «الأنماط» (الأنواع) على المستويين :

الأول : عددها بين كل مائة كلمة من كلمات العينة.

الثانى : عددها فى العينة المدروسة كلها.

وسنرى أهمية هذين المستويين عند الكلام على طرق استخراج النسبة المطلوبة من المعلومات المتوافرة لدينا نتيجة إجراء العمليات السابق ذكرها.

وقبل أن نأخذ فى بيان هذه الطرق نود أن نوضح الشروط التى أجرى تحتها الحصر السابق، فبالى أى مدى وعلى أى أساس يمكن أن تعد كلمة ما مختلفة (أى «نمطاً») بالنسبة للآخرى؟ وبين يدي الإجابة عن هذا السؤال نود أن نقدم هذا التنبيه، إذ الشروط التى سنذكرها إجرائية محض، وهى لا تلزم غيرنا ممن يريد معالجة عينة أسلوبية ما على هذا المنهج فمن حقه أن يحدد شروطه على النحو الذى يراه شريطة أن يلتزمها فى جميع ما يدرس إلزاماً صارماً.

أما فى هذا «المبحث» فقد رأينا أن تحقيق قياس أدق لخاصية تنوع المفردات يتطلب الإلتزام بما يلى :

(١) يحتسب الفعل The Verb كلمة واحدة مهما تختلف صيغه بين مضى ومضارعة وأمر، ومهما اختلفت كذلك جهات إسناده إلى المفرد والمثنى والجمع تذكيراً وتأنيثاً.

(٢) لا يعتد باختلاف صيغ الأسماء أفراداً وتثنية وجمعاً بوصفها أنماطاً إلا إذا كان المثنى أو الجمع من غير لفظ المفرد.

(٣) لا يعتد باختلاف الاسم تذكيراً وتأنيثاً بوصفها أنماطاً إلا إذا كان المؤنث من غير لفظ المذكر.

(٤) إذا تعدت صيغ الجموع احتسبت «أنماطاً» أى كلمات مختلفة.

(٥) إذا اتصلت بالاسم اللاحقة الدالة على النسب أو لاحقة المصدر الصناعى فإن الصور الثلاث تعتبر «أنماطاً» وعلى ذلك فمثل «إنسان - إنسانى - إنسانية (مصدر صناعى)» تعتبر ثلاث كلمات مختلفة.

(٦) إذا دلت الكلمة على أكثر من معنى معجمى على جهة الاشتراك اعتبرت كلمات مختلفة (أى «أنماطاً»).

(٧) يعتد بالكلمة الرئيسة فقط مهما تعددت السوابق والواحق، فكلمات مثل : «محمد - لمحمد -، هذا - بهذا - لهذا، ما (موصولة) - بما - كما - فيما، له - لنا - لكم» تعتبر كل مجموعة منها كلمة واحدة.

(٨) إذا اختلفت صيغ الأفعال بين ثلاثية ورباعية وخماسية وسداسية، وكذلك المصادر والمشتقات فإن وحدة الجذر لا تحول دون احتسابها «أنماطاً».

هذه هي أهم الشروط التى التزمناها فى الإحصاء، هذا، وإن هذه الشروط فى تطبيق المقياس هى أصلح شئ فى ظننا لمقاربة النصوص ذات الطول المناسب. أما إذا أريد إخضاع مدونة كبيرة فى حجمها للمعالجة الحاسوبية، فربما كان من الأنسب تعديل الشروط أو تكييفها بحيث يكون مطلق الاختلاف فى الصورة الكتابية البصرية مثبتاً لوجود التنوع؛ ذلك أن اعتماد هذا المبدأ سييسر مهمة المبرمج إلى حد كبير، وصحيح أن الطريقة اليدوية أدق وأدق فى مقام قياس التنوع، بيد أن الطريقة الثانية أسرع وأنجح عند معالجة المدونات الكبرى، والآن نعرض للطرق التى يتم بها حساب نسبة التنوع.

٣ - طرق حساب النسبة :

اقترح جونسون أربع طرق يمكن حساب نسبة تنوع المفردات باستخدام واحدة منها أو أكثر حسبما يراه الباحث مفيداً محققاً لهدفه من الدراسة. وهذا عرض مع التمثيل للطرق الأربع^(١٢) قبل تطبيقها على العينات الثلاث التى اخترناها للدراسة :

الطريقة الاولى : إيجاد النسبة الكلية للتنوع Over-All TTR :

وفىها تحتسب نسبة التنوع على مستوى النص أو العينة بكاملها ويتطلب حساب

(١٢) W. Gohnson, "People in Quandaries, pp. 502-505.

النسبة بهذه الطريقة حصر الأنماط فى النص كله وقسمة عددها على الطول الكلى «التحقيقات» مقدراً بعدد الكلمات المكونة للنص.

مثال :

إذا كان لدينا نص يتكون من ١٠٠٠ كلمة، وكان عدد الأنماط فيه ٢٥٠ كلمة فإن النسبة الكلية للتنوع تحسب بقسمة $\frac{250}{1000}$ وتساوى بذلك ٠,٢٥ .

الطريقة : إيجاد القيمة الوسيطة لنسبة التنوع The Mean Segmental

ويتطلب استخدام هذه الطريقة اتباع الخطوات الآتية :

(١) تقسيم النص أو العينة إلى أجزاء متساوية الطول.

(٢) حساب نسبة الأنماط إلى التحقيقات فى كل جزء على حدة.

(٣) أخذ القيمة الوسيطة لقيم نسبة التنوع فى الأجزاء المختلفة. وذلك بجمع هذه القيم ثم قسمتها على عدد الأجزاء المكونة للنص.

مثال :

لنفترض أن لدينا نصاً يتكون من ٣٠٠ كلمة، وقسمناه إلى ثلاثة أجزاء بحيث يتكون كل جزء من ١٠٠ كلمة.

فإذا كان عدد الأنماط فى الأجزاء الثلاثة على التوالى ٦٠، ٥٠، ٤٠ فإن النسب ستكون على الترتيب ٠,٦، ٠,٥، ٠,٤ كما سيكون مجموعها ١,٥ ويقسمة هذا العدد على ٣ (وهو عدد الأجزاء) تصير القيمة الوسيطة للتنوع فى هذا النص ٠,٥ .

الطريقة الثالثة : إيجاد منحنى تناقص نسبة التنوع

The Decremental TTR Curve

ويتطلب ذلك :

- (١) تقسيم النص إلى أجزاء متساوية الطول.
- (٢) حساب النسبة في الجزء الأول من النص. وذلك بحصر الأنماط وقسمة عددها على المجموع الكلى للتحقيقات في هذا الجزء.
- (٣) حصر الأنماط في الجزء الثاني من النص دون أن ندخل فيها أى كلمة سبق ورودها في الجزء الأول.
- (٤) إيجاد النسبة في الجزء الثاني بقسمة عدد الأنماط التي تم حصرها على المجموع الكلى لتحقيقات الجزء الثاني فقط.
- (٥) تتبع الطريقة نفسها مع الجزء الثالث وكذلك سائر الأجزاء إلى أن تنتهى جميع الأجزاء المكونة للعينة.

مثال :

لنفترض أنه عند فحص النص الذي يتكون من ٣٠٠ كلمة مقسماً على ثلاثة أجزاء قد تبين لنا أن عدد الأنماط في الجزء الأول ٦٠ كلمة، وأن عددها في الجزء الثانى والتي لم تظهر من قبل في الجزء الأول هو ٤٠ كلمة، وعددها في الجزء الثالث «بشرط عدم ورود أى منها في الجزئين السابقين» ٢٠ كلمة - فإن حساب منحنى تناقص النسبة يتم بالطريقة الآتية :

$$\begin{aligned} \text{النسبة في الجزء الأول} &= \frac{60}{300} = 0,2 \\ \text{النسبة في الجزء الثانى} &= \frac{40}{300} = 0,13 \\ \text{النسبة في الجزء الثالث} &= \frac{20}{300} = 0,06 \end{aligned}$$

ومعنى ذلك أن خاصية التنوع تتناقص مسجلة في تناقصها النسب السابقة.

الطريقة الرابعة : إيجاد منحنى تراكم نسبة التنوع

The Cumulative TTR Curve

ويتم حسابه على النحو التالي :

- (١) تقسيم النص إلى أجزاء متساوية الطول.
 - (٢) إيجاد النسبة بين الأنماط والمجموع الكلى لتحققات الجزء الأول.
 - (٣) بالنسبة للجزء الثانى يتم إيجاد النسبة بين الأنماط - والتي لم يسبق لها أن ظهرت فى الجزء الأول - وبين المجموع الكلى لتحققات هذا الجزء فقط.
 - (٤) نقوم بجميع عدد الأنماط فى الجزء الأول إلى عدد الأنماط فى الجزء الثانى ثم نحصل على نسبة التراكم بقسمة حاصل جمعها على المجموع الكلى لتحققات الجزئين معاً.
 - (٥) نسبة التراكم فى الجزء الثالث تساوى حاصل جمع عدد الأنماط فى الأجزاء الثلاثة مقسوماً على الطول الكلى للنص «مقدراً بعدد التحققات المكونة للأجزاء الثلاثة».
- وهكذا حتى تنتهى جميع الأجزاء المكونة للنص أو العينة.

مثال :

يتم إيجاد منحنى التراكم للعينة المذكورة فى المثال السابق بالخطوات الآتية :

$$\text{النسبة فى الجزء الأول} = \frac{60}{100} = 0.6$$

$$\text{النسبة فى الجزء الثانى} = \frac{40}{100} = 0.4$$

$$\text{نسبة تراكم التنوع حتى نهاية الجزء الثانى} = \frac{40 + 60}{200} = 0.5$$

$$\text{نسبة التنوع فى الجزء الثالث} = \frac{20}{100} = 0.2$$

$$\text{نسبة تراكم التنوع حتى نهاية الجزء الثالث} = \frac{40 + 60}{300} = 0.4$$

وهكذا يستبين لنا الفرق بين إيجاد منحني التناقص «المبين في الطريقة الثالثة» وإيجاد منحني التراكم «الطريقة الرابعة» وبَيِّنُ هنا أن التنااسب بينهما عكسي لا طردي.

تلكم هي الطرق الأربع التي يمكن باستخدامها حساب نسبة تنوع المفردات في الأسلوب (١٣). وليس من بينها واحدة هي أولى بالاتباع من الأخريات فجميعها صالح لقياس هذه الخاصية، ولإعطائنا مؤشراً دالاً على التنوع وعلى حجم الثروة اللفظية في أسلوب الكاتب أو الشاعر. واختيار طريقة دون أخرى هو أمر مرجعه إلى الباحث نفسه. بيد أن في الإمكان بوجه عام أن نقول إن الطريقة الأولى الخاصة بإيجاد النسبة الكلية للتنوع «بشروط معرفتنا بالطول الكلي للنص» والطريقة الثانية المتعلقة بإيجاد القيمة الوسيطة لنسبة التنوع بين أجزاء النص يمكن أن تعدا الباحث بمؤشر أكثر وضوحاً إن كان هدفه التمييز بين أسلوب منشئ ومنشئ دون التعرض تفصيلاً لنقد النص واستخراج المعدلات التي تدخل بها الكلمات الجديدة فيه إذ إنهما لا تغنيان في هذا المجال غناء الطريقتين الثالثة والرابعة اللتين يمكن باستخدامهما إيجاد نسبة تناقص التنوع ونسبة التراكم علي التوالي، وهذا لا ينفي إمكان الاعتماد على الطرق الأربع جميعاً في تمييز أساليب المنشئين.

ولعل تتبع هذا العرض لطرق حساب نسبة التنوع يعين على توضيح الأسباب التي من أجلها قمنا في العينات الثلاث بحصر الأنماط بالنسبة لكل جدول على حدة ثم بالنسبة للينة كلها.

ولقد استخدمنا في معالجة العينات الثلاث الطرق الأربع التي أسلفنا شرحها، وذلك بهدف تمييز أساليب الأعلام الثلاثة وإن كنا في بحثنا هذا لم نستغفد جميع الإمكانيات التي يمنحنا إياها استخدام الطريقتين الثالثة والرابعة فذلك ما لم نقصد إليه حتى لا نخرج بالبحث إلى إطالة تتجاوز الحدود المرسومة له سلفاً ولنا إن شاء الله عودة

١٠١

فى قابل لدراسة أكثر تفصيلا نعالج فيها مسألة تنوع المفردات ونضيف بها مقياس أخرى معتمدة فى هذا المقام.

٤ - نتائج القياس :

نسجل فى مجموعة الجداول والرسوم البيانية الآتية التى توصلنا إليها باستخدام هذا المقياس لفحص النماذج المختارة من كتابات العقاد والرافعى وطه حسين.

جدول رقم (٢)

النسبة الكلية للتنوع فى العينات الثلاث

الكاتب	النسبة الكلية للتنوع
العقاد	٠.٣٩
الرافعى	٠.٣٣
طه حسين	٠.٢٥

جدول رقم (٣)

نسبة التنوع باستخدام القيمة الوسيطة فى العينات الثلاث
(كل عينة مقسمة إلى ٣٠ جزءا فى ٦ مجموعات، وتتكون المجموعة من ٥٠٠ كلمة)

الكاتب	النسبة الكلية للتنوع						القيمة الوسيطة
	١	٢	٣	٤	٥	٦	
العقاد	٠.٧٣	٠.٧٥	٠.٦٨	٠.٧٢	٠.٧٤	٠.٧٠	٠.٧٢
الرافعى	٠.٧٢	٠.٦٦	٠.٧٢	٠.٧٠	٠.٧٣	٠.٧٢	٠.٧١
طه حسين	٠.٦٩	٠.٥٩	٠.٦٧	٠.٦٦	٠.٦٤	٠.٦٣	٠.٦٥

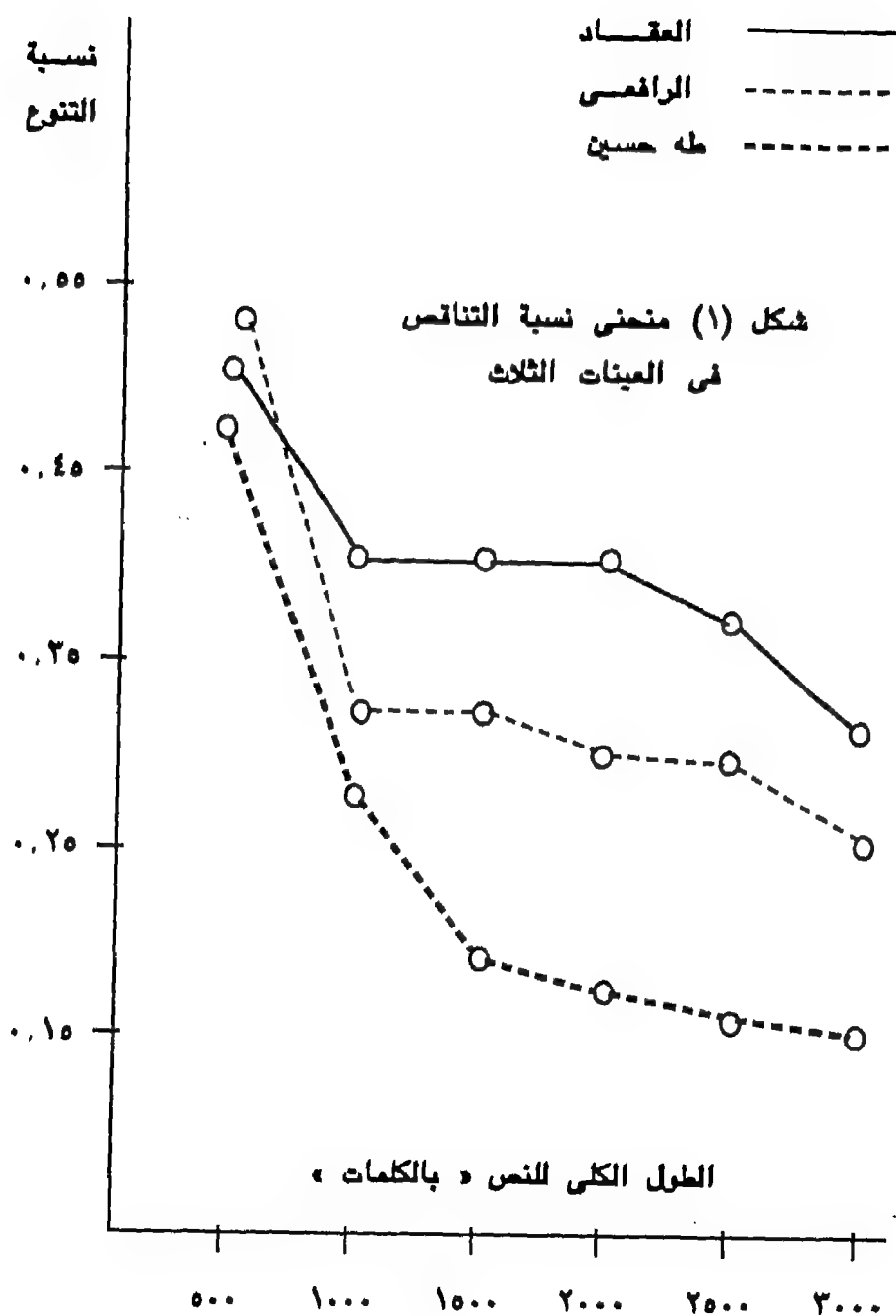
جدول رقم (٤)
نسبة تناقص التنوع
(كل عينة مقسمة إلى ستة أجزاء والجزء يتكون من ٥٠٠ كلمة)

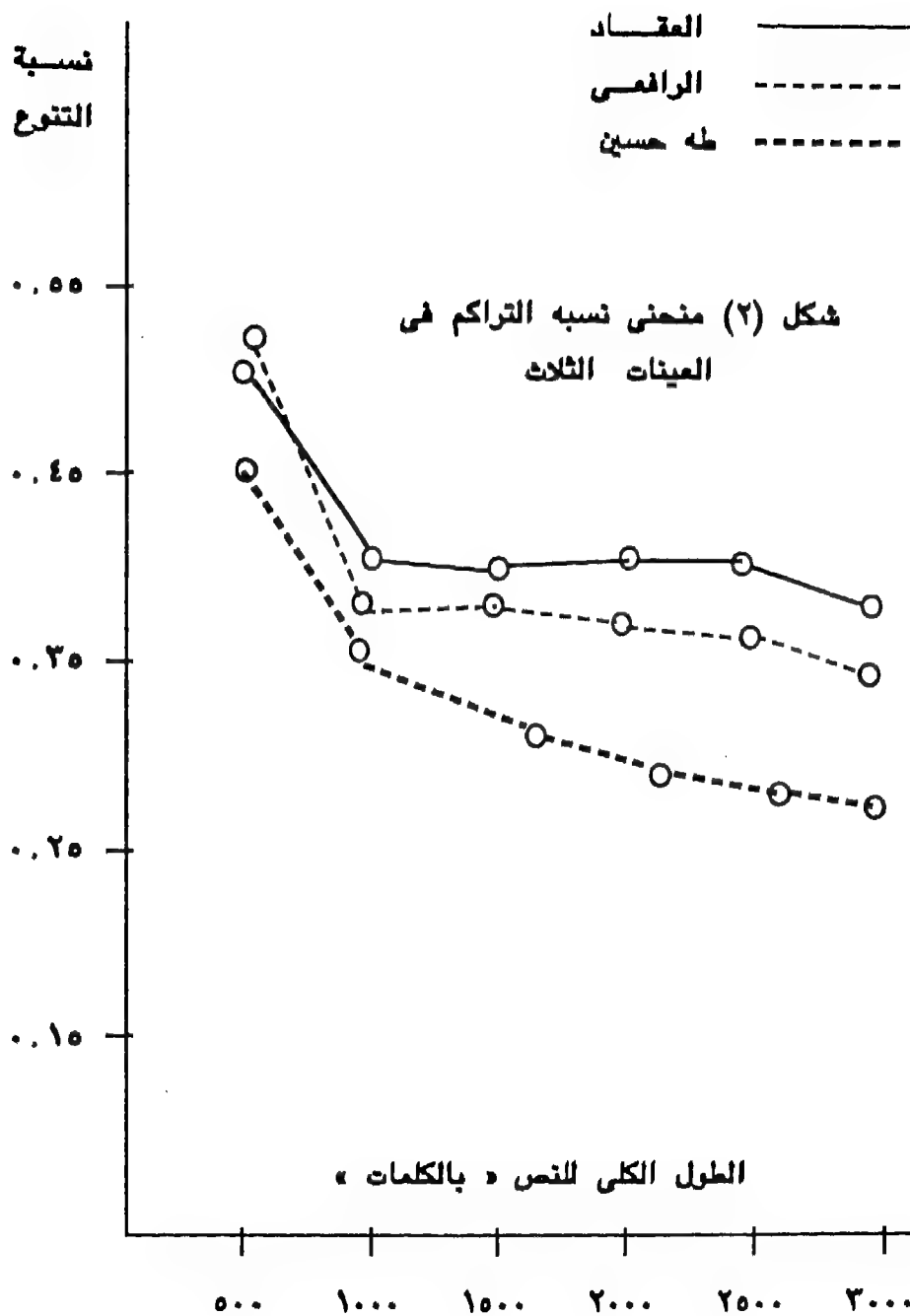
الكاتب	نسبة تناقص التنوع بين الأجزاء					
	١	٢	٣	٤	٥	٦
العقباد	٠.٥١	٠.٤٠	٠.٤٠	٠.٤٠	٠.٣٦	٠.٢٧
الرافعى	٠.٥٢	٠.٣٣	٠.٣٣	٠.٣٠	٠.٢٩	٠.٢٤
مطه حسين	٠.٤٧	٠.٢٨	٠.٢٢	٠.٢٠	٠.١٨	٠.١٧

جدول رقم (٥)
النسبة التراكمية للتنوع فى العينات الثلاث
(كل عينة مقسمة إلى ستة أجزاء والجزء يتكون من ٥٠٠ كلمة)

الكاتب	النسبة التراكمية للتنوع فى العينات الثلاث					
	١	٢	٣	٤	٥	٦
العقباد	٠.٥١	٠.٤٥	٠.٤١	٠.٤١	٠.٤١	٠.٣٩
الرافعى	٠.٥٢	٠.٤٢	٠.٣٩	٠.٣٧	٠.٣٥	٠.٣٣
مطه حسين	٠.٤٧	٠.٣٨	٠.٣٢	٠.٢٩	٠.٢٧	٠.٢٥

١٠٢





٥ - ملاحظات على النتائج :

نلاحظ ابتداءً أن قياس النسبة الكلية للتنوع يرشدنا إلى أن أكثر الأساليب الثلاثة تنوعاً هو أسلوب العقاد (٠.٣٩) وأقلها هو أسلوب طه حسين (٠.٢٥) على حين يتوسط أسلوب الراقعي بينهما وإن كان أقرب إلى الأسلوب الأول منه إلى الثاني (٠.٣٣) ودلالة النسبة الكلية على التنوع صحيحة إذا ما توافر فيها شرطان :

الأول : أن تكون أطوال العينات التي هي موضوع المقارنة متساوية.

الثاني : أن نعرف بالضبط الطول الكلى للعين.

وقد توافر لنا الشرطان فيما عالجنا من عينات فحددناها بثلاثة آلاف كلمة لكل عينة، ومن ثم فالحكم الذى توصلنا إليه صحيح فى إطار المادة المختارة والشروط التى طبقت عليها.

وشهد لصحة الحكم أن قياس الخاصية باستخدام الطرق الأخرى يؤدى بنا إلى النتيجة نفسها، فالقيمة الوسيطة للتنوع فى أسلوب العقاد (٠.٧٢) وهى عند الراقعي (٠.٧١) وعند طه حسين (٠.٦٥).

ويفسر لنا الشكلان ١، ٢ الكثير من طبيعة المقياس من جهة، ومن خصائص أساليب الأعلام الثلاثة من جهة أخرى. فأما عن طبيعة المقياس نفسه فقد نبه ج. ب. استوب G. B. Estoup^(١٤) على إحدى الصعوبات التى تواجه من يستخدمه من الباحثين، وفجوها أن معدل الزيادة فى عدد الأنماط أقل بكثير من معدل الزيادة فى المجموع الكلى للكلمات المكونة للنص، إذ إن احتمال تكرار الكلمات يزيد بزيادة طول النص حتى إن الأجزاء منه قد تتشكل فى الأعم الغالب من كلمات سبق ورودها وتتضاعل الفرصة أمام الكلمات الجديدة للظهور. ولما كانت هذه ظاهرة عامة تحكم العلاقة ما بين الأنماط والمجموع الكلى لتحققات النصوص وجدنا أن الاتجاه العام للمنحنىات فى الشكلين ١، ٢ واحد مع جميع الأساليب، فهى جميعاً تبدأ بقيمة أعلى ثم تتجه إلى الانحدار. بيد أن الكتاب الثلاثة يختلفون اختلافاً مميزاً فى درجات الانحدار : حيث

يبدو المنحنى الممثل لأسلوب العقاد أقل الثلاثة انحداراً يليه المنحنى الخاص بالرافعى على حين يبدو انحدار المنحنى أكثر وضوحاً فى أسلوب طه حسين.

ويرتبط ذلك كله بنتائج قياس نسبة التناقص «ويمثلها الشكل ١ ، والجدول ٤» وقياس نسبة التراكم «ويمثلها الشكل ٢ ، والجدول ٥ ، ومن هذه الزاوية نجد :

١- أن أسلوب العقاد يتميز بنسبة تراكم أعلى ونسبة تناقص أقل. ومن ثم يتخذ أسلوبه نسبة تنوع ثابتة تقريباً ابتداءً من الجزء الثالث فى النص أى على مدى النصف الثانى كله من العينة.

٢ - أن أسلوب الرافعى يتميز بنسبة تراكم أقل نوعاً ما من أسلوب العقاد كما أن نسبة التناقص فى التنوع عنده أعلى من سابقه، ويتناقص التنوع عنده بشكل حاد بعد الكلمات الخمسة الأولى ثم يثبت تقريباً فى الجزئين الثانى والثالث، وتسجل القيمة نقصاً آخر مع ثباتها تقريباً فى الجزئين الرابع والخامس، ثم تنحدر انحداراً واضحاً فى الجزء السادس والأخير.

٣ - أن أسلوب طه حسين يتميز بأنه أقل الأساليب الثلاثة فى نسبة التراكم، وأنه أعلاها جميعاً فى نسبة التناقص. ويكاد يقف التنوع فيه عند نسبة ثابتة ابتداءً من الجزء الرابع «من ١٥٠٠ - ٢٠٠٠ كلمة» حتى الجزء السادس والأخير.

ونخرج مما سبق بأن أسلوب العقاد أعلى الأساليب الثلاثة تنوعاً يليه أسلوب الرفعى ثم بعد فاصل كبير نوعاً يأتى أسلوب طه حسين، ومن ثم يمكن القول - بطريق الاقتضاء بأن حجم الثروة اللفظية عند الكتاب الثلاثة يسير فى خطوط موازية غالباً للمنحنيات التى يسجلها قياس خاصية التنوع.

ولقد لاحظنا أن الفارق بين نسبة التنوع عند العقاد والرافعى ليس كبيراً على حين يفصل بين الكاتبين من جهة وطه حسين من جهة أخرى فارق ملحوظ. ويمكن التماس العلة لهذا الأمر فى الفارق ما بين خواص اللغة المكتوبة Written Language واللغة المنطوقة Spoken Language فالحق أن أسلوب الرافعى والعقاد أسلوب كتابى خالص

يخضع للتسويد والتبيض والتنقيح والتحكيك. أما أسلوب طه حسين فنحن نتوقع أنه أسلوب وسط ما بين المكتوب والمنطوق ضرورة أنه يملأ كتيبه على مستعلا وحينئذ تكون الفرصة لطول التنقيح والمراجعة أقل موثقة. وإن فهو فارق ما بين معاناة التجويد المقصود للأسلوب وما يشبه أن يكون تلقائية الأداء.

ونود أن نؤكد أن الوصول إلى هذه النتيجة من الموازنة بين الأساليب الثلاثة لا تعنى بالضرورة قدحاً أو مدحاً بقدر ما تعنى التشخيص والتوصيف، وتحديد موقف هذا الأسلوب أو ذلك من المعيار الإحصائي الذي يجري تحكيمه.

ومن الأهمية بمكان التأكيد أيضاً أن أسلوب الكاتب أو الشاعر لا يمكن تمييزه بالطرق الإحصائية على نحو متكامل إلا باستخدام منظومة (أو بطارية) من المقاييس المتنوعة يمكن بها قياس عدد دال من الخواص الأسلوبية. ومن المتوقع عند الموازنة - على سبيل المثال - أن تتقاطع خطوط توزيع الخواص الأسلوبية على نحو غير منتظم، فقد يتفق الأسلوبان (أ) و (ب) في خاصية يختلفان فيها عن الأسلوب (ج) على حين يثبت استخدام مقياس آخر لخاصية أخرى التشابه بين (أ) و (ج) دون (ب). من ثم يتم التحديد والتمييز بين الأساليب على أساس اعتماد أكبر مجموعة ممكنة من الخواص يتميز بها أسلوب من أسلوب مع وجود الفرصة للتشابه بين هذا الأسلوب أو ذلك في خاصية أو أكثر.

والعينات الثلاث التي نقوم الآن بفحصها تقدم لنا دليلاً جيداً على هذه الظاهرة، فالتقارب بين أسلوب الرافعي وأسلوب العقاد في خاصية تنوع المفردات لا يعنى أن الأسلوبين شيء واحد، وإنما الذي يعنيه أن هذه الخاصية على وجه الخصوص لا تصلح معياراً حاسماً بين أسلوب الرافعي وأسلوب العقاد على حين تصلح معياراً جيداً بين أسلوب كل منهما وأسلوب طه حسين تنهض بغرض التمييز بينهما. وإذن فهناك خواص أخرى غير هذه الخاصية هي التي ستتكفل بالتمييز الحاسم بين أسلوب الرافعي والعقاد فإن قيل : وما هي ؟ قلنا : ذلك متروك للتجربة والاختبار وتطبيق مقاييس أخرى. وقد قمنا في غير هذا البحث بدراسة إحصائية أخرى وأزنا فيها بين أسلوب العقاد

وطه حسين من حيث خاصية الانفعالية والعقلانية وتبين لنا صلاحية معامل بوريمان للقيام بهذه المهمة على وجه جديد بالتعويل عليه ولعله يحتاج لنا أو لغيرنا تطبيق هذا المعامل على عينة من أسلوب الرافعى ليتسنى لنا تحديد ملامحه بهذا الاعتبار. (١٤)

٦ - علاقات تنوع المفردات بصعوبة الأسلوب :

لاحظ بعض العلماء وجود صلة وثيقة بين صعوبة الأسلوب وارتفاع نسبة التنوع فيه مما حدا بهم إلى القول بأن نسبة التنوع هى أفضل مقياس يمكن به اختبار مدى الصعوبة فى الأسلوب. (١٥)

وترجع العلاقة بين الخاصيتين إلى أمر يمكن توقعه، فالكااتب أو الشاعر الذى يتميز بنسبة تنوع عالية فى المفردات أى بوجود عدد كبير من الأنماط يلجأ عادة إلى استخدام كلمات غير مألوفة لكى يزيد من تنوع ألفاظه.

وتصدق النتائج التى حصلنا عليها من قياس العينات الثلاث حكم النوق الذى يقضى بأن كتابات العقاد والرافعى تعتبر فى باب الصناعة الأسلوبية على درجة من الصعوبة والتعقد إذا ما قيست إلى كتابات طه حسين.

وها نحن أولاء نجد قياس نسبة التنوع يفتح لنا باباً واسعاً لقياس خاصية أخرى من أهم الخواص الأسلوبية التى يهم الدارس تحديدها.

ونجتزئ هنا بهذه الإشارة لقياس صعوبة الأسلوب بمقاييس أخرى غير هذا المقياس، ومجال آخر غير هذا المجال. ولعلنا نوفق إن شاء الله إلى تناول هذا الموضوع فى دراسة نظرية وتطبيقية أخرى.



(١٤) انظر فصلاً بعنوان : «نماذج تطبيقية من الأساليب النثرية» فى كتابنا : «الأسلوب : دراسة لغوية إحصائية».

(١٥) انظر : M. vogel and C. Washburne, "An Obejective Method of Determining Grade Placement of chiledrens Reading Material", Elementary School Journal, 1928, 28, 373-375.

المبحث الثالث

تحقيق نسبة النص إلى المؤلف

دراسية أسلوبية إحصائية في الثابت والمنسوب

من شعر شوقي

– مقدمة فى تحديد المشكلة وكيف عالجهـا الدارسون :

من المعروف أن جانباً ليس بالهين من تراثنا القديم والحديث لا سيما فى مجال الأدب ما يزال مجهول المؤلف. كما أن بعضه ما يزال موضع جدال فى أمر نسبته إلى مؤلف بعينه. حين ترشح الأدلة المتعارضة أكثر من مؤلف للنص الواحد؛ وحين تتعـدم الشواهد الوثائقية والنصية المرجحة أو النافية لهذا الاحتمال أو ذاك يجد الباحث نفسه فى مواجهة مباشرة مع النص وحده. وهذا يشكل بدوره أحد التحديات العلمية التى توجب عليه أن يعيد النظر فى أنواته ووسائله المنهجية ليرفع من كفاءتها وقدرتها على مواجهة المشكلة، ومحاولة حلها على أساس علمى مقبول.

ولا شك أن مواجهة النص فى مغامرة علمية على جانب كبير من الخطورة، كما أنها فى إيجاز معبر مواجهة للغة النص، ومحاولة للكشف من خلالها عما يمكن تسميته «البصمة الأسلوبية» Stylistic Finger Print التى يمتاز بها شاعر أو كاتب من سائر من عداه من الشعراء أو الكتاب، وبها أيضاً يمكن الاهتداء فى أى محاولة علمية للكشف عن شخصية «المؤلف المجهول» المستخفية خلف قناع من اللغة.

وسبيلنا الوحيد إلى هذا الكشف هو تحديد السمات الأسلوبية الفارقة بنى أسلوب منشئ بعينه وغيره من المنشئين كما تظهرنا عليها النصوص الثابتة النسبة له، متخذين إياها معياراً للقياس Norm ، ثم مقارنة ما توصلنا إلى تحديده من سمات بنظائره فى النصوص التى هى موضع النظر، لنحدد بذلك مدى التطابق أو التشابه أو الانحراف عن النمط المتخذ معياراً للقياس، وهكذا يمكن أن نرجح إثبات النسبة أو نفيها على أساس من الدراسة الموضوعية للنصوص^(١).

ولقد عنيت الدراسات الأسلوبية، وما تزال تعنى، بقضية تحقيق نسبة النصوص غير ذات النسب الصريح إلى مؤلفيها، وحاول علماء هذا الفرع من فروع البحث اللسانى

(١) انظر لبيان مفهوم النمط والانحراف كتابى : «الأسلوب : دراسة لغوية وإحصائية».

أن يبتكروا من الوسائل المنهجية ما يعينهم على تحقيق هذه الغاية، وكان علم الإحصاء الأسلوبى Stylostatistics فى مقدمة ما اعتمدوا عليه فى مباحثهم الأسلوبية بوجه عام، وفى هذه المسألة التى نحن صدها على وجه الخصوص^(٢) ذلك أن ارتباط الإحصاء الأسلوبى بهذه المسألة قد بدا وثيقاً منذ أوائل نشأته فى أواسط القرن التاسع عشر حين كتب أوغسطس دى مورجان Augustus De Morgan أستاذ الرياضيات بجامعة لندن رسالة إلى صديقه و. هيلد W. Heald فى عام ١٨٥١ يظهر فيها ما أثار اهتمامه من ارتباط بين الشخصية والأسلوب، وقد اقترح دى مورجان فى رسالته على هيلد أن يقوم بإحصاء لطول الكلمة فى نصوص يونانية متنوعة لكى يثبت أن الشخص الواحد يكون منسجماً مع نفسه من حيث الخواص الأسلوبية حتى حين يكتب فى موضوعين مختلفين أكثر من شخصين مختلفين يكتبان فى موضوع واحد^(٣).

وعلى الرغم من أن العهد بشاعر العربية الكبير أحمد شوقى ما يزال غير بعيد، وأن عدداً ممن صادقوه وعاشوا معه مشكلات عصره ما يزال حياً فإن جانباً من النتائج الشعرى الذى نشر فى حياته بتوقعات مستعارة أو غفلاً من التوقع يثير الخلاف حول نسبته إلى شوقى أو غيره من شعراء طبعته، ولقد توافرت الدواعى لحمل شوقى وغيره من شعراء جيله على ارتكاب هذه الطريقة فراراً من ضغوط الصراع السياسى بين محاور الاستقطاب الثلاثة : الخلافة العثمانية والقصر والاحتلال الأجنبى، وكانت هذه الحقيقة هى منشأ الخلاف حول نسبة ذلك الشعر فى حياة الشاعر.

ومن الإنصاف أن نذكر بالإعجاب والتقدير ذلك الجهد الدائب المشكور الذى بذله محمد صبرى، وما تحمله من عناء الرحلة فى بطون الصحف والمجلات القديمة، ومن مشقة استنطاق الرجال حتى وفق إلى جمع عدد كبير من القصائد والمقطوعات منها ما صحت نسبته إلى شوقى على وجه القطع، وهى القصائد المبهورة بتوقيعه ولم ترد مع

(٢) انظر فى المرجع السابق الفصل الثالث بعنوان : « الإحصاء ودراسة الأسلوب ».

(٣) انظر : N.E. Enkvist, "Linguistic" Mouton, 1973, p. 129.

ذلك فى ديوانه المنشور. ومنها ما يكاد يرقى فى حجته إلى مرتبة القطع؛ وهى القصائد المبهورة بإمضاء مستعار تكشف حقيقته مع الزمن. ومنها ما ينسب المحقق إلى شوقى اعتماداً على تمرسه الطويل بالشعر والشعراء، ولا سيما من أهل ذلك العصر الذى كان المحقق أحد شهوده، وهو يرى «أن لكل شاعر نفساً وأسلوباً، وأن الحكم على نفس الشاعر وأسلوبه يتطلب ممارسة طويلة للشعر نظماً ودراسة ونقداً». وقد استطاع بما تهيأ له من ذلك أن يتعرف إلى القصائد التى نسبها إلى شوقى مستنداً كما يقول «بالأنفاس النمامة»، التى تؤلف بامتزاجها بالأسلوب امتزاج الروح بالجسد، ملامح الشخصية، كما أن ذلك الشعر «المجهول» كثيراً ما كان ينبه الأصداء البعيدة النائمة فى قوادنا فنستدل بها عليه^(٤).

على أن المحقق يقرر أن الخطأ فى نسبة هذا النوع الأخير من القصائد واردة فيقول: «إننا لا ندعى العصمة فى كل ما نسبناه لشوقى من شعر مجهول النسب، ولكن فى استطاعتنا أن نؤكد إذا كان هناك خطأ فإن نسبة الخطأ لا تتجاوز قصائد أو مقطوعات معدودات، وقد يصحح النسب أحياناً بعد سنوات - وأحياناً بعد قرون لأن الأمر اجتهدى بحت»^(٥).

ولا شك عندنا فى أن الاحتكام إلى النوق المدرب فى إثبات النص لمؤلف بعينه أو نفيه عنه كثيراً ما يؤدي إلى أحكام صائبة، ولعل مصداق ذلك - فيما نحن بصده - ما أورده محمد صبرى فى مقدمته للشوقيات المجهولة حين قال: «أذكر أننى فى ثناء مطالعتى الثانية فى (الجريدة الأسبوعية) وجدت نوراً غنائياً فيه أنفاس شوقى وروحه وريحه وريحانه فاتصلت على عجل عند عودتى من القلعة بطاهر حقى وأسمعتة فى (الهاتف) أول الدور فإذا به ينشده حتى أتى على آخره، قلت: لماذا لم تنبئنى به؟ قال: لا أتذكره»^(٦). بيد أن اعتماد النوق فى غياب المعايير الموضوعية لا يمكن أن يسلم من

(٤) محمد صبرى: الشوقيات المجهولة ٤٦/١.

(٥) السابق: ٢/١.

(٦) الشوقيات المجهولة: ٤٦/١.

الخطأ في كل حال كما أقر بذلك المحقق، وليس من اليسير على الباحث أن يطمئن تمام الاطمئنان إلى حكم يقوم على التماس أنفاس الشاعر وروحه وريحه وريحانه، لو لم يعضد ذلك الحكم بشهادة معاصر وثيق الصلة بالشاعر وشعره، ومن ثم تبقى الحاجة أشد إلحاحاً إلى إعمال المعايير الموضوعية القادرة على تمييز الخواص الأسلوبية وقياسها.

وثمة قضية أخرى تمتاز بالأهمية والطرافة في آن معاً، فقد وقع لنا كتاب مطول في جزين كتبه روف عبيد بعنوان «الإنسان روح لا جسد»، استيقظ نظرنا فيه ما أورده المؤلف بالفصل الحادي عشر من الجزء الأول تحت عنوان «أشعار للمرحومين أحمد شوقي وحفنى ناصف تتحدى المكابرين»^(٧).

وفي هذا الفصل يؤكد المؤلف أن نتاج أمير الشعراء لم يتوقف بموته، وأنه ما يزال يخاطبنا من عالم الغيب بأشعاره متحسناً ألام وطنه ومواطنيه، ومعبراً عنها في قصائد يصفها المؤلف بأنها «تعالج فنوناً من الشعر هي نفس الفنون التي ألفناها من شوقي خلال حياته الأرضية، ولها نفس الطابع والأسلوب واللغة والبناء الفني، ونفس الشعرية والطريقة بحيث يكاد القارئ يتمثل شوقي واقفاً يلقي الشعر»^(٨).

وفي عام ١٩٨١ أصدر رؤف عبيد كتاباً يتضمن مسرحية بعنوان «عروس فرعون»^(٩) وعدد آخر من الأعمال الشعرية والنثرية منسوبة إلى روح شوقي، وعرض في مقدمة الكتاب لشخصية الوسيطة وتاريخها الطويل مع روح أمير الشعراء، ثم قدم تفسيره لما اشتمل عليه بعض هذا الشعر من أخطاء لغوية ونحوية وعروضية ما كان ليرتكبها شوقي في حياته راجعاً ذلك إلى صعوبة الأبيات وأخطاء الإملاء والحالة النفسية والبدنية للوسيطة، مذكراً بأن «شوقي نفسه - رغم شاعريته الفذة التي قلما

(٧) ثمة إشارات إلى طبعة ثالثة من الكتاب ولكن لم يتهياً لنا الإطلاع إلا على الطبعة الثانية.

(٨) رؤف عبيد : الإنسان روح لا جسد ١/ ٥٢٦.

(٩) صدر الكتاب عن دار الفكر العربي، ١٩٧١.

يجود التاريخ بمثلها - كان عرضة لبعض الأخطاء اللغوية والعروضية التي كان بعض النقاد يتسقطها له في المؤلفات الأدبية، وفي الصحافة السيارة^(١٠). وينتهي المؤلف إلى تقرير عجز «مادية الوجود» عن تحليل هذا المستوى من الشعر الراقى الغزير «الذي يلتئم - في كل خصائصه ومميزاته - التناهماً تاماً مع شعر أمير الشعراء، كما يلتئم مع ذكرياته العائلية وفنونه واتجاهاته الخلقية والروحية والعقيدة والوطنية»^(١١).

بيد أن الحرى حقاً بالاهتمام في كتاب «عروس فرعون» هو مجموعة من التقارير لعدد من النقاد والشعراء، استكتبهم ناشر الكتاب أراهم فيما عرض عليهم من شعر ونثر منسوب إلى روح أمير الشعراء.

ومن المتوقع أن يكون مدار الحكم على صحة نسبة هذا الشعر إلى شوقي هو مدى ما لوحظ من التشابه بين الشعر المنسوب إليه بعد وفاته وشعره الثابت النسبة إليه في حياته، وقد قرر أكثر من شاركوا في هذا الاستفتاء وجود مشابهة متنوعة بين هذين الضربين من الشعر^(١٢) وتفاوتت عباراتهم بين التحمس للقول بالتطابق التام للخصائص الفنية والموضوعية في كلا الضربين، والإقرار بالتحفظ بوجود بعض ملامح من التقارب أو التشابه^(١٣)، هذا وإن اجتمعت كلمة أكثرهم على وجود عدد من الأخطاء اللغوية، وهن وتهافت في النسيج اللفظي لبعض الأبيات، وهو ما سبق أن قدمنا تفسيره من وجهة نظر ناشر الكتاب، أما وجوه الشبه التي استظهرها هؤلاء وهؤلاء فقد شملنا ملامح تتعلق

(١٠) مقدمة عروس فرعون : ٣٦-٣٧.

(١١) السابق : ٣٧

(١٢) انظر في الباب الرابع من كتاب «عروس فرعون» تقرير كل من إبراهيم أنيس، أحمد الحوفي، وأحمد الشايب، بدوى طبانة، على الجندي، محمد زكريا البرديسي، ومن الشعراء : عزيز أباطة وأحمد عبد المجيد فريد وعوضى الوكيل ومحمد طاهر الجبلوي ومحمد مصطفى الماحي. أما تقرير شوقي ضيف فقد كان مثلاً جيداً لحسن التخلص سواء من القول بالتشابه بين الشعراء أو من الإقرار بالوساطة الروحية.

(١٣) كانت مجموعة الشعراء أميل إلى استخدام العبارات المتحمسة وذهب الشيخ البرديسي مذهبهم. أما الإقرار بالتحفظ فكان من نصيب الدارسين الجامعيين في الأعم الغالب.

بالشكل مثل إثارة بحر الكامل، وتصريح المطالع، وكثرة الصيغ الإنشائية من نداء وتعجب واستفهام، ووصانة بعض القوافي ورنانها، وطول النفس، وجزالة التعبير في بعض الأبيات، وبرز من ملامح المضمون : التوسع المجازي في دلالة بعض الكلمات وتشابه القاموس الشعري والموضوعات والاتجاهات الدينية والخلقية والوطنية^(١٤).

والذي نلاحظ على ما سبق من أحكام أنه قد صيغ في عبارات على درجة كبيرة من المرونة وعدم التحديد، وليس بالمستغرب من كثير من الشعراء والنقاد أن يسوقوا أحكامهم فيما ألفناه من تلك العبارات النوقية المميزة عن وجدان الشاعر أو الناقد لما يقرأ من شعر أو نثر، وقد تكون هذه الأحكام صائبة وقد لا تكون، ولكن التدليل على صوابها أو خطئها بالدليل العقلي أدخل في باب المستحيل، أما الذي وقع من موقع الدهشة فهو التقرير الذي كتبه شيخنا إبراهيم أنيس، وقد عبر فيه عن تصويره الخاص لعلاقة علم اللسانيات بقضايا النقد الأدبي فقال : «ومع أنى لست من رجال النقد الأدبي، إذ تكاد دراستي تقتصر على الصوتيات واللغويات رأيت بعد تردد أن أدلى بلوى في الدلاء على قدر ما تسمح به دراستي وتخصصي المحدود» وأعجب من ذلك قول شيخنا في تقريره : «إن لنقاد الأدب مقاييس اهتموا إليها واستقرت عليها دراساتهم، وهم يؤكدون لنا أن في استطاعة الناقد الماهر أن يستشف عن طريقها موقف النماذج الأدبية غير المنسوبة فينسبها لصاحبها^(١٥)». ووجه العجب فيما ذكره أنيس يأتي من أمور :

أولها : أن وثيقة العلاقة بين علم اللسانيات وعلوم الأدب من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى دليل، ويشهد لذلك أن الدكتور أنيس عالج الكثير من قضايا الأدب والنقد والبلاغة في كتابيه الرائدتين «دلالة الألفاظ» و«موسيقى الشعر» دون أن يحس هو، أو يحس القارئ أنه أقحم نفسه في ميدان غريب على اختصاصه.

وثانيها : أن القضية التي نحن صدها، وأعنى قضية الكشف عن المؤلف المجهول لنص ما ، هي قضية أسلوبية في جوهرها، وهي تقع بذلك في القلب من مبحث

(١٤) عروس فرعون : ٢٠١-٢٠٢.

(١٥) السابق : ٢٠٢.

الأسلوب الذى هو من مجالات الدرس اللسانى لا مشاحة فى ذلك.

وثالثها : أنا لم نعثر - فى حدود ما قرأنا - على كتاب نقدى ناقش مؤلفه هذه المشكلة، بسط فيه من المقاييس العلمية المنضبطة ما هو صالح لفتح مغاليقها، وضرب لها من الأمثلة الكافية والمقنعة ما ييسر به استعمالها ويشيعه بين الدارسين، كما أن إبراهيم أنيس لم يشير فى تقريره إلى أى مرجع نقدى يفيد فى هذا الباب.

لذلك كله لا يمكن قبول القول بمحدودية الدراسة الصوتية واللسانية وقصورها عن تناول كثير من مشكلات النص الأدبى بالبحث، أما قول هذا الرائد الكبير : «ولست أزعم أن لى مثل هذه القدرة التى لهؤلاء النقاد، لأنها تتطلب فوق دراسة الشكل من أوزان ونظام صوتى أموراً أخرى من حيث الأخيلة والصور التى هى ربما الهدف الحقيقى فى النص الأدبى»^(١٦) نقول : إن مثل هذا القول ينبغى أن يحمل على التواضع، ذلك أنه حتى الأخيلة والصور إنما هى فى النص الأدبى رسالة لغوية لا يمكن تحليلها على وجهها دون مواجهة لخصائص اللغة التى كتبت بها الرسالة، ومن هنا نتوقع أن يكون لدى الدارس اللسانى الكثير مما يمكن - بل مما ينبغى - أن يقال عند دراسة النص الأدبى.

ولقد كان لنا فى كل ما تقدم حافظ إلى دراسة مشكلة الشوقيات الثابتة والمنسوبة من منظور لسانى أسلوبى فى مظاهرها الثلاثة :

المظهر الأول : شعره الصحيح النسب والمنشور فى ديوانه المعروف بالشوقيات، وقد توالى صدور أجزاءه على النحو التالى^(١٧) :

(١٦) عروس فرعون : ٢٠٢.

(١٧) أرخ صبرى لهذه الأجزاء وظروف إصدارها تأريخاً ضافياً فى مقدمته للشوقيات المجهولة : ٣٩-٢٦/١، فليرجع إليه من شاء. وقد صدرت المجموعة الكاملة بمقدمة كتبها محمد حسين هيكل أقامه الناشر - عفا الله عنه - مقام مقدمة الشاعر ولست أدري ما ضربه لو أنه جمع بينهما، وقد أحسن طه وادى صنفاً حين أعاد نشر مقدمة شوقى فى كتابه «شعر شوقى الغنائى والمسرحى»، دار المعارف، ط ٤، ١٩٨٥، ص ١٨١-١٩٩، فاستنقذ بذلك وثيقة ذات خطر عظيم من أطباق الإهمال.

١ - الجزء الأول من الطبعة القديمة بمقدمة للشاعر، وقد صدر عام ١٨٩٨، وأعيد طبعه بنصه عام ١٩١١م.

٢ - الجزء الأول من المجموعة الجديدة الكاملة، وصدر عام ١٩٢٦م.

٣ - الجزء الثانى من هذه المجموعة، وصدر عام ١٩٣٠م.

٤ - الجزء الثالث ويضم المراثى، صدر بعد وفاة الشاعر عام ١٩٣٦م.

٥ - الجزء الرابع : أصدره محمد سعيد العريان عام ١٩٤٣، وهو كما تحدث عنه ناشره : «بقية أو شىء كالبقية التى لم تنشر فى الأجزاء الثلاثة الأولى»^(١٨).

المظهر الثانى : الشوقيات المجهولة التى قام بجمعها وتصنيفها والتعليق عليها محمد صبرى، وصدرت فى جزئين، ضم أولهما القصائد التى يرجع تاريخها إلى الفترة الواقعة ما بين عامى ١٨٨٨ و ١٩٠٣، ويضم الثانى قصائد الفترة الباقية من حياة الشاعر (١٩٠٤ - ١٩٣٢).

المظهر الثالث : القصائد المنسوبة إلى روح شوقى وسنسميها اختصاراً القصائد الروحية (دون أن يعنى ذلك تسليمنا سلفاً بصحة الدعوى). وقد نشرت قصائد منها فى مجلة «عالم الروح» التى كان يصدرها أحمد فهمى أبو الخير^(١٩)، وأعيد نشر قدر صالح منها مع قصائد جديدة فى الدكتور رؤوف عبيد «الإنسان روح لا جسد» بجزئيه، وفى كتاب «عروس فرعون» اللذين أسلفنا إليهما الإشارة.

والسؤال الذى يطرح نفسه علينا الآن هو :

هل لهذه الأضرب الثلاثة من القصائد مصدر واحد؟ أو بعبارة أخرى : هل يُحتمل أن يكون شوقى، الذى هو بالقطع صاحب الشوقيات الثابتة، هو نفسه صاحب

(١٨) الشوقيات : طبعة المكتبة التجارية ك ٥/٤.

(١٩) لم أتمكن من الرجوع إلى أعداد هذه الدورية، ويظن أن فى القدر الذى أورده رؤوف عبيد كفاية.

الشوقيات المجهولة والقصائد الروحية؟

وهدفنا من هذا البحث أن نقدم إجابة مدعومة بالدليل الإحصائي على هذا السؤال، معتمداً في الدليل الإحصائي على عالم الإحصاء الإنجليزي الشهير يول G. Udny Yule في قياسه الذي ابتكره وطوره وأستخدمه في تمييز أساليب المنشئين، والكشف عن جوانب الغموض في نسبة النصوص المجهولة المزلف، وسنعالج على الترتيب النقاط التالية :

(أ) المقياس.

(ب) تحديد العينات المدروسة.

(ج) نتائج القياس.

(د) تحليل النتائج.

١ - المقياس :

ليس حتماً أن يكون حكم الذوق ونتيجة القياس على طرفي نقيض، والغالب أن يتفق ما دام الحكم صادراً عن ذوق صقلته الخبرة والممارسة الطويلة لشتى فنون الأدب وأساليب الأدباء، ذلك ما أكدناه في غير موضع من دراسات سابقة^(٢٠)، ونعيد تأكيده هنا، غير أن الخبرة والممارسة من الأمور التي تستعصى على التقنين، كما أنها مجال خصب لاختلاف الآراء والأنظار، من ثم لا ينبغي أن ننتظر من الأحكام الذوقية أن تكون منوطة بأوصاف ظاهرة منضبطة يمكن على أساسها إقامة موازين المفاضلة والترجيح بين الآراء عند الاختلاف، وقضية الشوقيات الثابتة والمنسوبة هي أحد الأمثلة الواضحة لهذا الأمر، إذ رأينا كيف تفاوتت الآراء في نسبة القصائد الروحية ما بين مثبت ومنكر

(٢٠) انظر كتاب : «الأسلوب : دراسة لغوية إحصائية»، وأيضاً المبحث الثاني من هذا الكتاب، ف

ومتعدد بين الإثبات والإنكار، لذلك لم يكن بد من محاولة البحث عن مقياس يجرى تحكيمه عند الاختلاف، وشرط هذا المقياس أن يكون موضوعياً Reliable وصحيحاً Valid ، وقد اجتمعت هذه الشروط - على النحو الذى سنبينه فيما بعد - فى مقياس للعالم الإحصائى البريطانى «يول» اقترحه للتمييز بين البصمات الأسلوبية للمؤلفين، وهذا ما سنحاول الإبانة عنه فى هذه الفقرة من البحث.

والخصائص الأسلوبية تتنوع تنوعاً شديداً، فمنها ما ينتمى إلى بنية النص فى ذاته، ومنها ما يخص العلاقة ما بين النص Text والموقف Context أو - بعبارة أخرى - ما بين المقال والمقام، والنوع الأول من هذه الخصائص لغوى محض، بمعنى أنه نمط خاص من أنماط الاستعمال اللغوى يمتاز به أديب من أديب، وهذه الخصائص اللغوية التى تشكل بنية النص تتنوع بدورها أيضاً إلى خواص صوتية وأخرى صرفية أو تركيبية أو معجمية أو دلالية، والكشف عن هذه الخواص منوط بمستويات التحليل اللسانى المختلفة، حيث يستخدم الباحث منظومة (بطارية) متكاملة من الوسائل التحليلية تنبثق فى مجموعها عن الطراز النحوى Grammatical Model الذى يرتضيه الباحث أساساً لتوصيف الأسلوب وتشخيصه^(٢١).

وايست الظواهر اللغوية جميعها على مستوى واحد من حيث قابليتها لعمليات التشكيل الأسلوبى Proses of Stylization ، فالظواهر الصوتية - بحكم طبيعتها - تخضع للنظام الصوتى فى اللغة أكثر من خضوعها للصنعة الأسلوبية، وإذا قارنا بين الظواهر الصوتية وظواهر التركيب النحوى بهذا الاعتبار وجدنا أن هذه التراكيب - بالرغم من خضوعها لنظم اللغة - تتيح للمنشئ حرية أكبر يظهر بها تميزه الأسلوبى، وذلك لتعدد إمكانات التنوع بين الجمل البسيطة والمركبة، والجمل القصيرة والطويلة، والتقديم، والتأخير والحذف، والذكر، الفصل والوصل، واستخدام الروابط وغير ذلك.

(٢١) انظر ف ف ٢-٧، ٢-٨ من كتابى : «الأسلوب».

أما مجال المفردات واستخدامها فهو - بلا شك - أكثر أنواع الظواهر اللغوية قابلية للتشكيل الأسلوبى، ومن ثم فإن التمييز الأسلوبى يظهر واضحاً فى هذا المجال أكثر من غيره، ولذلك اتجهت معظم المقاييس الهادفة إلى تحقيق نسبة النصوص إلى أصحابها نحو قياس المفردات واستخدامها بطرق مختلفة^(٢٢)، وقد أسهم فى صياغة هذه المقاييس عدد من اللغويين منهم جيرو Guiraud وجوزفين مايلز Gosephine Mils وغيرهما^(٢٣) ومن بين الخصائص الأسلوبية التى حظيت بالاهتمام خاصية تكرارية المفردات، وهذه هى الخاصية التى ابتكر يول مقياسه بهدف تحديدها كملع أسلوبى.

ويعود تاريخ هذا المقياس إلى عام ١٩٤٤، حي أصدر يول كتاباً له بعنوان : Statistical Study of Literary Vocabulary Cambridge, University Press 1944. وفى الفصلين الثالث والرابع من الكتاب شرح المؤلف مقياسه شرحاً مستفيضاً وبين الأساس الإحصائى له. وقدم فى الكتاب عدداً من تطبيقات المقياس أثبتت قدرته على تمييز البصمات الأسلوبية للمؤلفين.

وقد أطلق يول على مقياسه مصطلح «الخاصية» The Characteristic، وأراد له أن يكون مقياساً تتوافر فيه صفة الموضوعية بحكم كونه مقياساً لفحص المادة المدروسة، لا يتأثر برغبات الدارس أو فكرته السابقة أو ميوله، وصفة الصحة بحكم صلاحيته لقياس خاصية تكرارية المفردات وهى من أهم السمات المميزة الفارقة بين الأساليب، وصفة التعويل أو الثبات لأن نتائجها لا تتغير ما دامت تطبق على المادة نفسها وبالشروط نفسها.

(٢٢) سبق أن درست قياس خاصية تنوع المفردات دراسة نظرية وتطبيقية باستخدام نماذج من كتابات العقاد والرافعى وطه حسين فى بحث سبقت الإشارة إليه.

(٢٣) انظر عرضاً لمقاييس تمييز أسلوب المؤلف فى : Enkvist. op. cit. pp. 129-135. وانظر بالروسية : P. Vasek. (Metodi ustanovlenja spomov avtovstva. Prague Stud- iem in Mathematical Linguistics. 3, 1972. pp. 142-147.

ويمتاز هذا المقياس بميزة ذات أهمية أكبر في تحليل الأساليب، فقد صاغه صاحبه بحيث لا تتأثر نتائجه الإحصائية بطول العمل المدروس، ومن ثم أصبح من الممكن مقارنة أعمال تختلف في طولها دون أن تتأثر المقارنة إحصائياً، ويزيد من أهمية هذه الميزة أن النصوص التي تثير عادة مشكلات حول أشخاص مؤلفيها تفرض نفسها على الباحث كما هي، فلا حيلة له في اختيار الطول المناسب للفحص بل عليه أن يتقبلها على ما هي عليه، ومن هنا كان هذا المقياس من أكثر المقاييس توافقاً مع طبيعة النصوص غير المعزوة وطبيعة المشكلات التي تثيرها.

وقد مضى زمن طويل على صدور كتاب يول استحق مكانة خاصة عند دارسى الأسلوب، ولكنه ظل مع ذلك غريباً على دارسى الأدب في أوروبا، فلم يولوه ما هو جدير به من اهتمام، ولم يفيدوا منه كما كان متوقعاً، وإذا كانت هذه حاله بين بنى جلدته فإن غربته عن دارسى اللغة ونقاد الأدب من أبناء العربية هي أشد، فلعل هذه - فيما أعلم - المرة الأولى التي يجرى فيها تعريفهم بمقياس يول نظراً وتطبيقاً، ويعزو يول بينيت عدم إقبال دارسى الأدب الغربيين على الاستفادة من مقياس يول إلى صعوبة النظرية الإحصائية التي بنى عليها^(٢٤)، ولكنه مع ذلك يلاحظ أن صعوبة النظرية لا تستلزم بالضرورة صعوبة المقياس، إن المقياس بسيط حقاً، ويمكن لأي دارس كما يقول بينيت - «أن يستخدمه بنفس الطريقة التي يمكنه بها أن يستخدم الآلة الحاسبة دون أن يصدع رأسه بالتفكير في ميكانيكية الآلة ونظريتها»^(٢٥)، وسنعرض الآن بشيء من البيان لفكرة المقياس، والمادة التي سنخضعها للمقياس، وعملية إحصاء المفردات وتصنيفها، وطريقة حساب الخاصية على أساس معادلة يول.

(٢٤) ربما يتاح لنا تقديم شرح مفصل لهذه النظرية ولقاييس أخرى صالحة مع أمثلة تطبيقية أخرى في عمل قادم إن شاء الله تعالى.

(٢٥) اعتمدنا في عرض المقياس على كتاب يول، وأفدنا كثيراً من إيضاحات بينيت واينكفست وفاتساك في تبسيط العرض ما أمكن ذلك.

P. Beneit : The Statistical Measurement of A Stylistic Trait in Julius Cacsar and As You Like in Statistics and Stylstixs, ed. by Dorcel Bally. p. 29.

١ - ١ فكرة المقياس :

أقام يول فكرة المقياس على أساس ما نلاحظه جميعاً من أن كل منشئ لا حيلة له في تكرار المفردات بفئات مختلفة وهذه الفئات من المفردات ذات التكرار المتباين تختلف عادة من منشئ إلى آخر، وينشأ عن هذه الحقيقة أن يختلف التوزيع التكرارى Frequency distribution لفئات المفردات، فهناك فئة للكلمات التى ترد فى النص مرة واحدة، فئة للكلمات التى ترد فى النص مرتين، وأخرى التى ترد ثلاث مرات، وهكذا، وهذا يعنى أنه لا يمكن أن يتساوى فى الواقع عدد المرات التى تتكرر فيها كل كلمة من كلمات النص مع ما سواها من الكلمات، غير أن يول حاول فى مقياسه بمجموعة من العمليات الحسابية أن يحسب احتمال وقوع هذا التساوى المطلق لجميع الفئات بوصفه احتمالاً عقلياً كاحتمال عقلى، وأن يعطى النتيجة فى شكل رقم حسابى بسيط مثل ٤ر٢٥ أو ٤٦ر٠ أو ٧٥ ... إلخ، وبدهى أن يختلف الرقم الذى يشير إلى فرصة التساوى المطلق فى التوزيع بناء على اختلاف التوزيع التكرارى من نص إلى آخر. ولما كان هذا التوزيع يعكس إشار المؤلف واختياراته والتكرارات المميزة لأسلوبه، افترض يول - وصدق فرضه بالتطبيق - وجود ارتباط بين نتائج القياس وهو ما سماه «بالخاصية» وتميز أساليب المنشئين بعضهم من بعض، كما افترض أيضاً أن لكل منشئ مدى معيناً فى حساب الخاصية تتأرجح الأرقام بين طرفيه، وبهذه الطريقة يمكننا، إذا كان لدينا نص مجهول المؤلف أو معزى إلى أكثر من واحد، أن نفحص احتمالات نسبته بقياس «الخاصية» فى النصوص الثابتة النسبة للمؤلفين الذين نفترض أن لهم علاقة بالنص المدروس، ثم بقياس «الخاصية» فى هذا النص ومقارنة ما تأتى به نتائج القياس حتى نتوصل إلى إثبات أو نفى صلة النص بأحدهم، ومعلوم أن حكمنا بالإثبات أو النفى سيكون حكماً احتمالياً، وأن درجة الاحتمال ستتفاوت قوة وضعفاً بحسب قرب نتيجة القياس أو بعدها فى النص غير المعزى من مدى «الخاصية» الذى توصل إليه الباحث من النصوص الثابتة.

غير أن ثمة تنبيهاً لا بد من إبرازه وتأكيدُه هنا، وخلاصته أن زيادة الرقم أو نقصه في مقياس يول ليس له دلالة تقويمية من حيث الجمال أو القبح أو ما شاكل ذلك، بل تنحصر دلالاته في كونه مؤشراً قوياً يدل على شخص المؤلف فحسب.

١ - ٢ المادة الخاضعة للقياس :

استبعد يول أن يقوم حساب الخاصية على أساس تكرارية الأنوات أو الحروف أو الضمائر، واختص الاسم Noun من أقسام الكلم باعتبار أن تكرارته من أبرز السمات الدالة على المنشئ، واختار من الأسماء نوعاً محدداً هو الاسم العام Common Noun^(٢٦) مستبعداً بذلك أسماء أعلام الأشخاص والأماكن وما استعمل من الأسماء استعمال الصفة.

ولا ينبغي أن نستنتج من ذلك أن فصيلة الاسم هي وحدها الجديرة بأن تكون مادة للقياس، فالصفات والأفعال والظروف جميعها يمكن أن تحقق المراد من تمييز الأساليب بقياسها.

ولقد مضيت في بحثي هذا على أثر يول وبينت في حساب الخاصية للشوقيات على أساس تكرارية الأسماء، غير أن مهمتي كانت أصعب نسبياً، فالنحو العربي التقليدي يضع تحت الأسماء كل ما سوى الأفعال والحروف من كلم، بحيث شمل مفهوم الاسم أسماء الأعلام والذوات والمعاني والضمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة وأسماء الأفعال والظروف، أضف إلى ذلك أن النحو التقليدي لا يميز الاسم من الصفة في مبحث أقسام الكلم، وحتى نقرب من تحديد أفضل للمادة المقيسة :

(١) استبعدت أعلام الأماكن والأشخاص.

(٢) استبعدت الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة.

(٢٦) والمراد به ما يسميه علماء المنطق بالاسم الكلى وهو الذى يشترك فى معناه أفراد كثيرة ككتاب وقلم وقرية ومدينة .. إلخ.

(٣) استبعدت الصفات القياسية كاسم الفاعل واسم المفعول وصيغ المبالغة واسم التفضيل والصفة المشبهة.

(٤) ما جاء على صيغة الوصف واستعمل استعمال الأسماء أدخلته في الإحصاء «ومثاله: الشاعر والشهيد الخطيب ... إلخ».

(٥) تثنية الاسم أو جمعه لا تعد تكراراً للاسم المفرد إلا إذا تعددت صيغ جموع التكسير فإن تكرارات كل منها تحسب مستقلة عن الأخرى.

(٦) تدخل في عداد الأسماء - بالإضافة إلى الاسم العام - المصادر وأسماء الزمان، والمكان، والآلة، والمرة، والهيئة، وأسماء الأعداد، والموازين والمكاييل، والمقاييس، والجهات، والأوقات..

١ - ٣ إحصاء المفردات وتصنيفها :

لا بد لحساب الخاصية من عمل سبقها وهو إحصاء المفردات الخاضعة للقياس وتصنيفها، والهدف من هذا العمل هو التوصل إلى التوزيع التكرارى للمفردات، ويتم هذا العمل باتباع الخطوات الآتية :

(١) كتابة كل اسم يرد لأول مرة في بطاقة مستقلة مع كتابة المادة الأصلية للاسم على طريقة المعاجم في الزاوية العليا من البطاقة.

(٢) الإشارة إلى كل تكرار للاسم بعلامة معينة على البطاقة الخاصة به.

(٣) ترتيب البطاقات تبعاً لمادة الاسم على طريقة المعجم لتسهيل مراجعة التكرارات والتأكد من تسجيلها في البطاقات الخاصة بها.

(٤) بعد الانتهاء من حصر جميع الأسماء وتكراراتها نقوم بتصنيف الأسماء حسب فئات تكرارها، فنقوم بتجميع البطاقات التى تتضمن كلمات وردت مرة واحدة معاً، ثم الكلمات التى وردت مرتين، ثم التى تضم كلمات وردت ثلاث مرات، وهكذا، حتى

يتم تجميع البطاقات الخاصة بكل فئة مع بعضها فى حزمة واحدة.

(٥) نقوم بإحصاء عدد البطاقات التى تتألف منها كل فئة، وهكذا نصل إلى التوزيع التكرارى للمفردات.

والحق أن هذه الخطوات الخمس السابقة هى أشق مراحل العمل على الإطلاق، فإذا انتهينا منها أمكننا وضع قائمة بفئات التكرار وعدد الكلمات التى تتكون منها كل فئة، ويهمنى أن نؤكد حقيقة ذات خطر وهى أن الذى يعنينا هنا هى أعداد الكلمات فى كل فئة وليس ذوات الكلمة، فإذا تم ذلك يصبح حساب الخاصية أمراً يسيراً بإجراء مجموعة من العمليات الحسابية كالجمع والطرح والضرب والقسم على أى آلة حاسبة، وبيان العمليات الموصلة إلى حساب الخاصية بتطبيق مقياس يول هو موضوع الفقرة التالية.

١ - ٤ معادلة يول لحساب الخاصية :

بعد حصولنا على قائمة التوزيع التكرارى للمفردات من الخطوات الخمس التى أسلفنا بياناتها ينبغى لإجراء حساب الخاصية القيام بمجموعة من العمليات الحسابية، وذلك للتوصل إلى القيم التى سندخلها فى معادلة يول، وهذه العمليات هى :

(١) ضرب الفئة «وسنرمز لها بالرمز س» \times عدد الكلمات المكونة للفئة «وسنرمز له بالرمز ع».

(٢) ضرب مربع الفئة (ورمزه س^٢) \times عدد الكلمات المكونة للفئة «ع».

(٣) إيجاد مجموع القيم الناتجة من العملية «١» على مستوى النص كله (وسنرمز له بالرمز مج^١).

(٤) إيجاد مجموع القيم الناتجة من العملية «٢» على مستوى النص كله (وسنرمز له بالرمز مج^٢).

(٥) بطرح (٣) من (٤) ينتج لنا مجموع الفروق (وسنرمز له بالرمز مج الفروق).

(٦) يقسم مج الفروق على مربع مج، أى على (مج)^٢.

(٧) يضرب خارج القسمة من العملية «٦» $\times ١٠٠٠٠$ لتفادى الكسور العشرية الطويلة.

(٨) حاصل الضرب من العملية «٧» يمثل الرقم الدال على الخاصية المراد حسابها.

ويتضح من الخطوات الثمانى السابقة أن المعادلة التى يجرى على أساسا حساب الخاصية «وسنرمز للخاصية فى المعادلة بالرموز ك» يمكن صياغتها على النحو التالى :

$$ك = \frac{مج٢ - مج١}{مج٢} \times ١٠٠٠٠$$

ولا يهولن القارئ ما سقناه من عمليات، فالأمر يسير إلى حد كبير، وحرصاً على توضيح ما ذكرنا بمثال عملى يمكن أن بهتدى به الدارس فيما قد يعرض له من مشكلات قد تلجئه إلى تطبيق مقياس يول نسوق المثال الآتى :

لنفترض أن لدينا نصاً يتكون التوزيع التكرارى للمفردات فيه حسب المبين فى الجدول «١»، ونحاول أن نتتبع على أساسه كيفية حساب الخاصية «ك».

جدول (١)

الفئة	عدد الكلمات المكونة للفئة
ع	
١	٦٠
٢	٢٠
٣	١٠
٤	٥

جدول (٢)

٦	٥	٤	٣	٢	١
مربع الفئة ×	مربع الفئة	مربع الفئة ×	عدد الكلمات	عدد الكلمات	الفئة
الفرق	س × ع	س ^٢	س × ع	ع	س
-	٦٠	١	٦٠	٦٠	١
٤٠	٨٠	٤	٤٠	٢٠	٢
٦٠	٩٠	٩	٣٠	١٠	٣
٦٠	٨٠	١٦	٢٠	٥	٤

المجموع - مع ١٥٠ = مع ١٠٠ - مع ٢١٠ = مع الفرق = ١٦٠

المعلومات الواردة في الجدول (١) تعني ببساطة أن النص الذي لدينا يشتمل على ٦٠ كلمة وردت كل منها مرة واحدة، و ٢٠ كلمة وردت كل منها مرتين، و ١٠ كلمات وردت كل منها ثلاث مرات وهكذا .. وهذا هو ما يسمى بالتوزيع التكرارى للمفردات وعلى أساس المعلومات الواردة في الجدول (١) يمكن عمل الجدول (٢) الذى سيعمدنا بالأرقام اللازمة لمعادلة يول، وبمراجعة الخطوات السابق بيانها على جدول (٢) يتبين لنا من العمود الثالث والخامس والسادس كيف يمكن إيجاد القيم الثلاث اللازمة لمعادلة يول.

$$ك = \frac{مع١ - مع١}{مع١} \times ١٠٠٠٠$$

أو هى بطريقة أخرى :

$$ك = \frac{مع الفرق}{مع١} \times ١٠٠٠٠$$

إذن يمكننا حساب قيمة ك بالنسبة للنص المفترض على النحو التالى :

$$ك = \frac{٥٠ - ٣١٠}{٢(١٥٠)} \times ١٠٠٠٠$$

أو بعبارة أخرى :

$$٧١.١ = \frac{١٦٠}{٢٢٥٠٠} \times ١٠٠٠٠ = \frac{١٦٠}{٢(١٥٠)} \times ١٠٠٠٠ =$$

وهكذا يمكننا الحصول على الرقم الذي تفترضه معادلة يول كخاصية مميزة يمكن بها قياس تكرارية المفردات في النصوص.

٢ - العينات المدروسة :

انتخبنا لتطبيق المقياس تسع قصائد من كل من الشوقيات الثابتة والشوقيات المجهولة والشوقيات الروحية، وهذا بيانها :

أولاً : من الشوقيات الثابتة :

- ١ - ذكرى كارنافون ٩٠ - ٨٤/١
- ٢ - شهيد الحق ٢٢٤ - ٢٢١/١
- ٣ - الأندلس الجديدة ٢٣٩ - ٢٣٠/١
- ٤ - تحية الترك ٢٨٥ - ٢٨٠/١
- ٥ - المؤتمر ١٥٦ - ١٥٣/٢
- ٦ - زحلة ١٨١ - ١٧٨/٢
- ٧ - ذكرى استقلال سوريا وذكرى شهدائها ١٨٣ - ١٨١/٢
- ٨ - الحرية الحمراء ١٨٨ - ١٨٧/٢
- ٩ - تحية الشاعر في مؤتمر تكريمه ١٩٣ - ١٩٠/٢

ثانياً : من الشوقيات المجهولة

- ١ - حكاية السودان ١٢١/١ - ١٢٢ وهى بتوقيع شاب مصرى
- ٢ - يتيمة التيجان فى مدح خير سلطان ١٢٥/١ - ١٢٨ وهى بتوقيع (محتفل)
- ٣ - رواية فاشودة ١٣١/١ - ١٣٢٦ وهى بتوقيع (شرم برم)
- ٤ - عرابى وما جنى ٢٥٥/١ - ٢٥٦ بدون توقيع
- ٥ - عاد لها عرابى ٢٥٧/١ - ٢٥٨ بدون توقيع
- ٦ - صوت العظام ٢٦٢/١ - ٢٦٥ بدون توقيع
- ٧ - عيد الخليفة ٢٠٦/١ - ٢٠٧ لشاعر حكيم من أكبر شعراء العصر فى مصر
- ٨ - عام الكفء ٢٠/٢ - ٢١ بتوقيع (ش)
- ٩ - العيدان السعيدان ٨٦/٢ - ٨٨ بدون توقيع

ولقد راعينا فيما انتخبناه من الشوقيات الثابتة التشابه العام فى الموضوعات مع الشوقيات المنسوبة، وإن كان هذا ليس شرطاً ضرورياً، كما أننا أضفنا إلى الشعر السياسى الذى اخترناه قصيدتين : إحداهما فى التأملات والحكمة وهى «ذكرى كارنارفون» وذلك لما قيل من أن روح شوقى عارضتها بقصيدة أخرى من نفس الوزن والقافية، أما القصيدة الأخرى فكانت عاطفية وصفية من قبيل التنويع وهى قصيدة «نحلة»، كذلك روعى فى جميع القصائد الشوقيات المجهولة التى اخترناها أن تكون - كما هو واضح - من نوع غير صريح فى نسبته إلى الشاعر، كان هذا هو المعيار الأساسى الذى حكم الاختيار.

ثالثاً : القصائد الروحية :

القصيدة	مصدرها
١ - إلى المتشككين .	الإنسان روح لا جسد ١/٥٢٨ - ٥٣٣
٢ - في الذكرى السادسة والعشرين .	الإنسان روح لا جسد ١/٥٤٧ - ٥٤٩
٣ - صوت من الغيب .	عروس فرعون ٤ - ١٥
٤ - ذكريات .	عروس فرعون ١٥٦ - ١٥٩
٥ - حنين الذكريات .	عروس فرعون ١٦٠ - ١٦١
٦ - تحية وعرفان .	عروس فرعون ١٦٢ - ١٦٣
٧ - خواطر .	عروس فرعون ١٦٤ - ١٦٦
٨ - مأساة التفرقة العنصرية .	عروس فرعون ١٦٧ - ١٦٩
٩ - تحية الشهداء .	عروس فرعون ١٧٦ - ١٧٩

وبين الجدول (٣) العدد الكلي للكلمات وعدد الأسماء الخاضعة للقياس في النوعيات الثلاثة، وقد فحصت فحصاً شاملاً ولم تستخدم طريقة العينات نظراً لأن طول القصائد يسمح بمثل هذا الفحص الشامل، أما حين تكون النصوص مفرطة في الطول ففي إمكان الباحث أن يستخدم العينات بدلاً من النصوص الكاملة .

جدول (٣)

نوعية الشعر من حيث نسبته	العدد الكلي للكلمات	العدد الداخل في الإحصاء
الشوقيات الثابتة	٤٨٤٤	٢١٥٢
الشوقيات المجهولة	٤١٧٨	١٤٦١
القصائد الروحية	٤١٢٦	١٧٩٣
المجموع	١٣١٤٨	٥٤٠٦

٣ - نتائج القياس :

نورد فيما يلي مجموعة من الجداول الإحصائية ضمنها نتائج حساب «الخاصية» طبقا لمعادلة يول في العينات التي اخترناها وعددها ٢٧ قصيدة، مراعين ترتيب القصائد التسع في كل مجموعة من المجموعات الثلاث ترتيبا تصاعديا، بحيث نبدأ بالقصيدة التي سجلت أصغر الأرقام وننتهي بالقصيدة التي بلغت فيها «الخاصية» أعلى ما وصلت إليه القصائد من قيمة .

أولا : الشوقيات الثابتة

جدول (٤)

قصيدة تحية الشاعر في مؤتمر تكريمه (٢٧)

الفئة	عدد الكلمات	الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة	مربع الفئة × عدد الكلمات	الفئة
س	ع	س × ع	س ^٢	س × ع ^٢	الفرق
١	١٧٠	١٧٠	١	١٧٠	-
٢	١٧	٣٤	٤	٦٨	٣٤
٣	٨	٢٤	٩	٧٢	٤٨
٤	١	٤	١٦	١٦	١٢
٧	١	٧	٤٩	٤٩	٤٢
المجموع	-	مجموع ٢٣٩	-	مجموع ٢٧٥	مجموع الفروق - ١٣٦

$$ك = \frac{١٣٦}{٥٧١٢١} \times ١٠٠٠٠ = ٢٣,٨$$

(٢٧) مطلع القصيدة :

مرحبا بالربيع في ريعانه وبأنواره وطيب زمانه

جدول (٥)
تكرى كارتارفون (٢٨)

الفترة	عدد الكلمات	الفترة x عدد الكلمات	مربع الفترة x عدد الكلمات	مربع الفترة x عدد الكلمات	الفرق
س	ع	س x ع	س ^٢	س ^٢ x ع	
١	١٥٤	١٥٤	١	١٥٤	-
٣	١٩	٣٨	٤	٧٦	٣٨
٣	٦	١٨	٩	٥٤	٣٦
٤	١	٤	١٦	١٦	١٢
٦	١	٦	٣٦	٣٦	٣٠
الاجموع	-	مج ٢٢٠	-	مج ٣٣٦	مج الفروق ١١٦

$$٢٤,٠ = \frac{١١٦}{٤٨٤٠٠} \times ١٠٠٠٠ = ك$$

(٣٨) مطلع القصيدة :

فى الموت ما أبعيا وفى أسيايه كل امرئ رهمن بطى كسثابه

جدول (٦)
قصيدة «شهيد الحق» (٢٩)

الفئة	عدد الكلمات	الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	الفئة
س	ع	س × ع	س ^٢	س ^٢ × ع	الفرق
١	١٢٣	١٢٣	١	١٢٣	—
٢	١٦	٣٢	٤	٦٤	٣٢
٣	٣	٩	٩	٢٧	١٨
٥	١	٥	٢٥	٢٥	٢٠
المجموع	—	١٦٩	—	٢٣٩	مج الفروق ٧٠

$$٢٤,٥ = \frac{٧٠}{٢٨٥٦١} \times ١٠٠٠٠ = ك$$

(٢٩) مطلع القصيدة :

إلام الخلف بينكم إلاما وهذه الضجة الكبرى علما

جدول (٧)

قصيدة «المؤتمر» (٣٠)

الفئة	عدد الكلمات	الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	الفئة
س	ع	س × ع	س ^٢	س ^٢ × ع	الفرق
١	١٧٧	١٧٧	١	١٧٧	-
٢	٢٠	٤٠	٤	٨٠	٤٠
٣	٦	١٨	٩	٥٤	٣٦
٤	٤	١٦	٦	٦٤	٤٨
٥	١	٥	٢٥	٢٥	٢٠
٦	١	٦	٣٦	٣٦	٣٠
المجموع	-	٢٦٢	-	٤٣٦	١٧٤

$$ك = \frac{١٧٤}{٦٨٦٤٤} \times ١٠٠٠٠ = ٢٥,٣$$

(٣٠) مطلع القصيدة :

صرح على الوادى المبارك ضاحى متظاير الاعلام والأوضاع

جدول (٨)

قصيدة «ذكرى استقلال سوريا» (٣١)

الفئة	عدد الكلمات	الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	الفئة
س	ع	س × ع	س ^٢	س ^٢ × ع	الفرق
١	١٣٩	١٣٩	١	١٣٩	—
٢	١٩	٣٨	٤	٧٦	٣٨
٣	٦	١٨	٩	٥٤	٣٦
٤	١	٤	١٦	١٦	١٢
٦	١	٦	٣٦	٣٦	٣٠
المجموع	—	٢٠٥	—	٣٢١	مج الفروق ١١٦

$$٢٧,٦ = \frac{١١٦}{٤٢٠,٢٥} \times ١٠٠٠٠ = ك$$

(٣١) مطلع القصيدة :

حياة ما نريد لها زيوالا ودنيا لا نود لها انتقالا

جدول (٩)

قصيدة «تحية للترك» (٣٢)

الفئة	عدد الكلمات	الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	الفئة
س	ع	س × ع	س ^٢	س ^٢ × ع	الفرق
١	١٥٥	١٥٥	١	١٥٥	-
٢	٢٤	٤٨	٤	٩٦	٤٨
٣	٩	٢٧	٩	٨١	٥٤
٤	٤	١٦	١٦	٦٤	٤٨
٥	١	٥	٢٥	٢٥	٢٠
٦	١	٦	٣٦	٣٦	٣٠
المجموع	-	مج ٢٥٧	-	مج ٤٥٧	مج الفروق ٢٠٠

$$ك = \frac{٢٠٠}{٦٦.٤٩} \times ١.٠٠٠ = ٣.٠٠٣$$

(٣٢) مطلع القصيدة:

بحمدك يا إله العالمينا وحمدك يا أمير المؤمنين

جدول (١٠)

قصيدة «الأندلس الجديدة» (٣٣)

الفئة	عدد الكلمات	الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة	مربع الفئة × عدد الكلمات	الفئة
س	ع	س × ع	س ^٢	س ^٢ × ع	الفرق
١	٢٦٤	٢٦٤	١	٢٦٤	-
٢	٤٦	٩٢	٤	١٨٤	٩٢
٣	١٢	٣٦	٩	٣٢٤	٢٨٨
٤	٦	٢٤	١٦	٩٦	٧٢
٥	١	٥	٢٥	٢٥	٢٠
٦	١	٦	٣٦	٣٦	٣٠
٧	٢	١٤	٤٩	٩٨	٨٤
١٠	١	١٠	١٠٠	١٠٠	٩٠
المجموع	-	مج ٤٥١	-	مج ١١٢٧	مج الفروق ٦٧٦

$$ك = \frac{٦٧٦}{٢٠٣٤٠١} \times ١٠٠٠٠ = ٣٣,٢$$

(٣٣) مطلع القصيدة :

يا أخت، أندلس عليك ساهم موت الخلافة عنك والإسلام

جدول (١١)

قصيدة «زحلة» (٣٤)

الفئة	عدد الكلمات	الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	الفئة
س	ع	س × ع	س ^٢	س ^٢ × ع	الفرق
١	١٦٠	١٦٠	١	١٦٠	—
٢	٢٠	٤٠	٤	٨٠	٤٠
٣	٢	٦	٩	١٨	١٢
٤	٣	١٢	١٦	٤٨	٣٦
٥	١	٥	٢٥	٢٥	٢٠
٦	٦	٦	٣٦	٣٦	٣٠
٩	١	٩	٨١	٨١	٧٢
المجموع	—	مجموع ٢٣٨١	—	مجموع ٤٤٨٢	مجموع الفروق ٢١٠

$$ك = \frac{٢١٠}{٥٦٦٤٤} \times ١٠٠٠٠ = ٣٧,١$$

(٣٤) مطلع القصيدة:

شيعت أحلام بقلب باك ولت من طرق الملاح شباكى

جدول (١٢)

قصيدة «الحرية الحمراء» (٣٥)

الفئة	عدد الكلمات	الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	الفئة
س	ع	س × ع	س ^٢	س ^٢ × ع	الفرق
١	٧٦	٧٦	١	٧٦	-
٢	١٤	٢٨	٤	٥٦	٢٨
٣	١	٣	٩	٩	٦
٤	١	٤	١٦	١٦	١٢
المجموع	-	مجموع ١١١	-	مجموع ١٥٧	مجموع الفروق ٤٦

$$ك = \frac{٤٦}{١٢٣٢١} \times ١٠٠٠٠ = ٣٧,٣$$

(٣٥) مطلع القصيدة :

في مهرجان الحق أويوم الدم مهج من الشهداء لم تتكلم

ثانياً : الشوقيات المجهولة

جدول (١٣)

رواية «فاشودة» (٣٦)

الفئة	عدد الكلمات	الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة	مربع الفئة × عدد الكلمات	الفرق
س	ع	س × ع	س ^٢	س ^٢ × ع	
١	١٥١	١٥١	١	١٥١	-
٢	١٤	٢٨	٤	٥٦	٢٨
٣	١	٣	٩	٩	٦
المجموع	-	مج ١٨٢	-	مج ٢١٦	مج الفروق ٣٤

$$١٠,٣ = \frac{٣٤}{٣٣١٢٤} \times ١٠٠٠٠ = ك$$

جدول (١٤)

قصيدة «عام الكفاء» (٣٧)

الفئة	عدد الكلمات	الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة	مربع الفئة × عدد الكلمات	الفرق
س	ع	س × ع	س ^٢	س ^٢ × ع	
١	٧٥	٧٥	١	٧٥	-
٢	٤	٨	٤	١٦	٨
٣	١	٣	٩	٩	٦
المجموع	-	مج ٨٦	-	مج ١٠٠	مج الفروق ١٤

$$١٨,٩ = \frac{١٤}{٧٣٩٦} \times ١٠٠٠٠ = ك$$

(٣٦) مطلع القصيدة : فاشودة رواية للمبصرين أية
 (٣٧) مطلع القصيدة : قل للمؤيد ماديهاك يدك التي صنعت قفاك

جدول (١٥)

قصيدة «العيدان السعيدان» (٣٨)

الفئة	عدد الكلمات	الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	الفئة
س	ع	س × ع	س ^٢	س ^٢ × ع	الفرق
١	١١٦	١١٦	١	١١٦	-
٢	١٤	٢٨	٤	٥٦	٢٨
٣	١	٣	٩	٩	٦
٤	١	٤	١٦	١٦	١٢
المجموع	-	مج ١٥١	-	مج ١٩٧	مج الفروق ٤٦

$$ك = \frac{٤٦}{٢٢٨.١} \times ١٠٠٠٠ = ٢٠,٢$$

جدول (١٦)

قصيدة «عاد لها عرابي» (٣٩)

الفئة	عدد الكلمات	الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	الفئة
س	ع	س × ع	س ^٢	س ^٢ × ع	الفرق
١	٤٧	٤٧	١	٤٧	-
٢	٥	١٠	٤	٢٠	١٠
المجموع	-	مج ٥٧	-	مج ٦٧	مج الفروق ١٠

$$ك = \frac{١٠}{٣٢٤٩} \times ١٠٠٠٠ = ٣٠,٨$$

- (٣٨) مطلع القصيدة : شكرتك في أجدائها الشهداء وترنمت بثنائك الأحياء
 (٣٩) مطلع القصيدة : صغار في الذهاب وفي الإياب أمبدا كل شائك يا عرابي

جدول (١٧)

قصيدة «عرايى وما جنى» (٤٠)

الفئة	عدد الكلمات	الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	الفئة
س	ع	س × ع	س ^٢	س ^٢ × ع	الفرق
١	٩٠	٩٠	١	٩٠	—
٢	١٣	٢٦	٤	٥٢	٢٦
٣	٢	٦	٩	١٨	١٢
٤	١	٤	١٦	١٦	١٢
المجموع	—	مج ١٢٦	—	مج ١٧٦	مج الفرق ٥٠

$$ك = \frac{٥٠}{١٥٨٧٦} \times ١٠٠٠٠ = ٣١,٥$$

(٤٠) مطلع القصيدة :

أهلا وسهلا بحاميها وفاديها ومرحبا وسلاما يا عرايىها

جدول (١٨)

قصيدة «صوت العظام» (٤١)

الفئة	عدد الكلمات	الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	الفئة
س	ع	س × ع	س ^٢	س ^٢ × ع	الفرق
١	١٦٤	١٦٤	١	١٦٤	-
٢	٣٣	٦٦	٤	١٣٢	٦٦
٣	١١	٣٣	٩	٩٩	٦٦
٤	٣	١٢	١٦	٤٨	٣٦
٥	١	٥	٢٥	٢٥	٢٠
١٠	١	١٠	١٠٠	١٠٠	٩٠
المجموع	-	مج ٢٩٠	-	مج ٥٦٨	مج الفروق ٢٧٨

$$ك = \frac{٢٧٨}{٨٤١٠٠} \times ١٠٠٠٠ = ٣٣,١$$

(٤١) مطلع القصيدة :

عرايى كيف أوفيك الملا ما جمعت على ملامتك الأنا ما

جدول (١٩)

قصيدة «يتيمة التيجان» (٤٢)

الفئة	عدد الكلمات	الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	الفئة
س	ع	س × ع	س ^٢	س ^٢ × ع	الفرق
١	١٤٤	١٤٤	١٤٤	١٤٤	-
٢	٢٨	٥٦	٤	١١٢	٥٦
٣	١١	٣٣	٩	٩٩	٦٦
٤	٣	١٢	١٦	٤٨	٣٦
٥	٢	١٠	٢٥	٥٠	٤٠
٦	١	٦	٣٦	٣٦	٣٠
المجموع	-	٢٦١	-	٤٨٩	٢٢٨

$$ك = \frac{٢٠٠}{٦٨١٢١} \times ١٠٠٠٠ = ٢٣,٥$$

(٤٢) مطلع القصيدة :

«جلوسك أم سلام العالمينا .. وتاجك أم هلال العزفينا»

جدول (٢٠)

قصيدة «حكاية السودان»^(٤٣)

الفئة	عدد الكلمات	الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	الفئة
س	ع	س × ع	س ^٢	س ^٢ × ع	الفرق
١	١٠١	١٠١	١	١٠١	-
٢	١٠	٢٠	٤	٤٠	٢٠
٣	٥	١٥	٩	٤٥	٣٠
٤	٢	٨	١٦	٣٢	٢٤
المجموع	-	مج ١٤٤	-	مج ٢١٨	مج الفروق ٧٤

$$ك = \frac{٧٤}{٢٠٧٣٦} \times ١٠٠٠٠ = ٣٥,٧$$

(٤٣) مطلع القصيدة :

تأمل في الوجود وكن ليبيا وقم في العالمين فقل خطيبا

جدول (٢١)

قصيدة «عيد الخليفة» (٤٤)

الفئة	عدد الكلمات	الفئة x عدد الكلمات	مربع الفئة x عدد الكلمات	مربع الفئة x عدد الكلمات	الفئة
س	ع	س x ع	س ^٢	س ^٢ x ع	الفرق
١	٩٥	٩٥	١	٩٥	-
٢	١٧	٣٤	٤	٦٨	٢٤
٣	٦	١٨	٩	٥٤	٣٦
٤	٣	١٢	١٦	٤٨	٣٦
٥	١	٥	٢٥	٢٥	٢٠
المجموع	-	مج ١٦٤	-	مج ٢٩٠	مج الفروق ١٢٦

$$ك = \frac{٢١٠}{٢٦٨٩٦} \times ١٠٠٠٠ = ٤٦,٨$$

(٤٤) مطلع القصيدة :

عش للخلافة ترضاهما وترضيها وتتشى السكة الكبرى وتحبها

ثالثا : القصائد الروحية

جدول (٢٢)

قصيدة «الذكرى السادسة والعشرين» (٤٥)

الفرق	عدد الكلمات	الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	الفئة
س	ع	س × ع	س ^٢	س × ع	س
١	١٤١	١٤١	١	١٤١	١
٢	٢٣	٤٦	٤	٩٢	٤٦
٣	٢	٦	٩	١٨	١٢
٤	١	٤	١٦	١٦	١٢
٥	١	٥	٢٥	٢٥	٢٠
المجموع	—	مج ٢٠٢	—	مج ٢٩٢	مج الفرق ٩٠

$$ك = \frac{٩٠}{٤٠٨٠٤} \times ١٠٠٠٠ = ٢٢,١$$

(٤٥) مطلع القصيدة :

كبرت باسم الخالق المعبود الحج جمع أم طواف العيد

جدول (٢٣)

قصيدة «نكريات» (٤٦)

الفئة	عدد الكلمات	الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة	مربع الفئة × عدد الكلمات
س	ع	س × ع	س ^٢	س ^٢ × ع
١	١٦٧	١٦٧	١	١٦٧
٢	٢٨	٥٦	٤	١١٢
٣	٨	٢٤	٩	٧٢
٤	٣	١٢	١٦	٤٨
٥	١	٥	٢٥	٢٥
٦	١	٦	٣٦	٣٦
المجموع	—	مج ٢٧٠	—	مج ٤٦٠
مج الفرق	١٩٠			

$$ك = \frac{١٩٠}{٧٢٩٠٠} \times ١٠٠٠٠ = ٢٦,١$$

(٤٦) مطلع القصيدة:

مترفقا بمسيرة المتتالي

أب الزمان يعرّج الإقبال

جدول (٢٤)

قصيدة «مأساة التفرقة العنصرية» (٤٧)

الفئة	عدد الكلمات	الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	الفئة
س	ع	س × ع	س ^٢	س ^٢ × ع	الفرق
١	١١٧	١١٧	١	١١٧	—
٢	١٢	٢٤	٤	٤٨	٢٤
٣	٣	٩	٩	٢٧	١٨
٤	٣	١٢	١٦	٤٨	٣٦
المجموع	—	١٦٢	—	٢٤٠	مج الفروق ٧٨

$$ك = ١٠٠٠٠ \times \frac{٧٨}{٢٦٢٤٤} = ٢٩,٧$$

(٤٧) مطلع القصيدة :

يا عاذل السمراء قف دون الفزق أولم تك الأجاس حسنوا من علق

جدول (٢٥)

قصيدة «تحية الشهداء»^(٤٨)

الفئة	عدد الكلمات	الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	الفئة
س	ع	س × ع	س ^٢	س ^٢ × ع	الفرق
١	١٨٣	١٨٣	١	١٨٣	—
٢	١٩	٣٨	٤	٧٦	٢٨
٣	٩	٢٧	٩	٨١	٥٤
٤	٢	٨	١٦	٣٢	٢٤
٥	٣	١٥	٢٥	٧٥	٦٠
٧	٢	١٤	٤٩	٧٨	٦٤
المجموع	—	مجموع ٢٨٥	—	مجموع ٢٢٥	مجموع الفروق ٢٤٠

$$ك = \frac{٢٤٠}{٨١٢٢٥} \times ١٠٠٠٠ = ٢٩,٥$$

(٤٨) مطلع القصيدة :

مصر الأبية والخطوب تسيردها والعيسف في يحن الصروف شديدها

جدول (٢٦)

قصيدة «صوت من الغيب» (٤٩)

الفئة	عدد الكلمات	الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	الفئة
س	ع	س × ع	س ^٢	س ^٢ × ع	الفرق
١	٩٠	٩٠	١	٩٠	-
٢	٦	١٢	٤	٢٤	١٢
٣	٣	٩	٩	٢٧	١٨
٥	١	٥	٢٥	٢٥	٢٠
المجموع	-	مج ١١٦	-	مج ١٦٦	مج الفروق ٥٠

$$ك = ١٠٠٠٠ \times \frac{٥٠}{١٣٤٥٦} = ٣٧,٢$$

(٤٩) مطلع القصيدة :

السروح أظهره المعاد فجددى يانفس عهدك بالحبيب وأسعدى

جدول (٢٧)

قصيدة «إلى المتشككين» (٥٠)

الفئة	عدد	الفئة	مربع	مربع الفئة	الفئة
	الكلمات	عدد الكلمات	×	×	عدد الكلمات
س	ع	س × ع	س	س × ع	الفرق
١	٢٦٦	٢٦٦	١	٢٦٦	-
٢	٥٢	٥٢	٤	١٠٤	٥٢
٣	٦	١٨	٩	٥٤	٣٦
٨	١	٨	٦٤	٦٤	٥٦
١٩	١	١٩	٣٦١	٣٦١	٢٤٢
المجموع	-	٢٢٣	-	٨٠٩	٤٨٦

$$٤٦,٦ = \frac{٤٨٦}{١٠٤٣٢٩} \times ١٠٠٠٠ = ك$$

(٥٠) مطلع القصيدة :

والفتح أزهر من عنان قبابه

فضت رموز الغيب من أحقابه

جدول (٢٨)

قصيدة «تحية وعرفان» (٥١)

الفئة	عدد الكلمات	الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	الفئة
س	ع	س × ع	س ^٢	س ^٢ × ع	الفرق
١	٨٩	٨٩	١	٨٩	-
٢	٦	١٢	٤	٣٦	٢٤
٣	٢	٦	٩	١٨	١٢
٤	١	٧	٤٩	٤٩	٤٢
المجموع	-	مج ١١٤	-	مج ١٩٢	مج الفروق ٧٨

$$٦٠ = \frac{٧٨}{١٢٩٩٦} \times ١٠٠٠٠ = ك$$

(٥١) مطلع القصيدة :

بروحى الحفى هفا واذكر وطلال الوفاء وأطرى السير

جدول (٢٩)

قصيدة «حنين الذكريات» (٥٢)

الفئة	عدد الكلمات	الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	مربع الفئة × عدد الكلمات	الفئة
س	ع	س × ع	س ^٢	س ^٢ × ع	الفرق
١	٨٧	٨٧	١	٨٧	-
٢	١١	٢٢	٤	٤٤	٢٢
٣	٣	٩	٩	٢٧	١٨
٤	٣	١٢	١٦	٤٨	٣٦
٦	١	٦	٣٦	٣٦	٣٠
المجموع	-	مج ١٣٦	-	مج ٢٤٢	مج الفروق ١٠٦

$$ك = \frac{١٠٦}{١٨٤٩٦} \times ١٠٠٠٠ = ٥٧,٣$$

(٥٢) مطلع القصيدة :

مستأنثرا بالذكريات مواليا أحيا شغوقا للودائع راعيا

جدول (٣٠)

تقصيئة «تقوطين» (٥٣)

الفترة	عدد الكلمات	الفترة	مربع الفترة	مربع الفترة	عدد الكلمات
س	ع	س × ع	س	ع	س × ع
١١	١١٧	١١٧	١	١١٧	١١٧
٢	١٥	٣٠	٤	٦٠	٢٤٠
٣	٣	٩	٩	٢٧	٢٤٣
٤	٣	٨	١٦	٢٢	٣٥٢
٥	٣	١٠	٢٥	٥٠	١٢٥٠
١٣	١	١٣	١٦٩	١٦٩	١٦٩
المجموع	—	١٨٧	—	٤٤٥	٣٦٨

$$٧٦,٦ = \frac{٣٦٨}{٣٤٩٦٩} \times ١٠٠٠٠ = ك$$

(٥٣) مطالع التقصيئة ::

يركب الزمان أنينا خطر رسم الحياة يحيى اليشر

تلكم هي المعطيات التي أسفر عنها تطبيق معادلة يول على القصائد المختارة، ولنبحث الآن فيما عسى أن تشير إليه هذه المعطيات، وما قد تدل عليه من دلالات، وذلك هو موضوع الفقرة التالية :

٤ - تحليل للنتائج :

«هل يمكن أن تكون هذه الأضرِب الثلاثة من القصائد صادرة عن شاعر واحد؟» - ذلك هو السؤال الذي طرحناه في مقدمة بحثنا عن الثابت والمنسوب من شعر شوقي، وجعلنا غاية الداسة أن نصل في أمره إلى جواب . ونحاول باستقراء نتائج القياس التي خرجنا بها في الفقرة السابقة أن نتعرف إلى الكيفية التي يمكن أن نفيدها بها من الدراسة الاحصائية الأسلوبية لحل بعض العضلات الناشئة عن اختلاط الأنساب في الأعمال الأدبية خاصة وفي النصوص المكتوبة عامة .

ولاشك أن مناط الحكم بصحة النسب أو فسادة في هذه القضية إنما هو مدى ما نستكشفه بوسائلنا المنهجية من تشابه أو تنافر في الخصائص الأسلوبية بين النماذج المنسوبة والنماذج الصحيحة النسب . وهذا المعيار هو الذي ينبغي تحكيمه سواء صدر الباحث في حكمه عن نوق ذاتي أو معيار موضوعي . وفي هذه الفقرة من البحث سنعالج النقاط الآتية على الترتيب .

أولا : دلالة المدى .

ثانيا : دلالة القيمة المتوسطة .

ثالثا : تحقيق نسبة الشوقيات المجهولة .

رابعا : تحقيق نسبة القصائد الروحية .

خامسا : مشكلة تداخل الخصائص الأسلوبية بين المؤلفين .

ولنبداً بالنقطة الأولى :

٤ - ١ : دلالة المدى :

نعنى إحصائيا بالمدى range الفرق بين أكبر رقم وأصغر رقم سجلها مقياس يول فى مجموعة من المجموعات الثلاث، ويتضح من الجدول (٣١) - الذى ضمناه المعلومات الخاصة بفروق المدى - أن حساب المدى يؤكد وجود فروق واضحة ما بين الشعر الثابت والشعر المنسوب بنوعيه . وهذه إشارة ظاهرة الدلالة على وجود تمايز واضح بينهما من حيث خاصية تكرارية المفردات التى هى - كما ذكرنا - من أدل الخصائص الأسلوبية على شخص المنشئ .

جدول رقم (٣١)

فروق المدى

المدى	الرقم الأصغر	الرقم الأكبر	
١٣,٥	٢٣,٨	٣٧,٣	الشوقيات الثابتة
٣٦,٥	١٠,٣	٤٦,٨	الشوقيات المجهولة
٥٤,٥	٢٢,١	٧٦,٦	القصائد الروحية

وهذا التمايز والاختلاف بين الشعر الثابت والشعر المنسوب بنوعيه - وإن كان هو الطابع العام للعلاقة بينهما، يختلف اختلافا كميا واضحا بين الشوقيات المجهولة والقصائد الروحية؛ فعلى حين يصل الفرق بين الشوقيات الثابتة والقصائد الروحية (٤١) نجده لا يتجاوز مع الشوقيات المجهولة (٢٣) .

ومن الطبيعى أن نستنتج من هذا أن درجة الانحراف فى الشوقيات المجهولة عن

النمط الذى يمثل الشعر الثابت ضئيلة نسبيا إذا ما قيس بدرجة الانحراف بينه وبين القصائد الروحية .

وهاتان النتيجتان على جانب من الأهمية كبير؛ ذلك أن دلالة قياس الخصائص الأسلوبية من أبرز الظواهر المحددة للبصمة الأسلوبية . كما أن عكس هذه القضية صحيح أيضا، إذ يرتبط اتساع المدى بميوعة الأسلوب وانعدام التميز وضعف الدلالة على مؤلفه .

وينشأ عن المقولة السابقة فرضية أخرى نعتقد صوابها، وهى أن اتساع المدى يجعل احتمال تعدد مصادر النصوص (أى مؤلفيها) كبيرا، كما أن ضيق المدى شاهد قوى على رجحان احتمال وحدة المصدر . وفى ضوء ذلك يمكننا أن نفسر ضيق المدى فى الشوقيات الثابتة، واتساعه إلى ما فى الشوقيات المجهولة . وبلوغ هذا الاتساع أقصى ما وصل إليه فى القصائد الروحية .

إن دلالة المدى تقول فى وضوح : إنه فى مقابل المؤلف الواحد فى الشعر الثابت يوجد مؤلفون متعددون بدرجات متفاوتة فى الشعر المنسوب .

٤ - ٢ : دلالة القيمة المتوسطة :

لننظر إلى المسألة من زاوية أخرى مستخدمين مقياس المتوسط الحسابى الذى يمكن إيجاد قيمته بجمع القيم الخاصة بكل مجموعة من المجموعات الثلاث، وقسمتها على ٩ وهو عدد القصائد فى كل مجموعة .

وبحساب متوسط قيمة «ك» فى فى الشوقيات الثابتة وجدنا أن الناتج هو ٢٩, ٢٣ (وذلك بقسمة ٢٣٦٠, ١ على ٩ - وفى الشوقيات المجهولة ٢٨, ٩٧) (وهو خارج قسمة ٢٦٠, ٨ على ٩) أما فى القصائد الروحية فتصل القيمة إلى ٤٢, ٧٨ أى أن الفرق فى قيمة «ك» بين الثابتة والمجهولة لا يتجاوز ٢٦, ٠ . وبين الشوقيات الثابتة والروحية ١٣, ٥٥،

وهو فارق من الظهور بحيث لا يمكن تجاهله وهذه النتيجة تؤكد مرة أخرى ما سبق أن توصلنا إليه بحساب المدى من وجود شبه قوى بين الشوقيات الثابتة والمجهولة وتناظر واضح بين كليهما من جهة والقصائد الروحية من جهة أخرى .

٤ - : تحقيق نسبة الشوقيات المجهولة :

يشير حساب المدى وحساب القيمة المتوسطة إلى تعدد المؤلفين فى الشوقيات المجهولة وإن يكن بنسبة أقل بكثير من تلك التى تنبئ عنها نتائج القياس فى القصائد الروحية، وسنحاول الآن أن نفحص الشوقيات المجهولة عن قرب لنحقق نسبة القصائد فى ضوء الدليل الإحصائى .

إذا اتخذنا قيمة المدى فى الشوقيات الثابتة حداً معيارياً للقياس فيتضح لنا أن قصائد الشوقيات المجهولة التسع يمكن تصنيفها بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أضرب :

الأول : قصائد تقع من حيث قيمة (ك) داخل المدى المعيارى وعددها خمس .

الثانى : قصائد قيمة (ك) فيها دون المدى المعيارى وعددها ثلاث .

الثالث : قصيدة واحدة تتجاوز قيمة (ك) المدى المعيارى وسنقصر حديثنا هنا على القصائد التى تجاوزت المدى المعيارى أو وقعت دونه، فهذه هى القصائد التى يرشحها الدليل الإحصائى لأن تكون أحق بالشك فى صحة انتسابها إلى شعر شوقى .

والقصائد الثلاث التى تصل قيمة (ك) فيها إلى الحد المعيارى الأدنى هى : «رواية فاشودة» وكانت بتوقيع «شرم برم» و«عام الكف» بتوقيع «ش» و«العيدان السعيدان» وهى غفل من أى توقيع .

فأما «رواية فاشودة» فقد نسبها محمد صبرى إلى شوقى فى بحثه الذى ألقاه فى «مهرجان أحمد شوقى» بمناسبة ذكره السادسة والعشرين، وذلك «لأن أسلوب أمير

الشعر ينم عليه» (٥٤) . ثم نشرها فى الشوقيات المجهولة نقلا عن المؤيد (٥٥) . وجاء فى تمهيد المؤيد للقصيدة قوله : «جاءتنا هذه الرواية البديعة من أحد الظرفاء» . واستدل صبرى فى الحاشية لصحة نسبة القصيدة بما جاء فى الجزء العاشر من مجلة الجامعة «عدد يناير ونصف فبراير ١٩٠١» ، إذ نسب القصيدة إلى «شاعر النيل» كما جاء فى التمهيد لها قول المحرر : ولم نسم الناظم لأن لقب شاعر النيل ينم عليه» (٥٦) . ونحن نستبعد نسبة هذه القصيدة إلى شوقى اعتمادا على الدليل الإحصائى (إذ قيمة «ك» لم تتجاوز فيها ١٠,٣ وهى قيمة تنخفض بشكل ظاهر قيمة الحد المعيارى الأدنى) . ولأن لقب «شاعر النيل» تنازعه أكثر من شاعر فهو ليس قطعى الدلالة على أحمد شوقى ، وكذلك لأن توقيع «شرم برم» توقيع فريد فى الشوقيات المجهولة لم يتكرر فى أى من القصائد الأخرى المنسوبة لشوقى بعكس التوقيعات الأخرى . ويلاحظ أيضا أن صبرى لم يوثق رأيه فى نسبة القصيدة بشهادة الرجال كدأبه فى مواطن أخرى كثيرة .

وأما قصيدة «عام الكف» (٥٧) فقد نشرتها جريدة الظاهر مع عبارة تقول «وردت إلينا هذه القصيدة مع بريد الخارج» . ويعتقد صبرى أن القصيدة لشوقى مستدلا بأنه كان من عاداته السفر إلى الخارج فى صيف كل عام . ويأتى «الظاهر» نشرت له قصائد كثيرة بامضاء (ش) ويذكر المحقق أن «الأستاذ طاهر حقى يعارض فى نسبتها ، ولكن الأستاذ الجدلى يقول لنا نقلا عن الأستاذ عباس الجمل إنها لشوقى . ويقول إنه سأل

(٥٤) محمد صبرى : التاريخيات والوطنيات فى شعر شوقى ، مهرجان أحمد شوقى . المجلس الأعلى للفنون والآداب ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ١٣٢ .

(٥٥) عدد نوفمبر ١٩٩٨ .

(٥٦) الشوقيات المجهولة ١٣١/١٠ .

(٥٧) أطلق عام الكف على قضية الزوجية الشهيرة التى كان لها ضجة كبرى فى سنة ١٩٠٤ . وهى خاصة بفسخ زواج الشيخ على يوسف من أسرة الشيخ عبد الخالق السادات لعدم الكفاءة فى النسب ، (حاشية : هذه الملاحظة أضافتها هيئة تحرير مجلة فصول عند نشرها هذا البحث فى صورته الأولى) .

شوقى عن ذلك فأكد أن القصيدة له، فقطعت جهيذة قول كل خطيب» (٥٨) .

ومن الصعب أن ننفي القصيدة عن شوقى بطبيعة الحال مع وجود مثل هذا السند الذى يوثقه المحقق بقوله «فقطعت جهيذة قول كل خطيب»، وذلك على الرغم من أن قيمة «ك» بلغت فيها «١٨,٩» بفارق بينها وبين الحد المعيارى الأدنى للمدى «٦,٩» . غير أننا نلاحظ مع ذلك أن وجود هذا الفارق الموضوعى فى قيمة «ك» بين القصيدة والحد المعيارى الأدنى قد صاحبه فى الحكم الذوقى تردد واضح فى نسبتها إلى الشاعر من جانب المحقق، وإنكار تام لهذه النسبة من جانب الأستاذ طاهر حقى «وقد كان من أصدقائه المقربين ومن أعرفهم بشعره المجهول»، ويسجل المحقق ملاحظة أخرى عن القصيدة ذات قيمة فى بابها، وذلك قوله : «وإن كانت سقيمة فى بعض أجزائها» (٥٩) ويعنى ذلك كله - فى رأينا - أنه حتى إذا صحت نسبة القصيدة إلى شوقى فقد اشتملت فى خصائصها الأسلوبية على أمور أنكرها النقاد حين وزنوها بميزان الذوق الخبير، وليس لذلك إلا دلالة واحدة هى أن شوقى فى هذه القصيدة لم يكن شوقيا .

وأما آخر هذه القصائد الثلاث فهى قصيدة «العيدان السعيدان»، ونلاحظ أن الفارق بين قيمة «ك» «وهى ٢٠,٣» وبين الحد المعيارى الأدنى «وهو ٢٣,٨» ضئيل جدا «٣,٥» وهو فارق يمكن تجاهله ولا يمنع من نسبة القصيدة إلى الشاعر .

وبقيت لدينا القصيدة الوحيدة التى تجاوزت فى قيمة «ك» الحد المعيارى الأهلئ بفارق واضح «وهو ٩,٥» . وهذه القصيدة نشرتها اللواء (٦٠)، بعنوان «عيد الخليفة» ونسبتها لشاعر حكيم من أكبر شعراء العصر فى مصر (٦١) . ولم يذكر صبرى من الأدلة

(٥٨) الشوقيات المجهولة ٢/٣٠ .

(٥٩) السابق .

(٦٠) عدد ١ سبتمبر ١٩٠٣ .

(٦١) الشوقيات المجهولة ١/٣٠٦ .

المرجحة لنسبتها إلى شوقي إلا قوله : «ويلاحظ أن معظم قصائد شوقي في الخليفة كان يحرض دول البقان التابعة لتركيا على الثورة والانفصال، وأنها كانت غفلا من الأمضاء (٦٢) .

ونحن نستبعد القصيدة إلى شوقي لأمر :

أولها : أن ما ذكره المحقق ليس أكثر من قرينة ضعيفة لا ترقى إلى مرتبة الدليل.

وثانيها : أن شوقي لم يكن الشاعر الوحيد من أبناء جيله الذي كان عثمانى الهوى، والدواعى التى دعتة إلى اغفال إمضائه ربما تدعو غيره كذلك .

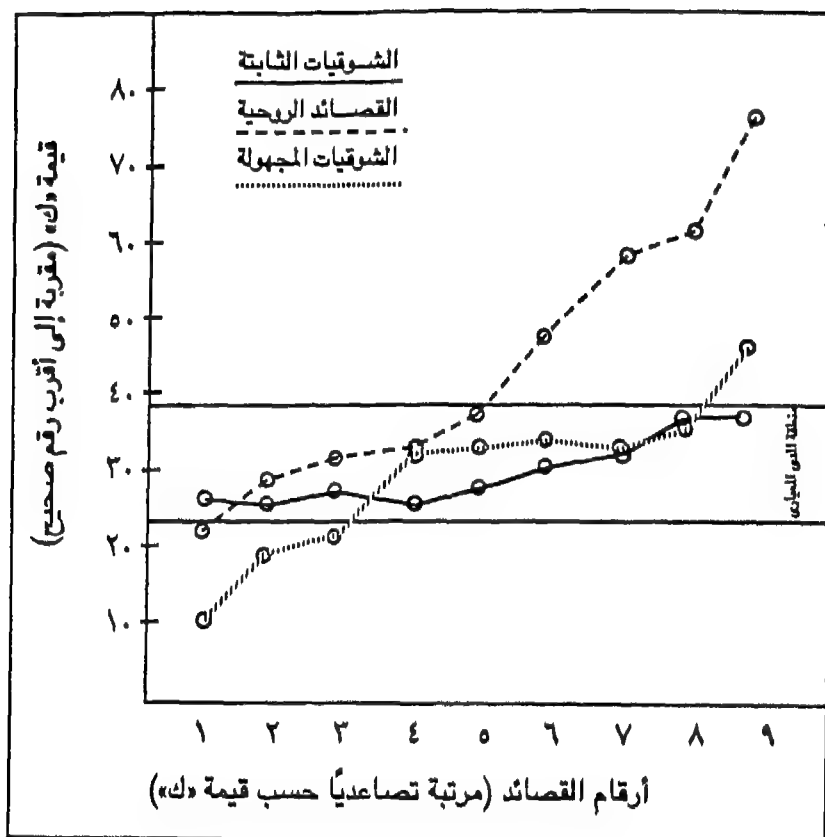
وثالثها : أن قيمة «ك» في القصيدة بلغت «٨ ، ٤٦»، وهى قيمة غريبة كل الغرابة على الشوقيات الثابتة والمجهولة على سواء، ويشهد لذلك أن الفارق الذى يفصلها - فى حساب قيمة ك - عن القصيدة الواقعة بعدها مباشرة فى الترتيب التنازلى هو «١ ، ١١»، فكأنها تقف وحيدة فى الترتيب، ومن هذا يظهر أن القصيدة من حيث قيمة «ك» فيها تبدو شاذة عن سائر الشوقيات الثابتة والمجهولة .

رابعها : أن ثمة قصائد أخرى فى الشوقيات الثابتة والمجهولة تعالج موضوع مدح الخليفة والدفاع عن الخلافة والإسلام ضد التعصب الأوروبى والتغنى بأمجاد بنى عثمان، وإذا رجعنا بالموازنة إلى قيمة «ك» فى هذه القصائد فسنجدها فى قصيدة «تحية للترك» «٣ ، ٣٠» وفى قصيدة «الأندلس الجديدة» «٢ ، ٢٣»، وفى قصيدة «يتيمة التيجان» «٥ ، ٣٣» والقصيدتان الأوليان من الثوابت، والثالثة من المجهولات، وواضح أن جميع هذه القصائد تتقارب فيها قيمة «ك» تقاربا شديدا، إذ الفرق بين أقل قيمة فيها وأعلى قيمة لا يتجاوز «٣ ، ٣٢» على حين يبدو الفرق بين أقل قيمة «ك» فى القصائد «وهى ٣ ، ٣٠» ،

وقصيدة «عيد الخليفة» المنسوبة إلى شوقي «١٦، ٥»، وهذا الدليل يقوى من جديد نسبة الشوقية المجهولة «يتيمة التيجان» إلى الشاعر، ويضعف القول بنسبة قصيدة «عيد الخليفة» إليه .

وموجز الرأي في القصائد الثلاث (٦٣) التي وقعت فيها قيمة «ك» دون الحد المعيارى الأدنى للمدى - «انظر الرسم البياني (١) - هو ما نميل إليه من نفى نسبة «رواية فاشودة» عن شوقي وإثبات نسبة «العيدان السعيدان» إليه . أما قصيدة «عام الكفاء» فلا نستبعد نسبتها للشاعر وإن كنا نسجل إنكار بعض العارفين بشعره لصحة نسبها، ونقرن ذلك بما سجله المقياس من بعد نسبى بينها وبين الحد المعيارى الأدنى للمدى فى ثوابت شوقي، أما قصيدة «عيد الخليفة» فتؤكد أنها لا صلة لها بشعر شوقي الثابت النسبة إليه .

(٦٣) يرجع إلى أحمد الحوفى فضل الكشف عن القصائد الثلاث . وقد استدل على نسبتها إلى شوقي بما أسبقته «اللواء» من أوصاف على صاحبها مثل قولها : والشاعر من أكبر الشعراء بل أكبرهم بلا نزاع» وقولها : وجادت قريحة أبلغ الشعراء أو «أبلغ البلغاء» . وأثبتها لشوقي من بعد ذلك صبرى استدلالاً بنسبية الأسلوب، انظر وطنية شوقي، ط ٢، القاهرة، د. ت، ص ٩، ٢١٥ - ٢٢٠ وما هو ذا القياس الإحصائى الموضوعى يثبت صحة .



رسم رقم (١)

٤ - ٤ : تحقيق نسبة القصائد الروحية إلى شوقي :

تتضافر الأدلة الإحصائية من حساب المدى إلى حساب المتوسط على ترجيح القول بتعدد مصادر هذه القصائد الروحية على ما سبق بيانه . وذلك لما بين الشعر الثابت النسبة وهذا الشعر المنحول من فروق كبيرة من حيث حساب الخاصية (ك) طبقاً لمعادلة يول . ونحن نؤسس على هذه الحقيقة قولنا باستبعاد أن يكون صاحب الشوقيات الثابتة هو نفسه مصدر هذه القصائد . أما ظاهرة الوساطة الروحية والإلهام فنعترف بعجزنا عن أن نبدي فيها رأياً .

وقصارانا صدد هذا أن نثبت ما توصلنا إليه بإعمال المعايير الإحصائية الموضوعية . وعلى أساس من ذلك نرى أن وصف القصائد الروحية بأن «لها نفس الطابع والأسلوب واللغة والبناء الفني ونفس الشاعرية والطريقة بحيث يكاد القارئ يتمثل شوقي واقفاً يلقي الشعر» . وهو الوصف الذي جاء على لسان رؤوف عبيد . لا يتفق مع ما أنتجه الفحص الموضوعي للنصوص . ومن آيات ذلك أننا وجدنا الهوة الفاصلة بين الشوقيات المجهولة والشوقيات الثابتة لا تكاد تقاس إلى الفروق الإحصائية الكبيرة بين الشوقيات الثابتة وتلك القصائد الروحية، وهي فروق ظاهرة الدلالة على اختلاف المصدر بين الضربين من الشعر .

ونريد هنا أن نزيد الأمر إيضاحاً باختبارنا لطبيعة مقياس بول ومدى قدرته على أن يكون أداة علمية لتشخيص الأساليب كما يستعمل الترمومتر في قياس درجات الحرارة . وسيلنا إلى ذلك أن نقيم مجموعة من الموازنات على محاور ثلاثة هي :

(أ) التشابه (أو الاختلاف) في الموضوع .

(ب) التشابه (أو الاختلاف) في الشكل .

(ج) التشابه (أو الاختلاف) في قيمة «ك» .

لاحظنا أن المدى في الشوقيات الثابتة لا يتجاوز في القصائد التسع «١٣, ٥»، وذلك مع تعدد الموضوعات التي عالجها بين موضوعات تاريخية وتأملية وإسلامية ووطنية وغزلية ووصفية، ويبرز في هذا المقام قصيدته زحلة وفيها أبياته المشهورة :

يا جارة الوادئ طربت وعادنى	ما يشبه الأحلام من ذكراك
مثلت فى الذكرى هواك وفى الكرى	والذكريات صدئ السنين الحاكى
ولقد مررت على الرياض بريوة	غناء كنت حياها القاك
ضحكت إلى وجوها وعيونها	وشممت فى أنفاسها رياك

ففى هذه القصيدة بلغت قيمة «ك» «٣٧, ٣»، وقد يشير الدهشة أن نجد قصيدة أخرى لشوقى هي «الحرية الحمراء»، وبها تصل قيمة «ك» إلى «٣٧, ١» أى أن بينها وبين القصيدة الأولى تطابقا شبه تام فى قمة «ك»، فى مطلع هذه القصيدة يقول شوقى :

فى مهرجان الحق أو يوم الدم	مهج من الشهداء لم تتكلم
يبدو على هاتور نور دماها	كدم الحسين على هلال محرم

ومرد الدهشة إلى تطابق القصيدتين فى قيمة «ك» واختلافهما اختلافا بينا فى الموضوع والجو، وهذه الحقيقة تبين سمة هامة فى المقياس الذى أعملناه هى أن الخاصية التى يقيسها ترتبط بالمؤلف لا بالعاطفة أو الموضوع، ويقال مثل ذلك فى الموازنة بين قصيدة الشاعر فى مؤتمر مبايعته بالإمارة «٢٣, ٨»، وذكر كارنارفون «٢٤» وشهيد الحق «٢٤, ٥» وقصيدة المؤتمر «٢٥» .

وتقودنا الموازنة بين الشوقيات المجهولة والثابتة إلى عدد من الملاحظات المهمة نجملها فيما يلى :

١ - إن ثمة قصائد فى الشوقيات الثابتة والمجهولة تتسم بالتشابه فى الموضوع والتباعد فى الشكل قد حققت تقاربا واضحا فى قيمة «ك» . ومثال ذلك ما سبق أن

أشرنا إليه من تقارب قيمة «ك» فى الشوقيتين الثابنتين «تحية للترك» (٣٠, ٣) و«الأندلس الجديدة» (٢٣, ٢)، وفى الشوقية المجهولة «يتيمة التيجان» (٣٣, ٥).

٢ - إن من الشوقيات المجهولة قصائد عالجت موضوعا واحدا واختلفت مع ذلك قيمة «ك» فيها اختلافا ظاهرا، ومثال ذلك «رواية فاشودة» (١٠, ٣) و«حكاية السودان» (٣٥, ٧).

وهذا دليل جديد فى رأينا على اختلاف المصدر بين القصيدتين نضيفه إلى الدليل الأول وهو وقوع القصيدة الأولى دون الحد المعيارى الأدنى للمدى بفارق كبير.

٣ - إن الشوقيات الثلاثة المجهولة التى هجا فيها الشاعر الزعيم أحمد عرابى تقدم لنا مثالا واضحا على دقة المقياس وحساسيته، إن هذه القصائد الثلاث يختلف بعضها عن بعض فى جوانب شكلية كثيرة، فمن حيث الوزن نجد إحداها من البسيط والآخرين من الوافر. وأما من حيث الطول فقصيدة (عاب لها عرابى) تتألف من ١٨ بيتا و١٦٦ كلمة، وقصيدة (عراى وماجنى) تتألف من ٤٥٦ كلمة وعدد أبياتها ٤٦ بيتا، وقصيدة (صوت العظام) من ٨٠٨ كلمة وعدد أبياتها ٩٠ بيتا.

وإذا وضعنا بإزاء هذا الاختلاف ما سجلته قيمة «ك» فى القصائد الثلاث وجدناها على الترتيب (٣٠, ٨) و(٣١, ٥) و(٣٣, ١). وهى نسب متقاربة إلى أبعد حد.

أما حين نصل بالموازنة إلى القصائد الروحية فنسجد ملاحظات ذات غناء كبير فى تحديد موقف هذه القصائد من جهة وفى الإبانة عن طبيعة مقياس يول من جهة أخرى. وهذه هى:

١ - تفاوت قيمة «ك» تفاوتا واضحا بين قصائد ذات حظ كبير من التجانس الموضوعى، ومن أمثلة ذلك قصيدة «الذكرى السادسة والعشرين» (٢٢, ١) و«تحية وعرفان» وعن كلتا القصيدتين يقول رؤوف عبيد إنها قيلت فى المناسبة نفسها. ومع ذلك

بلغ الفرق بينهما (٣٧، ٩) أى ما يقارب ثلاثة أمثال المدى فى جميع الشوقيات الثابتة .
ومن أصعب الصعب مع وجود هذا الدليل الإحصائى نسبة القصيدتين إلى مصدر واحد .
وتوجد أمثلة أخرى للظاهرة نفسها ، منها فى العينات التى درسناها : «ذكريات» (٢٦، ١)
و«حنين الذكريات» (٥٧، ٣) و«خواطر» (٧٦، ٦) .

٢ - فى قصيدتين إحداهما ثابتة والأخرى روحية جاءتا على وزن وروى واحد
هما : «ذكرى كارنارفون» و«إلى المتشككين» .

ونلاحظ أن عبيد أورد القصيدة الثانية على أنها معارضة للأولى ، وأن شوقى قد
عدل فيها عن رأيه فى علم الروح والمشتغلين به .

ومع ذلك سجلت قيمة «ك» فى القصيدة الأولى (٢٤) وفى الثانية (٤٦، ٦) بفارق
يصل إلى (٢٢، ٦) . وهو فارق لا يمكن التغاضى عنه .

وهكذا يتضح - وبالنظرة المجردة إلى الرسم البيانى (٢) - التفاوت الواضح فى
الخواص بين الشوقيات الثابتة والقصائد الروحية كما تتضح فى الوقت نفسه مدى
حساسية المقياس وقدرته على التشخيص .

٤ - ٥ : ظاهرة التداخل فى قيمة (ك) بين الشوقيات الثابتة والقصائد الروحية

يتضح من الجداول السابقة ومن الرسم البيانى أن قيمة «ك» فى عدد من القصائد
الروحية تقع داخل حدود المدى المعيارى . وهذه القصائد هى : قصيدة «فى الذكرى
السادسة والعشرين» (٢٢، ١) و«ذكريات» (٢٦، ١) و«مأساة التفرقة العنصرية» (٢٩، ١)
و«صوت من الغيب» (٢٧، ٢) . وقد تثير هذه القصائد عند بعض القراء مشكلة فى
نسبتها إلى شوقى ما دمنا قد رضينا بتحكيم مقياس يول لاختيار صحة هذه النسبة .
وهنا لابد من تأكيد أمور :

أولها : أن الذين يؤكّدون نسبة هذه القصائد إلى شوقي لم يختصوا قصيدة أو مجموعة من القصائد بالنسبة ومن ثم نسبوها إليه جميعا وعلى ذلك كان إبطال نسبة بعضها بالدليل الإحصائي دليلا قطعيا على بطلان نسبتها كلها، إذ ليس الأمر في القصائد الروحية مقاربا ولا شبيها بالأمر في الشوقيات المجهولة التي اعتمد فيها محققها على القرائن والملابسات وشهادة الرجال في القول بالنسبة ، مما يجوز معه الحكم بصحة النسبة أو فسادها على بعض القصائد دون بعض .

ثانيها : أن ما تختص به القصائد الروحية من اتساع كبير في المدى هو المسئول أساسا عن وقوع بعضها داخل حدود المدى المعياري .

ثالثها : أن الاتساع الكبير في مدى قيمة «ك» هو الأساس الذي حكمنا بمقتضاه بتعدد مؤلفي القصائد الروحية مما يتيح الفرصة لتداخل الخصائص الأسلوبية في كثير من الأحيان .

رابعها : أن وقوع هذا التداخل في الخواص الأسلوبية عند بعض المؤلفين أمر وارد . ولقد أوضحنا في دراسة سابقة «أن أسلوب الكاتب أو الشاعر لا يمكن تمييزه بالطرق الإحصائية على نحو متكامل إلا باستخدام منظومة (أو بطارية) من المقاييس المتنوعة به قياس عدد دال من الخواص الأسلوبية» . وذكرنا أيضا «أن من المتوقع عند الموازنة على سبيل المثال - أن تتقاطع خطوط توزيع الخواص الأسلوبية على نحو غير منتظم، قد يتفق الأسلوبان (أ) و(ب) في خاصية يختلفان فيها عن الأسلوب (ج) على حين يثبت استخدام مقياس آخر لخاصية أخرى التشابه بين (أ) و(ج) دون (ب) من ثم يتم التحديد والتمييز بين الأساليب على أساس اعتماد أكبر مجموعة ممكنة من الخواص يميز بها أسلوب من أسلوب مع وجود الفرصة للتشابه بين هذا الأسلوب أو ذاك في خاصية أو أكثر» (٦٤) لذلك لابد من اللجوء إلى مقياس آخر «أو عدة مقاييس

(٦٤) انظر ف ه من المبحث التالي في هذا الكتاب .

أحيانا» عند حدوث التداخل بين الأسلوبين فى نتائج المقياس الأول، ويمثل هذه الطريقة يمكن فحص التداخل كما يمكن أيضا أن تختبر النتائج التى أدت إليها هذه المقاييس مجتمعة، ولتحقيق هذه الغاية ينبغى استخدام مقاييس مختلفة لانجاز عدد من المهمات الأساسية من بينها :

١ - فحص القصائد التى تقع فيه قيمة «ك» خارج المدى اللغوى .

٢ - فحص القصائد المتداخلة من النوعيات الثلاث .

٣ - تحديد القصائد المشكوك فى نسبتها بناء على نتائج القياس .

٤ - فحص عينات كافية من الأشعار الثابتة النسبة إلى الشعراء الآخرين من جيل الشاعر أو طبقته، أولئك الذين قد ترشحهم بعض الفروض لأن يكونوا مصدرا للشعر غير المنسوب وإجراء الموازنات الضرورية التى يمكن على أساسها إقامة حكم موضوعى فى القضية .

ولاشك أن مثل هذا العمل جدير بأن يكون موضوعا لدراسات أكاديمية جادة .

ولعلنا يمثل هذه المعالجة الموضوعية للغة النصوص نستطيع أن نستنقذ دراسة النص الأدبى من خطرين عظيمين، فأما أولهما فخطر المعالجة النقدية التى يرسل فيها أصحابها القول بلا حدود وأسوار، غارقا التعميم والذاتية، لا يجشم نفسه عناء تحديد مصطلح أو ضبط منهج، وأما ثانيها فهو ما كان من طائفة من اللسانيين أرادوا أن يتجاوزوا عيوب تلك المعالجة النقدية فوقعوا دون ما يتطلبه منهج الدرس اللسانى من علمية المنهج وانضباط الوسائل، ولم يفهوا من استخدام الاحصاء إلا مجرد العد الحسابى فأضاعوا جهودا طائلة فيما لا نفع فيه ولا جدوى منه .

أولا : المصادر :

- ١ - الشوقيات ج ١ ، ٢ طبعة المكتبة التجارية الكبرى بدون تاريخ .
- ٢ - الشوقيات المجهولة فى جزئين جمعها وحققها مع الدراسة والتعليق محمد صبرى السورى .
- رؤوف عبيد الإنسان روح لا جسد طبعة ثانية ١٩٧١ .
- رؤوف عبيد (ناشر) عروس فرعون .

ثانيا : المراجع :

- أحمد الحوفى .
- ١ - وطنية شوقى ، دار مصر بدون تاريخ ط ٣ .
- سعد مصلوح .
- ٢ - الأسلوب : دراسة لغوية إحصائية، ط ٣ ، عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٢ .
- محمد صبرى .
- ٣ - التاريخيات والوطنيات فى شعر شوقى . مهرجان شوقى المجلس الأعلى للفنون والآداب - القاهرة .

Benett. p. - ٤

The Statiscal Measurement of Stylistic Trait in "julius Caesar"
"As you like It" in Statists and Stylists, ed, by Dolezel and Baily. 1969.

Enkvist N.E. - ٥

Linguistic Stylistics, Mouton 1973.

Vašek .

— 7

"Metodi Ustanovleja spornogo avtoresta", in Prague Studies in Mathematical Linguistics, 3. 1972.

Yule. G. U. — 7

"Statistical Study of Literay Vocabulary", Cambridge University Press, 1944.

فاتحة

الاستعارة ظاهرة من أهم ظواهر التعبير اللغوي في لغة الحياة اليومية، والنصوص الأدبية، بل في ذروة هذه النصوص جميعا وهو القرآن الكريم . وقد تجاوزت بأهميتها حدود علوم البلاغة إلى علوم أخرى كثيرة، كعلوم اللسان والتفسير والحديث وأصول الفقه وعلم الكلام والمنطق والفلسفة (١) .

من ثم كانت محاصرة مبحث الاستعارة داخل حدود العلوم البلاغية، والنظر إليها على أنها مبحث مجرد من مباحث علم البيان، الذي هو أحد علوم البلاغة الثلاثة في التقسيم الشهير، أمرا يستوجب المراجعة لأسباب كثيرة، منها أن هذه النظرة من شأنها أن تثبت احتكار البلاغة لمبحث لا يعنى البلاغيين وحدهم، بل يعنى جمهرة كبيرة من اللسانيين والمفسرين والفقهاء والمتكلمين والمناطق والفلاسفة .

ومنها أيضا أن كل مجال من هذه المجالات المعرفية جدير بأن يضى من جهته جانباً من جوانب هذه الظاهرة التي لا تخلو منها لغة معروفة على وجه الأرض .

ومنها ثالثاً : أن البلاغة وقفت بمبحث الاستعارة عند حدود القواعد التعليمية التي تهتم بالحفظ والتلقين دون فحص الظاهرة واستبصار جوانبها المختلفة .

ومنها رابعاً : أن مشكلة الاستعارة قد اتخذت في ضوء ما أحرزته علوم اللسان من تطور، وفي ظل ما انعقد عليه الإجماع من قيام مشكل في العلاقة التي لم تتبلور بعد

(١) حسينا أن نشير في بيان هذه الأهمية إلى صلة مبحث الحقيقة والمجاز بمبحث الذات والصفات عند علماء الكلام ومبحث الاستنباط في أصول الفقه وباختلاف اجتهادات المفسرين تجاه نصوص القرآن الكريم .

بين علوم البلاغة المدرسية والدرس الأسلوبى المعاصر، أبعادا تتسم بالجدة والثناء والتعقيد . ومن ثم لم يكن عجبا أن يرى البلاغيون المدرسيون فى الاستعارة أمرا محسوما لا يمكن الإتيان فى درسه بجدير يذكر (٢)، ومع ذلك يعمد العلم إلى فتح ملف الاستعارة من جديد، فتتعدد المؤلفات والدراسات والاتجاهات فى فهمها، وتعدد الندوات لدراستها، ويجتمع العلماء على معالجتها من مختلف التخصصات (٣)، وبرزت بذلك فى مجال دروسها مشكلات كثيرة . بعضها قديم جديد، وبعضها مما لا عهد للدرس التقليدى به . وسنحاول هنا - بشئ من التعسف لا مفر منه - أن نقصر الكلام على الجانب اللسانى، بل - إن شئنا الدقة - على الاستعارة بوصفها خاصة أسلوبية مميزة للصناعة الشعرية عند ثلاثة من أشد الأصوات الشعرية تميزا فى العصر الحديث وهم محمود سامى البارودى، وأحمد شوقى، وأبو القاسم الشابى .

أما المنظور الذى أثرنا أن نعمله فى فحص الاستعارة عند الشعراء الثلاثة فهو التشخيص الأسلوبى الإحصائى . ونحن نتغيا بذلك أن نضيف إلى محاولات لنا سبقت (٤) محاولة جديدة نعزز بها منظومة المقاييس التى يمكن اللجوء إليها حين يراد الوصول إلى مؤشرات موضوعية فى فحص لغة النصوص الأدبية، وتشخيص أساليب المنشئين . وهذه

(٢) هذا لا ينفى أن التراث البلاغى عند السكاكى نفسه .. وهو المتهم الأول فى قضية تجميد الدرس البلاغى - ما يزال ينطوى على ثروة من النظرات والآراء والاجتهادات التى هى فى أمس الحاجة إلى استصفائها ومراجعتها من منظور لغوى أسلوبى جديد . وانظر دراسة لى بعنوان : مشكل العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية «فى قراءة جديدة لتراثنا النقدى»، صدر عن «نادى جدة الأدبى» المجلد الأخير، ١٩٩٠، ص ص ٨١٩ - ٨٧٥ .

(٣) ثمة عدد كبير من الكتب والمقالات التى أخلصها أصحابها من النقاد وعلماء اللسان لدراسة الاستعارة، ونشير هنا إلى مجموعة من المقالات القيمة نشرها أندرو أورتونى andrew Ortony بعنوان : (Metaphor and thought) وقد صدرت عن مطبعة جامعة كامبردج عام ١٩٨٠ وشملت هذه المجموعة عددا من المجالات هى : الاستعارة والنظرية اللسانية، الاستعارة والفلسفية البراجماتية، الاستعارة وعلم النفس، الاستعارة والمجتمع، الاستعارة والعلم، الاستعارة والترية .

(٤) نشير هنا، بالإضافة إلى المباحث التطبيقية فى هذا الكتاب، إلى كتابى، ما ورد بين درس نص فى الأسلوب دراسة لغوية إحصائية .

المؤشرات والمقاييس الموضوعية - فى ظننا - وسيلة منهجية منضبطة يمكن أن نسهم بها فى استتقاز الدرس الأدبى من ضباب العمومية والتهويم، وتخليصه من سلطان الأحكام الذاتية التى تقتقد السند والدليل وتستعصى على التحليل والتعليل . وهذه الوسائل المنضبطة فى الدرس العلمى ليست بديلا للذوق . وإن كانت محاولة علمية لعقلنة الذوق كذلك فإن الفحص اللغوى الأسلوبى للنص ليس بديلا، «ألسنيا» - إن صح هذا التعبير - للنقد الأدبى، ولكنه نونع مزيج لعلوم اللسان وعلوم النقد، وهو - فى الوقت نفسه - مدخل منهجى لا يمكن لنقاد الأدب الخالص أن يشيحوا بوجوههم عنه، وإلا فقدت دراساتهم جانبا كبيرا من منهجيتها وموضوعيتها وجوها (٥) .

١ - لماذا هؤلاء الشعراء الثلاثة ؟

ثمة إجماع على ما يتمتع به محمود سامى البارودى (١٨٣٤ - ١٩٠٤) من مكانة خاصة بين شعراء العربية العظام، وعلى اعتباره رائد النهضة الشعرية العربية فى العصر الحديث . يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات :

«إن كان لامرئ القيس فضل فى تمهيد الشعر وتقصيده، ولبشار فى ترقيقه وتجويده، فللبارودى كل الفضل فى إحيائه وتجديده (٦) وتذهب هذه المقولة مذهب الحقيقة المسلمة عند جميع من عالج قضية تطور الشعر العربى الحديث من نقاد الأدب ومؤرخيه (٧) . أما أحمد شوقى (١٨٢٦ - ١٩٣٢) فقد جاء إلى القصيدة العربية الغنائية

(٥) انظر للمؤلف مقدمة الطبعة الثالثة . وفصلا بعنوان الحاجة إلى منهج من المرجع السابق من ص: ١١ - ١٨ .

(٦) أحمد حسن الزيات «تاريخ الأدب العربى» ط ٢٥، القاهرة بدون تاريخ ٤٩٣ .

(٧) الشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى، ونضرب لها مثلا بما ورد فى كتاب شوقى ضيف «البارودى رائد الشعر الحديث»، القاهرة، دار المعارف ١٩٨١، حيث يسميه «رائد الشعر الحديث غير مدافع» «٥» و«أبا الشعر الحديث» ص «٥» ويرى فى ظهوره «إيذاناً بتحرير الشعر العربى» ويسميه «حامل لواء الشعر الحديث» ص ١٦٥ وانظر كذلك عمر الدسوقى «فى الأدب الحديث» ٩٩/١، بيروت، ١٩٦٦ .

التي رد عليها البارودي حياتها فبلغ بها ذروة سامقة لم تبلغها منذ قرون، ووقف بذلك على قمة الاتجاه الإحيائي بعد البارودي . وكانت علائقه بالاتجاهات الرومانسية الجديدة من الظهور بحيث يصعب إنكارها، وبدا ذلك واضحا فيما عالج من موضوعات وأغراض، وفي الأجناس الأدبية التي افترعها، ومكن للشعر العربي من تطويعها، ومن علاقتها الطيبة بجماعة أبولو التي حملت مع غيرها من المدارس الشعرية الحديثة لواء التجديد في الشعر العربي (٨) .

ولقد كانت للشابى (١٩٠٩ - ١٩٣٤) بجماعة أبولو ومؤسسيها أحمد زكى أبو شادى (علائق) وثيقة على المستويين الفكرى والشخصى . وكان احتفاء الجماعة بشعر الشابى شاهد عدل على اعترافها بموهبته الشعرية، وكان لذلك أثره فى تعريف العالم العربى بالشاعر، وفى سيروية شعره بين قراء العربية (٩) .

وهكذا يتصل السند فى قضية الأصالة والحدثة من خلال نتاج الشعراء الثلاثة الكبار . وهذا ما حفزنا إلى استقراء خصائص لغة الاستعارة فى نتاجهم، وما عرض لها من تطور، فى محاولة منا للكشف عن خاصية من أهم الخواص الأسلوبية المميزة لكل منهم من جهة، ولما يمثلونه من تيارات واتجاهات من جهة أخرى، بدءا من الاتجاه الإحيائى الخالص عند البارودي إلى الاتجاه الرومانسى المجدد الذى يمثله الشابى خير تمثيل، ومرورا بالمرحلة الإحيائية الجديدة التى يتزعمها أحمد شوقى .

(٨) لشوقى قصيدة فى تحية مجلة أبولو تضمنتها الجزء الرابع من الشوقيات طبعة المكتبة التجارية، القاهرة، ص ٨٦، كما أنه تولى رياستها الشرفية عند تأسيسها .

(٩) كتب الشابى مقدمة ديوان «النبوع» لأحمد زكى أبو شادى وبهما يكن الخلاف حول طبيعة العلاقة بين الشابى ومدرسة أبولو فثمة إجماع على أن ذبوع صيته فى المشرق العربى كان ثمرة مباشرة لصلته بالجماعة ومجلتها انظر مقدمة «أغانى الحياة» التى كتبها محمد الأمين الشابى ص ١١ .
وأيضا خليفة التليسى فى كتابه «الشابى وجبران»، بيروت ١٩٧٤، ص ٢٠٢، ٢٠٣، حيث يرفض فى إصرار دعوى تلمذة الشابى لمدرسة أبولو ولكنه يقرر أن أبولو، قد ساهمت إلى حد بعيد فى ذبوع اسم الشابى وانتشار شهرته فى الشرق .

ويبدو لنا أن الفحص الأسلوبى الإحصائى للاستعارة فى نتاج الشعراء الثلاثة قادر على أن يوضح لنا جانباً مهماً فى حركة الشعر الحديث، من زاوية لم تلق بعد - فى ظننا - ما هى جذيرة به من اهتمام، وهى زاوية الصناعة الشعرية، ذلك أن الغلبة فى مجال الدرس الأدبى كانت وما تزال للمقاربات التاريخية والمذهبية والسياسية والاجتماعية . وبذا توارت مشكلات اللغة الشعرية على أهميتها بالحجاب .

ونوجز أهداف هذا البحث فى النقاط الآتية :

أولاً : تقديم تصنيف إجرائى للاستعارة يختلف عن التصنيف البلاغى المدرسى السائد، وذلك على أساسين : أحدهما دلالى، والآخر نحوى . وهذا التصنيف صالح فى رأينا لأن يكون أساساً قابلاً للتعديل والتطوير تقوم عليه دراسة اللغة الشعرية .

ثانياً : الكشف عن خواص الاستعارة بوصفها سمة أسلوبية مميزة للبارودى وشوقي والشابى من جهة، ولما يمثلونه من اتجاهات من جهة أخرى .

ثالثاً : استجلاء طبيعة العلاقة بين التركيب النحوى والخواص الدلالية فى الاستعارة .

رابعاً : الفرز والتمييز بين الخواص المرتبطة بأسلوبية الشاعر الفرد، وتلك التى تتعلق باللغة العربية وأنماط الاستعمال اللغوى العامة التى لا تختص بشاعر بون شاعر، بل تتجاوز أفراد الشعراء إلى النظام اللغوى الذى يحكم اختياراتهم ويوجهها . ولنقل - بعبارة أخصر - إنه محاولة التمييز بين ما هو لغوى وما هو أسلوبى فى صياغة الاستعارة .

٢ - العينات المدروسة :

كان لا بد ان نختار لهذه الدراسة عينات جيدة التمثيل من نتائج الشعراء الثلاثة

يتوافر فيها شروط ثلاثة :

أولها : عشوائية الاختيار .

وثانيها : أن تكون نسبة النصوص المختارة إلى جملة الشعر المتضمنة في
بواوين كل منهم واحدة أو متقاربة قدر الامكان .

وثالثها : أن يكون الاختيار لقصائد كاملة لا أبيات متفرقة أو الأجزاء من
قصائد .

وليس للشابى - كما نعلم - إلا ديوان واحد هو «أغانى الحياة» فاختيارنا
محصور فيه لا محالة . أما شوقى فيقع ديوانه فى أربعة أجزاء، ضم الأول والثانى منها
قصائده فى التاريخ والسياسة والاجتماع، وخلص الثالث للمراثى، أما الرابع فكان كما
قال الأستاذ محمد سعيد العريان فى تقديمه «ومن التجوز أن تسمى ذلك جزءا فـا هو إلا
بقية أو شيء من البقية» (١٠) : لذا لم نجد بأسا فى قصر الاختيار على الجزئين الأول
والثانى من الشوقيات .

والأساس الذى اعتمدناه لتحقيق شروط الاختيار الثلاثة هو ترتيب قصائد «أغانى
الحياة» للشابى وقصائد الجزئين الأولين من «الشوقيات» ترتيبا تنازليا من حيث عدد
الآبيات، ثم اختيار عدد متماثل من كلا المصدرين بحسب ترتيبها التنازلى، بذا نتحقق
عشوائية الاختيار .

أما العدد المختار من القصائد فيحكمه وحدة النسبة - أو تقاربها ما أمكن - بين
عدد الآبيات المختارة وجملة عدد الآبيات المتضمنة فى الديوانين كى يتحقق الشرطان
الثانى والثالث من شروط الاختيار . أما البارودى ففى اختيار عيناته تفصيل سيأتى فى
موضعه .

(١٠) مقدمة الجزء الرابع من الشوقيات ص «٥» .

وتطبيقا لما سبق من معايير تم اختيار القصائد الخمس الطوال التي تحتل من حيث عدد أبياتها رأس القائمة في الديوانين «أغاني الحياة» والجزئين الأولين من «الشوقيات» (١١). وفي الجداول (١) و (٢) بيان بالقصائد المختارة من شعر الشاعرين مرتبة ترتيبا تنازليا، وبيان عدد الأبيات في كل قصيدة، ونسبة مجموع الأبيات المختارة إلى جملة الأبيات في كل ديوان .

جدول رقم (١)

القصائد المختارة من الشوقيات

ترتيب القصيدة	القصيدة	موضعها من الديوان	عدد الأبيات
١	كبار الحوادث في وادي النيل	٣٧-٢١/١	٢٦٤
٢	صدى الحرب	٥٨-٤٢/١	٢٦٠
٣	نهج البردة	٢٠٨-١٩٠/١	١٩٠
٤	أيها النيل	١/٤-٦٤/٢	١٥٣
٥	الهمزية النبوية	٤١-٣٤/١	١٣١
٩٩٨	مجموع الأبيات المختارة		
٦٤٩٢	جملة أبيات الجزين		
٪١٥	النسبة المئوية		

أما البارودي فقد كان لاختيار عيناته مشكلة خاصة حملتنا على إجراء تعديل طفيف في عملية الاختيار . والتزمنا في التعديل بشروط الاختيار الثلاثة مع زيادة عدد

(١١) رجعنا إلى الطبعة الأولى من «أغاني الحياة»، مصر ١٩٥٥، وإلى طبعة بيروت للشوقيات المصورة . عن طبعة المكتبة التجارية الكبرى، مصر بدون تاريخ .

القصائد المختارة إلى عشر قصائد بدلا من خمس . وعلّة ذلك أن أطول قصيدة في الجزين الأول والثاني من ديوان البارودي تبلغ ٦٧ بيتا، أى أنها تقع دون عدة أبيات «الجنة الضائعة» أقصر القصائد الخمس الطوال في «أغاني الحياة»، على حين يبلغ مجموع عدد الأبيات في الجزين الأولى والثاني من ديوان البارودي ٣٥٠٥ بيتا بزيادة على مجموع أبيات «أغاني الحياة» تتجاوز ١١٣٠ بيتا . من هنا لم يكن بد من زيادة عدد القصائد المختارة من شعر البارودي ليصبح عشر قصائد، وبذلك لا تنتقض صفة العشوائية، كما يتسنى تمثيل شعر البارودي بنسبة مقاربة للنسبة التي تم اختيارها من شعر شوقي والشابي (١٢) . ويحدد الجدول القصائد المختارة للبارودي ونسبة عدد أبياتها إلى مجموع أبيات الديوان .

ويستبين من معطيات الجداول الثلاثة أن النسبة المئوية لعدد الأبيات المختارة من دواوين شوقي والبارودي والشابي هي على الترتيب ٨٥، ١٦، ١٧٪ . وهي أقصى ما استطعنا تحقيقه من تقارب في إطار عدم التضحية بعشوائية الاختيار من جهة، والاستمسك باختيار قصائد كاملة لا أبيات متفرقة أو أجزاء قصائد من جهة أخرى .

(١٢) يلاحظ أن قصائد البارودي ترد في الجزين الأول والثاني من ديوانه بدون عناوين، كما أن سبعا من هذه القصائد العشر جاءت من بحر واحد هو الطويل واثنان من الكامل، وواحدة من البسيط، وتكاد جميع الأغراض في قصائده تكون متشابهة كالغفر والشكوى من الناس والزمان والحكمة والحنين إلى الوطن . ويقع نادرا أن تنفرد قصيدة بين الأغراض الأخرى بفرض خاص كالرثاء أو سرد بعض حوادث الثورة العربية، أو وصف وقائع الحرب العثمانية - الروسية .

جدول رقم (٢)
القصائد المختارة من أغاني الحياة

ترتيب القصيدة	القصيدة	موضعها من الديوان	عدد الأبيات
١	يا شمر	٤١-٢٥	٩٨
٢	قلب الأم	١٢٣-١٢٩	٩٤
٣	حديث المقبرة	١٤٠-١٣٤	٧١
٤	الغاب	١٩١-١٨٠	٧١
٥	الجنة الضائعة	١٥٠-١٤٧	٧٠
	مجموع الأبيات المختارة		٤٠٤
	جملة عدد الأبيات في الديوان		٢٣٧٤
	النسبة المئوية		٪١٧

جدول رقم (٣)
القصائد المختارة من ديوان البارودي

ترتيب القصيدة	القصيدة	موضعها من الديوان	عدد الأبيات
١	أيد المنون قدحت أى زناد	٢٤٨-٢٣٧	٦٧
٢	تلوب طيف من سميرة زائر	١٠٣-٨١/١٢	٦٧
٣	سكن الفؤاد وجفت الأماق	٣١٥-٣٠٠/٢	٦٧
٤	هو البين حتى لا سلام ولا رد	٢١٩-٢٠٩/١	٦٣
٥	رضيت من الدنيا بما لا أوده	١٩٥-١٨٧/١	٥٦
٦	سوائى بتحنان الأغاريد يطرب	٩٥-٨٩/١	٥٢
٧	هل فى الزمان لنا حكم فنشترط	٢٠٧-١٧٨/٢	٥٢
٨	أسلة سيف أم عقيقة	٣٥٨-٣٥٨/٢	٥١
٩	رمت بخيوط النور كهربية الفجر	١١-٣/٢	٥٠
١٠	متى أنت عن أحمودة الفى نازغ	٢٢٣-٢١٣/٢	٥٠
	مجموع الأبيات المختارة	٥٧٥	
	جملة عدد الأبيات فى الديوان	٣٥٨٤	
	النسبة المئوية	٪١٦	

٣ - تحديد اجرائى لمفهوم الاستعارة

لا يمكن القيام بإجراء قياس إحصائى دقيق للاستعارة دون أن نقدم بين يدي هذا العمل تحديدا واضحا لما نعنيه بالاستعارة، وللتصنيف الذى ارتضيناه أساسا لعملية القياس .

وتتعدد النظريات التى تطرحها أعمال اللسانيين والنقاد والفلاسفة فى مجال تفسير طبيعة الاستعارة، وتحديد مفهومها .

وقد عقد الأستاذ ج. ج. مويج Mooij. ج.ز فى كتابه *A study of metaphor* (١٣) فصلا بعنوان *The theories of metaphor* صنف فيه هذه النظريات إلى طائفتين : أولاهما نظريات أحادية *monistic theories* تقوم على إغفال الإشارة إلى امتدادات المعنى الحرفى فى التعبيرات الاستعارية، وثانيهما نظريات ثنائية *dualistic theories* تقوم على الاحتفاظ بالامتداد الحرفى فى التعبيرات الاستعارية (١٤) ويلاحظ فى هذا الصدد وجود درجات متفاوتة فى كلتا الطائفتين، كما يلاحظ أن التفسير المدرسى للاستعارة فى البلاغة العربية إنما ينتمى إلى النظريات الثنائية لا الأحادية .

ويحتاج النظر فى أمر هذا التصنيف إلى كلام شديد التحصيل والتفصيل، لوقوعه فى الصميم من مسائل فلسفة العلوم، وما نظنه ممكنا أن نوفى الخلاف بين هذه النظريات حقه عرضا وتحليلا وترجيحا فى سطور قليلة نقدم بها لما نحن بإزائه من إجراء دراسة أسلوبية إحصائية للاستعارة .

بيد أن المنظور الأسلوبى الإحصائى يتمتع بميزة هامة أشرنا إليها فى موضع

j.z.A. Mooij; *A Study of Metaphor*, North Molland Linguistic Series 27. 1976. (١٣) pp. 29 - 38.

Ibid. pp. 36 - 37. (١٤)

آخر - هي كونه «من المعايير الموضوعية الأساسية التي يمكن باستخدامها تشخيص الأساليب، وتمييز الفروق بينهما - ويكاد ينفرد من بين المعايير الموضوعية بقابليته لأن يستخدم في قياس الخصائص الأسلوبية كائنا ما كان التعريف الذي يتبناه الباحث للأسلوب، أو الطراز النحوي الذي يستخدمه»^(١٥) واغتناما لهذه الميزة، وتيسيرا لمهمة التشخيص الأسلوبى الإحصائى للاستعارة نورد التعريفات الإجرائية التالية للمفاهيم الأساسية المعتمدة في هذا الحديث .

* **الاستعارة :** هي اختيار معجمى تقترن بمقتضاه كلمتان في مركب لفظى Collocation اقترانا دلاليا ينطوى على تعارض - أو عدم انسجام - منطقى ، ويتولد عنه بالضرورة مفارقة دلالية Semantic deviance تثير لدى المتلقى شعورا بالدهشة والطرافة، وتكمن علة الدهشة والطرافة فيما تحدثه المفارقة الدلالية من مفاجأة للمتلقى بمخالفتها الاختيار المنطقى المتوقع .

* **يتمثل جوهر المفارقة الدلالية :** في نقل الخواص Features transfer من أحد عنصرى المركب اللفظى إلى العنصر الآخر، ومثال ذلك قول شوقي في الهمزية :

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء

حيث نقل خاصية «الولادة» وهي خاصية حيوية إلى معنى مجرد هو «الهدى» كما أضاف «الفم» وهو شئ حسى يستخدم في تسمية العضو المعروف في الكائن الحى إلى «الزمان» وهو معنى مجرد وكلاهما مما أطلقنا عليه «الاستعارة» الاستحيائية animation وسيأتى بيان هذه الأنواع تفصيلا إن شاء الله تعالى .

* **يتخذ المركب اللفظى Collocation في التركيب اللغوى شكل مركب نحوى Colligation وبذلك يمكن تحليل المركب اللفظى «ولد الهدى» نحويا إلى «فعل مبنى**

(١٥) الأسلوب «للمؤلف» ف ٣ - ١ .

للمجهول + نائب فاعل»، كما يحلل المركب اللفظي «فم الزمان إلى مضاف + مضاف إليه»، ويعتبر أولهما «مركبا فعليا» وثانيهما «مركبا إضافيا»، وسيأتى شرح المراد بهذين المصطلحين وما جرى مجراهما .

٤ - تصنيف الاستعارة بحسب النقل الدلالى .

لا بد لتصنيف الاستعارة بحسب نقل الخواص الدلالية - إذا ما أريد له أن يكون مستوعبا وشاملا - من أن يرتكز على تصنيف واسع للخواص الدلالية المتعلقة بالأشياء والأحداث، غير أن مرادنا من هذا المبحث أن نقدم طرازا بحثيا نراه كافيا عن حيث المبدأ لمعالجة المشكلة التى يتصدى لها بالفحص . ولقد تابعنا فى بحثنا هذا جورج لاندون فى اكتفائه بتصنيف ثلاثى للاستعارة تبعا لنوعية الخواص المنقولة وهى (١٦) .

* الاستعارة التجسيمية reification

وتحصل باقتران كلمة تشير دلالتها إلى جماد concrete بأخرى تشير دلالتها إلى مجرد abstract ومثالها قول شوقي «كبار الحوادث» .

هيكل تنثر الديانة فيه فهى والناس والقرون هباء

وقوله أيضا «الهمزية» :

والوحى يقطر سلسلا من سلسل واللوح والقلم البديع رواء

* الاستعارة الإيحائية animation

وتحصل باقتران كلمة يرتبط مجال استخدامها بالكائن الحى بشرط ألا تكون من

George M. Landon, "the Quantification of Metaphoric Language in the Verse of (١٦) Wilfred Owen" in Statistics and Stylitics-ed. by L. Dolezel and R. W Baily. New York. 1969, p. 172.

خواص الإنسان، بأخرى ترتبط دلالتها بمعنى مجرد أو جماد ، ومثالها قول البارودي «هوالبين» :

لقد نعب الوايور بالبين بينهم فساروا ولازموا رجالا ولاشدوا

وقول شوقي «كبار الحوادث» :

لبثت مصر فى الظلام إلى أن قيل مات الصباح والأضواء

• الاستعارة التشخيصية personification

وتحصل باقتران كلمتين إحداهما تشير إلى خاصية بشرية، والأخرى إلى جماد أو حى، أو مجرد، ومثالها قول الشايبى «يا شعر» .

فلعل قلب الليل أرحم بالقلوب الباكية

«حى + بشرى» .

وقوله «قلب الأم» :

الدهر يدفن فى ظلام الموت حتى الذكريات «مجرد + بشرى» .

وقول شوقي «الهمزية» :

يمشون تغضى الأرض منهم هيبة وبهم حيال نعيمها إغضاء

«بشرى + جماد» .

٥ - تصنيف الاستعارة بحسب التركيب النحوى

أحصى جورج لاندون من أنواع المركبات النحوية فى دراسة الاستعارة (١٧) .

١ - المركب الفعلى : ويمثله فى الانجليزية التركيب «اسم + فعل»، وقد توسعنا فى مفهوم المركب الفعلى فى هذا البحث ليشمل :

* فعل «مبنى للمعلوم» + فاعل، ومثاله قول شوقى «صدى الحرب» :

أمولاي غنتك السيوف فاطربت فهل ليراعى أن يغنى فيطرب

* فعل «مبنى للمجهول» + نائب فاعل، ومثاله قول شوقى «كبار الحوادث» .

ولد الرفق يوم مولد عيسى والمروءات والهدى والحياء

* اسم + فعل «مبنى للمعلوم»، ومثاله قول شوقى «الهمزية» :

الخيول تأبى غير أحمد حاميا وبها وإذا ذكر اسمه خيلاء

* اسم + فعل «مبنى للمجهول»، ومثاله قول الشايبى «الغاب» :

أو عالم ما زال يولد فى فضـ ساء الكون بين غياهب وسدأم

٢ - المركب المفعولى :

ويتركب من «فعل + مفعول»، ومثاله قول الشايبى «الغاب» :

وذروت أفكارى الحزينة للدجى ونثرتها لعواطف الأيام

٣ - المركب الوصفى :

ويختلف تركيبه بين الإنجليزية والعربية - كما هو معروف - من جهة تقدم الصفة على الموصوف أو تقدم الموصوف على الصفة، ويحصل المركب الوصفى فى العربية بالتركيب «موصوف + صفة»، ومثاله قول الشايبى «يا شعر» :

ما للمنية لا ترق على الحياة النائحة

ويلاحظ أننا نعنى هنا الصفة المفردة فلا يدخل تحت الصفة ما كان منها جملة أو شبه جملة فى عرف النحاة .

هذا، وقد أضفنا إلى أنواع المركبات التى اقترحها لاندون نوعا رابعا هو :

٤ - المركب اضافى :

ويتركب من «مضاف + مضاف إليه»، ومثاله قول البارودى «رضيت من الدنيا» :

أبى الدهر ألا أن يسود وضيعه ويملك أعناق المطالب وغده

ولهذا النوع فى تشكيل الاستعارة العربية أهمية خاصة، وسيظهر ذلك جليا فى نتائج القياس الإحصائى فيما بعد .

ويحصل لنا - مما سبق - تصنيف الاستعارة باعتبارين :

أولهما : الاعتبار الدلالى، وبه تنقسم الاستعارة، بما هى مركب لفظى، إلى تجسيمية واستحيائية وتشخيصية .

وثانيهما : الاعتبار النحوى، وبه تنقسم الاستعارة، بما هى مركب نحوى، إلى فعلية ومفعولية، وإضافية .

٦ - طريقة عن الكشف عن الاستعارة وتحديد خواصها

أفاد لاندون من مفهوم الجملة النواة فى النحو التحويلى التوليدي، تلك التى عرفها تشومسكى بقوله :

«إنها جمل من نوع يمتاز بالبساطة الواضحة التى تحتوى عملية توليدها على الحد الأدنى من وسائل التحويل (١٨) .

واقترح لاندون للكشف عن الاستعارة وتحديد خواصها الدلالية والنحوية تحويل البيت الشعري إلى سلسلة من الجمل البسيطة تأخذ فيها المركبات اللفظية أحد أشكال المركبات النحوية التي سبقت تسميتها، وقد أطلق على هذه العملية مصطلح تبسيط الجملة، وبهذا التبسيط تظهر العلاقات الدلالية والنحوية التي تحكم المركبات (١٩) .

ونسوق هنا مثالا نوضح به عملية التبسيط، والكيفية التي تستخدم بها فنى الكشف عن الاستعارة وتحديد خواصها، ولنتأمل هذين المقطعين من قصيدة الشابي «يا شعر» :

ردد على سمع الدجى	أنا قلبى الواهية
وأسكب بأجفان الزهو	ر دموع قلبى الدامية
كم حركت كف الأسى	أوتار ذياك الحنين
فتهاملت أحزان قلـ	سبى فى أغاريد الأنين

وباستخدام طريقة التبسيط تحصل لنا سلسلة من الجمل تتضمن عددا من المركبات اللفظية، وقد ميزناها بالبنط الأسود مع بيان خصائصها، وذلك على النحو التالى :

- ١ - ردد الشعر : مركب استعارى، تشخيصى، فعلى .
- ٢ - ردد الشعر أنا قلب : مركب، استعارى، تشخيصى، إضافى .
- ٣ - الأنا قلب الواهية : مركب استعارى، إحصائى، وصفى .
- ٤ - ردد الشعر الأنا قلب على سمع الدجى : مركب استعارى، إحصائى، إضافى.
- ٥ - اسكب «يا شعر» : مركب استعارى، تشخيصى، فعلى .

٦ - اسكب بالأجفان : مركب غير استعاري، مفعول «غير مباشر» .

٧ - أجفان الزمور : مركب استعاري تشخيصي، إضافي .

٨ - اسكب الدموع : مركب غير استعاري تشخيصي، إضافي .

٩ - دموع القلب : مركب استعاري تشخيصي، إضافي .

١٠ - الدموع الدامية : مركب غير استعاري، وصفي .

١١ - حركت الكف : مركب، غير استعاري، فعلى .

١٢ - حركت الكف الأوتار : مركب غير استعاري مفعولى .

١٣ - حركت كف الاسى الأوتار : مركب استعاري، تشخيصي، إضافي .

١٤ - حركت الكف أوتار الحنين : مركب استعاري، تجسدي، إضافي .

١٥ - تهاملت الأحزان : مركب استعاري، تجسدي، فعلى .

١٦ - تهاملت أحزان القلب : مركب استعاري، تشخيصي، إضافي .

١٧ - تهاملت أحزان قلب الشاعر : مركب غير استعاري، إضافي .

١٨ - تهاملت الأحزان فى أغاريد الأنين : مركب غير استعاري، إضافي .

ذلكم هو نموذج للتطبيق العربى الذى نقترحه لطريقة لانتون فى الكشف عن الاستعارة وتحديد خصائصها، وقد تابعناه فى استخدامها على النحو السابق، وتم إعمالها فى فحص ما يقرب من ألفى بيت من الشعر للشعراء الثلاثة بالنسب التى أسلفنا بيانها فى الفقرة الثالثة .

٧ - خطوات القياس :

تشتمل عملية القياس بالنسبة لكل قصيدة من القصائد المدروسة على الخطوات الآتية :

١ - حصر جميع المركبات اللفظية سواء منها ما كان استعارياً أو غير استعارياً، مع كتابة كل مركب لفظي في بطاقة مستقلة .

٢ - تسجل على كل بطاقة خواص المركب اللفظي بحسب موقعه من التصنيف الدلالي والتصنيف النحوي، وذلك بتحديد موقعه من التقابلات التالية :

(أ) استعارى / غير استعارى .

(ب) تجسدي / إحيائي / تشخيصي .

(ج) فعلى / مفعولى / وصفى / إضافي .

«أنظر المثال التوضيحي في الفقرة السابقة» .

٣ - فرز البطاقات المشتملة على مركبات استعارية والبطاقات المشتملة على مركبات غير استعارية كل على حدة .

٤ - تصنيف البطاقات المشتملة على مركبات استعارية بحسب الأنواع الدلالية إلى تجسيمية واستحيائية وتشخيصية كل على حدة .

٥ - تصنيف كل نوع دلالي من الأنواع الثلاثة السابقة حسب أنواع المركبات النحوية إلى فعلية ومفعولية ووصفية وإضافية .

٦ - في كل الخطوات السابقة تجرى عملية إحصائية لتحديد الكميات الآتية اللازمة لإجراء التشخيص الإحصائي .

(أ) المجموع الكلى للمركبات اللفظية «بنوعيتها الاستعارى وغير الاستعارى» .

(ب) عدد المركبات اللفظية الاستعارية .

(ج) عدد المركبات اللفظية الاستعارية التجسيمية .

(د) عدد المركبات اللفظية الاستعارية الاستحيائية .

(هـ) عدد المركبات اللفظية الاستعارية التشخيصية .

(و) عدد المركبات النحوية الفعلية والمفعولية والوصفية والإضافية فى كل نوع

من الأنواع الدلالية السابقة .

وحين نصل إلى تحديد الكميات المذكورة ونسجلها فى القائمة الخاصة بكل

قصيدة تكون البيانات اللازمة لإجراء التشخيص الأسلوبى الإحصائى قد توافرت ولم

يبقى إلا تحليلها، واستكناه الدلالات الكامنة وراءها .

٨ - نتائج القياس :

يتضمن الجدول الرابع تسجيلًا لنتائج تطبيق الخطوات السابقة على قصيدة

الشابى «يا شعر»، وقد أثبتناه هنا بوصفه مثالاً نمطياً لبقية الجداول المصممة لهذا

الغرض، ومجموعها عشرون جدولاً هى عدد القصائد المختارة للشعراء الثلاثة .

ويستخدم المعطيات الواردة فى الجداول العشرين تم وضع ثلاثة جداول أخرى

تحمل الأرقام «٥» و«٦» و«٧» أمحض الأول منها لعرض المعطيات المتعلقة بالخواص

الدلالية والنحوية للاستعارة فى مجموع القصائد المختارة للبارودى، وكذلك كان شأن

الجدولين الثانى والثالث بالنسبة لشوقى والشابى .

جدول رقم (٤)

مثال : لنتائج قياس قصيدة واحدة

القصيدة «يا شعر»

الشاعر : الشابى

المصدر : أغاني الحياة ص ص ٣٥ - ٤١

عدد الأبيات : ٩٨

* مجموع المركبات اللفظية ٣١٢

* مجموع المركبات اللفظية غير الاستعارية ١٢١

* مجموع المركبات اللفظية الاستعارية ١٩١

* كثافة اللغة الاستعارية ٦١

جدول التصنيف الدلالى لأنواع الاستعارة

النسبة	العدد	نوع الاستعارة
٪٢٧	٥١	تجسيمية
٪٢٧	٥١	استحيائية
٪٤٦	٨٩	تشخيصية
٪١٠٠	١٩١	المجموع

جدول توزيع الأنواع الدلالية على الأنواع النحوية

النوع الدلالي النوع التحويلي	المجموع	المجموع	المجموع	المجموع
مركب فعلى	٥	٢٨	٣٩	٧٢
مركب مفعولى	٦	٥	٥	١٦
مركب وصلى	٤	٦	١٨	٢٨
مركب اضافى	٣٦	١٢	٢٧	٧٥
المجموع	٥١	٥١	٨٩	١٩١

جدول رقم (٥)

نتائج القياس بالنسبة لمجموع قصائد البارودى العشر

* مجموع المركبات ٢٤٢٠

* مجموع المركبات اللفظية غير الاستعارية ١٧٦٥

* مجموع المركبات اللفظية الاستعارية ٦٥٥

* كثافة اللغة الاستعارية ٢٧

جدول التصنيف الدلالي لأنواع الاستعارة

النسبة	العدد	نوع الاستعارة
٢٥	١٦٤	تجسيمية
٣٣	٢١٨	استيعائية
٤٢	٢٧٣	تشخيصية
١٠٠	٦٥٥	المجموع

جدول توزيع الأنواع الدلالية على الأنواع النحوية

النوع الدلالي النوع النحوي	تجسيمية	استحيائية	تشخيصية	المجموع	النسبة المئوية
مركب فعلى	٢٨	١٥٦	١٦٥	٣٤٩	٥٣
مركب مفعولى	٤١	١١	٢٦	٧٨	١٢
مركب وصفى	٦	٨	١٨	٣٢	٥
مركب اضافى	٨٩	٤٣	٦٤	١٩٦	٣٠
المجموع	١٦٤	٢١٨	٢٧٣	٦٥٥	١٠٠

جدول رقم (٦)

نتائج القياس بالنسبة لمجموع قصائد شوقي الخمس

* مجموع المركبات اللفظية ٢٧٢٧

* مجموع المركبات اللفظية غير الاستعارية ٢٥٣٢

* مجموع المركبات اللفظية الاستعارية ١١٩٥

* كثافة اللغة الاستعارية ٣٢

١ - جدول التصنيف الدلالي لأنواع الاستعارة

نوع الاستعارة	العدد	النسبة المئوية
تجسيمية	٣٠٧	٢٦
استحيائية	٤٧٦	٤٠
تشخيصية	٤١٢	٣٤
المجموع	١١٩٥	١٠٠

٢ - جدول توزيع الأنواع الدلالية على الأنواع النحوية

النوع الدلالي النوع النحوي	تجسيمية	استحيائية	تشخيصية	المجموع	النسبة المئوية
مركب فعلى	٦٦	٣٥٩	٢٥٨	٦٨٣	٥٧
مركب مفعولى	٨٦	٤٣	٤٥	١٧٤	١٥
مركب وصلى	٣٧	٣٠	٢٨	٩٥	٨
مركب اضافى	١١	٤٤	٨١	٢٤٣	٢٠
المجموع	٣٠٧	٤٧٦	٤١٢	١١٩٥	١٠٠

جدول رقم (٧)

نتائج القياس بالنسبة لمجموع قصائد الشايبى الخمس

* مجموع المركبات ١٣٠١

* مجموع المركبات اللفظية غير الاستعارية ٦٢٥

* مجموع المركبات اللفظية الاستعارية ٦٧٦

* كثافة اللغة الاستعارية ٥١

١ - جدول التصنيف الدلالي لأنواع الاستعارة

نوع الاستعارة	العدد	النسبة المئوية
تجسيمية	١٩٧	٢٩
استحيائية	١٤٨	٢٧
تشخيصية	٢٩٥	٤٤
المجموع	٦٧٦	١٠٠

٢ - جدول توزيع الأنواع الدلالية على الأنواع النحوية

النوع الدلالي النوع النحوي	تجسيمية	استحيائية	تشخيصية	المجموع	النسبة المئوية
مركب فعلى	٢٤	٩١	١١٨	٢٢٣	٣٤
مركب مفعولى	٢٥	١٠	١١	٤٥	٧
مركب وصفي	٣٣	٤٣	٧٨	١٥٤	٢٣
مركب اضافي	٤٠	٨٨	٢٤٤	٢٤٤	٣٦
المجموع	١٩٧	١٨٤	٢٩٥	٦٧٦	١٠٠

٩ - تحليل النتائج :

ذلكم ما أسفر عنه القياس من نتائج ، وسنحاول في هذه الفقرة أن نقوم بقراءة متأنية لهذه المعطيات لاستنباط دلالتها على ما نحن صده من قضايا نطرحها للمدارسة. ونبدأ بالحديث عن كثافة اللغة الاستعارية بوصفها من أهم الخواص الأسلوبية في اللغة الشعرية .

١٠-١ كثافة اللغة الاستعارية :

بتأمل الجدول ٤ والجداول الثلاثة التالية له يمكن التوصل إلى الطريقة التي تحسب بها كثافة اللغة الاستعارية Density of Metaphoric language في القصيدة الواحدة أو مجموع القصائد المختارة لشاعر ما .

ففي الجدول ٤ نجد الرقم الدال على الكثافة ٦١ وهو خارج قسمة ١٩١ «عدد المركبات اللفظية الاستعارية» على ٣١٢ «مجموع المركبات اللفظية بنوعها» وبذا يكون قانون إيجاد كثافة الاستعارة هو :

الكثافة : عدد المركبات اللفظية الاستعارية مجموع المركبات اللفظية .

٢٠١

ويصدق هذا القانون على القصيدة الواحدة وعلى مجموع القصائد . وتعطينا الجداول « ٥ - ٧ » قياسا لكثافة اللغة الاستعارية عند البارودي وشوقي والشابي تسجل قيمة على الترتيب ٢٧، ٣٢، ٥١ .

وهذه الأرقام الثلاثة لها دلالة مزبوجة :

إنها أولا تدل دلالة خاصة على وجود فروق جوهرية بين الشعراء الثلاثة فى استخدام اللغة التصويرية Figurative Language ويبرز الشابي فى هذا المجال بوصفه أكثر الشعراء الثلاثة احتفاء باللغة التصويرية، وأبعدهم عن لغة السرد والتقرير . ثم يأتى شوقي فى المرتبة الثانية ومن بعده البارودي . وتدل هذه الأرقام ثانيا دلالة عامة على تطور لغة الشعر العربى الحديث من غلبة اللغة التقريرية على اللغة التصويرية عند الإحيائيين المجددين، حتى حققت درجة واضحة من الكثافة على يد أصحاب النزعات الرومانسية فى العصر الحديث ومن أبرزهم أبو القاسم الشابي .

١٠-٢ تمايز الشعراء فى استخدام الاستعارة بحسب خواصها الدلالية :

تلك الخاصية الأسلوبية المميزة للنتاج الشعري عند شعرائنا الثلاثة، ونعنى خاصية كثافة اللغة الاستعارية، ليست نهاية المطاف فى أمر الفحص عن لغة الاستعارة وخصائصها . ففى داخل مجال اللغة الاستعارية يبدو التفاوت والتمايز ملحوظين إذا ما حكمنا التصنيف الثلاثى المقترح للاستعارات بحسب أنواعها الدلالية إلى تجسيمية وإستحيائية وتشخيصية .

تصل النسبة المئوية للاستعارة التشخيصية فى شعر البارودي إلى ٤٢٪، وتقع بذلك على رأس قائمة الأنواع الثلاثة، تليها الاستعارة الإستحيائية بنسبة ٣٣٪، ثم التجسيمية ٢٥٪ .

ويلاحظ أن الترتيب التنازلى لهذه الأنواع فى شعر الشابى يختلف - إلى حد ما - عن نظيره فى شعر البارودى، حيث تحظى الاستعارة التشخيصية بالقسط الأوفى ٤٤٪، تليها الاستعارة التجسيمية بنسبة ٢٩٪، ثم الاستعارة الإستحيائية بنسبة ٢٧٪، ويبدو التجسيم والإستحياء ممثلين فى شعر الشابى بنسب متقاربة، ويبقى التميز واضحا لخاصية التشخيص . أما عند البارودى فالترتيب التنازلى أكثر صراحة، وتمايزا والسبب أكثر وضوحا .

أما شوقى فيقدم لنا نموذجا مخالفا لصاحبيه، فالأولوية لديه للاستعارة الإستحيائية بنسبة ٤٠٪، تليها الإستعارة التشخيصية بنسبة ٣٤٪، ثم تليها الإستعارة التجسيمية بنسبة ٢٦٪ .

وفى محاولة منا لتفسير دلالات هذه الأرقام نطرح الفرض التالى :

إذا كانت كثافة اللغة الاستعارية تستطيع أن تقدم لنا دلالة مزبوجة على جانبيين أحدهما يميز أفراد الشعراء بعضهم من بعض، وثانيهما يميز المدارس والاتجاهات الشعرية المختلفة - فإن الأرقام الإحصائية الخاصة بالتصنيف الثلاثى للاستعارة من حيث خواصها الدلالية أدل على تميز نوات الشعراء منها على الاتجاهات والمدارس . وأية ذلك أن هذه الخاصية هى الوحيدة التى لوحظ فيها أن البارودى كان فيها - على غير ما هو معروف أكثر قربا من الشابى . وثمة شواهد أخرى على صحة هذا الفرض، سواء بمفهوم الموافقة أو المخالفة، وسنعرض لذلك فيما يلى من مناقشات .

٩-٣ تمايز الشعراء فى استخدام الاستعارة بحسب المركبات النحوية

ينتظم التصنيف الذى اعتمدناه لفحص الاستعارة من الجهة النحوية أربعة أنواع هى الفعلية والمفعولية والوصفية والإضافية وفى الجدول «٨» بيان للنسبة المئوية لكل نوع من هذه الأنواع فى القصائد المختارة للدراسة .

٢٠٣

جدول رقم (٨)

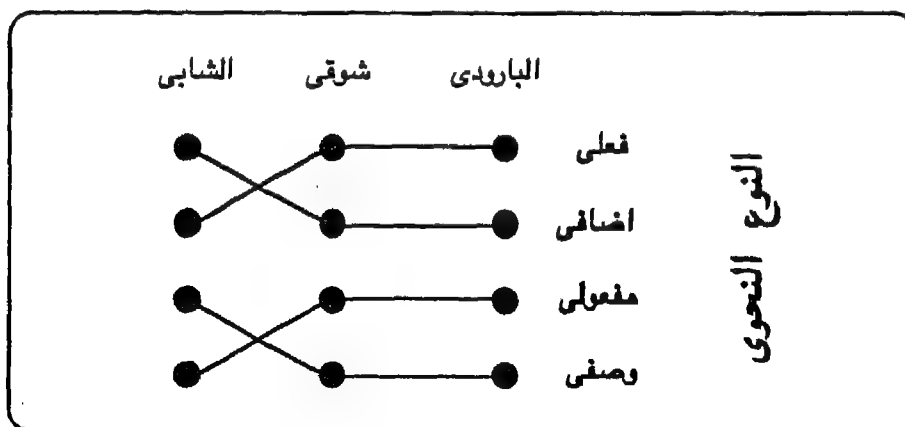
توزيع الاستعارات فى نتائج الشعراء الثلاثة بحسب الأنواع النحوية

الشاعر النوع النحوى	البارودى %	شوقى %	الشابى %
فعلى	٥٣	٥٧	٢٤
مفعولى	١٢	١٥	٧
وصفى	٥	٨	٢٣
إضافى	٣٠	٢٠	٣٦
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠

ويجد فى الشكل (أ) ترتيباً لمعطيات الجدول ٨ موضحاً به موقف الشعراء الثلاثة من استخدام الأنواع النحوية المختلفة .

الشكل (١)

توزيع الاستعارات عند الشعراء الثلاثة بحسب الأنواع النحوية



ويستبين من الشكل (١) أمور :

أولها : اتفاق الشعراء الثلاثة في إثبات الاستعارات الفعلية، ثم الإضافية على الاستعارات المفعولية والوصفية .

ثانيها : تفوق الاستعارة الفعلية على غيرها من الأنواع النحوية عند جميع الشعراء تقريبا «من الملاحظ أنه على الرغم من زيادة الاستعارات الإضافية على الفعلية عند الشابي إلا أن الزيادة غير حاسمة تماما، إذ لا تتعدى نسبة الفرق بينه وبين غيره ٥٠٪» .

ثالثها : التطابق التام في ترتيب الإشارات بين البارودي وشوقي؛ والمفارقة الواضحة بينهما وبين الشابي في الترتيب التنازلي للاستعارات الفعلية والإضافية، وهو أمر أشرنا إليه من قبل، وسنورد له شواهد أخرى فيما يلي من الدراسة .

رابعها : اتفاق الشعراء الثلاثة من حيث النسبة المئوية على تقديم الاستعارات المفعولية على الوصفية، وستظهر، فيما بعد، فوارق ذات بال بين البارودي وشوقي من جهة، والشابي من جهة أخرى في التفصيل .

والظاهر من هذا العرض أن الاختلاف بين الشعراء الثلاثة في الترتيب التنازلي لهذه الأنواع النحوية ليس ذا بال .

وبدل هذا على أن هذه الظاهرة ربما كانت تُجلى خاصية شيوع هذه الأنواع في اللسان العربي بعمامة أكثر من كونها من الظواهر التي يتفاوت فيها الأفراد، ويتحقق بها تميز الأساليب .

هنا لابد لنا من وقفة أمام ظاهرتين تستيقظان النظر : فأما أولاهما : فهو التفوق العددي الواضح للإستعارة الفعلية على غيرها من الأنواع الأخرى، وقد لاحظ «لاندون»

وجود هذه الظاهرة بوضوح في شعر ويلفريد أوين ولكنه توقف فيها ولم يقطع برأى، مؤثرا أن يبقى السؤال مفتوحا، ومقررا أن هذه الحقيقة تستدعي مزيدا من البحث، فهل هي خاصية مميزة لشعر «أوين»، أم أنها خاصية للنظام، أم للشعر في الانجليزية بوجه عام (٢٠) .

وربما كان في تقرير وجود هذه الظاهرة الواضحة في انتاج الشعراء الثلاثة، كما أثبت التشخيص الإحصائي ما يعدل النظرة إليها، وما يجعلنا نطرح من جانبنا سؤالا مفتوحا أيضا نابعا في الأصل من تساؤل «لاتنون»، فهل هذه الظاهرة خاصية مميزة لشعر هؤلاء الثلاثة أم أنها مميزة للشعر العربي بوجه عام؟ وهل يمكن أن يكون لهذه الظاهرة في النتاج الشعري طابع شمولي يتجاوز الشعر الانجليزي إلى غيره من شعر الأمم الأخرى ومن بينها العرب؟

وأما ثنائية الظاهرتين فهي اتفاق الشعراء الثلاثة جميعا على إثارة الاستعارة الفعلية «وهي الناشئة عن علاقة الإسناد بين اسم وفعل» بنسبة عالية من الشيع، إذا ما قيست بنسبة شيوع الاستعارة المفعولية «وهي الناشئة عن اقتران فعل بمفعول»، هذا ما تؤكد معطيات الجدول «٨»، فعند البارودي نجد نسبة الاستعارة الفعلية ٥٣٪، والمفعولية ١٢٪، وعند شوقي تسجل النسبتان على الترتيب السابق ٥٧٪ و ١٥٪، كما تسجلان في شعر الشابي بالترتيب نفسه ٣٥٪ و ٧٪ .

وترجع الطرافة في هذه الظاهرة إلى أن «لاتنون» أيضا يقرر وجوده في شعر «أوين»، وهو لا يرى في ذلك ما يدعو إلى العجب، ويعلل بأن «الأفعال غير المتعدية»، ومشتقاتها في كثير من أنواع النصوص الإنجليزية يفوق الأفعال غير المتعدية ومشتقاتها من حيث العدد (٢١)، وإذا كان ذلك قد ثبت بالدليل الإحصائي في الإنجليزية

Ibid, p. 174. (٢٠)

Ibid. (٢١)

فإن ثبوته فى حق العربية بالطريق نفسه ما يزال فى حاجة إلى توثيق، وهى محاولة لم تبذل فيما نعلم حتى الآن .

٤/٩ علاقة الأنواع الدلالية بالأنواع النحوية

تبرز فى المعالجة الإحصائية الأسلوبية للاستعارة قضية العلاقة بين الأنواع الدلالية والأنواع النحوية، ويمكن صياغة شكل هذه العلاقة فى سؤالين يتطلبان إجابة مقنعة، وهما :

* هل يؤثر كل نوع من الأنواع الدلالية الثلاثة

التجسيمية والإستحيائية والتشخيصية نوعاً نحوياً بعينه بين الأنواع الأربعة :
الفعلية والمفعولية والوصفية والإضافية ؟

* هل لهذا الإيثار - إن وجد - طابع لغوى عام أم أنها خاصية أسلوبية يمتاز بها شاعر من شاعر ؟

لكى نجيب على هذين السؤالين لابد أن نقوم بخطوتين :

أولاهما : الترتيب التنازلى لتوزيع الأنواع الدلالية على الأنواع النحوية لدى كل شاعر من الشعراء الثلاثة، وهذا ما ضمناه الجداول « ٩ - ١٧ » .

والأخرى : مقارنة معطيات الجداول التسعة لاستيضاح جوانب المشكلة، ومواقف الشعراء الثلاثة منها .

جدول (٩)

توزيع الاستعارة التجسيمية على الأنواع النحوية «البارودي»

النوع النحوي	%
إضافي	٥٤
مفعولي	٢٥
فعلي	١٧
وصفي	٤
المجموع	١٠٠

جدول (١٠)

توزيع الاستعارة الإستحيائية على الأنواع النحوية (البارودي)

النوع النحوي	%
فعلي	٧١
إضافي	٢٠
مفعولي	٥
وصفي	٤
المجموع	١٠٠

جدول (١١)

توزيع الاستعارة التشخيصية على الأنواع النحوية (البارودي)

النوع النحوي	%
فعلي	٦٠
إضافي	٢٣
مفعولي	١٠
وصفي	٧
المجموع	١٠٠

جدول (١٢)

توزيع الاستعارة التجسيمية على الأنواع النحوية (شوقى)

النوع النحوى	%
إضافى	٢٨
مفعولى	٢٨
فعلى	٢٢
وصفى	١٢
المجموع	١٠٠

جدول (١٣)

توزيع الاستعارة الاستحيائية على الأنواع النحوية (شوقى)

النوع النحوى	%
فعلى	٧٦
إضافى	٩
مفعولى	٩
وصفى	٦
المجموع	١٠٠

جدول (١٤)

توزيع الاستعارة التشخيصية على الأنواع النحوية (شوقى)

النوع النحوى	%
فعلى	٦٣
إضافى	٢٠
مفعولى	١١
وصفى	٦
المجموع	١٠٠

جدول (١٥)

توزيع الاستعارة التجسيمية على الأنواع النحوية (الشابى)

النوع النحوى	%
إضافى	٥٩
مفعولى	١٧
فعلى	١٢
وصفى	١٢
المجموع	١٠٠

جدول (١٦)

توزيع الاستعارة الاستحيائية على الأنواع النحوية (الشابى)

النوع النحوى	%
فعلى	٥٠
إضافى	٢٣
مفعولى	٢٢
وصفى	٥
المجموع	١٠٠

جدول (١٧)

توزيع الاستعارة التشخيصية على الأنواع (الشابى)

النوع النحوى	%
فعلى	٤٠
إضافى	٣٠
مفعولى	٢٦
وصفى	٤
المجموع	١٠٠

والآن، ماذا وراء هذه المعطيات ؟ وما المعيار المرتضى للتمييز بين ما هو لغوى عام وما هو أسلوبى متفرد ؟

يبدو أن المعيار المنطقي هو ترجيح اعتبار ما اشترك فيه الشعراء الثلاثة على اختلاف مشاربهم ونزعاتهم خاصية لغوية عامة، أما ما اختلفوا فيه ففي شأنه تفصيل نعرض له فيما بعد .

وإذا صح لنا هذا المعيار فإن علينا قبل المضى في تطبيقه أن نحدد مواطن الاتفاق والافتراق بينهم من خلال إعادة عرض المعلومات المتضمنة في الجداول (٩ - ١٧) في أشكال توضيحية بطريقتين :

الأولى : تظهر المقارنة في المواقف مع الترتيب التنازلى للأشكال النحوية في أشكال تخطيطية تحمل الأرقام (٢ - ٤) .

الثانية : تعرض المقارنة بالنسبة المئوية في رسوم بيانية تحمل الأرقام (٥ - ٧) .

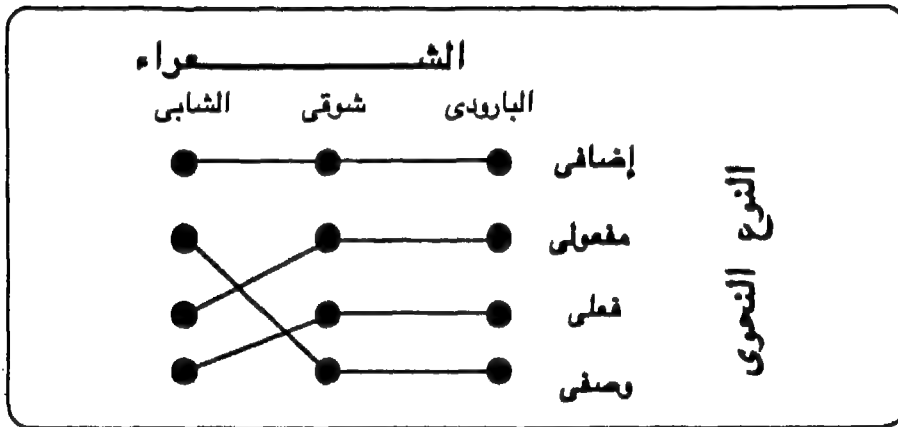
وتؤدى بنا مقارنة الأشكال (٢ - ٧) وتأملها إلى استنباط عدد من النتائج المهمة المتصلة بمواقف الشعراء الثلاثة من خاصية توزيع الأنواع الدلالية على الأنواع النحوية، فهي تدلنا أولاً على مواطن الاتفاق بينهم مما يعد ظواهر عامة في اللغة بحسب المعيار الذى نقترحه - وليست نزعات أسلوبية تدل على التفرد والخصوصية، وباستقراء مواطن الاتفاق يمكننا تقرير ما يلى :

١ - إن الاستعارة التجسيمية ترتبط نحويًا بالتركيب الإضافى، أو بعبارة أخرى : إن التركيب الإضافى هو أكثر الأنواع النحوية ملائمة للاستعارة التجسيمية .

٢ - إن الاستعارة الإستحيائية ترتبط نحويًا بالتركيب الفعلى؛ فهو أكثر الأنواع النحوية ملائمة لصياغتها .

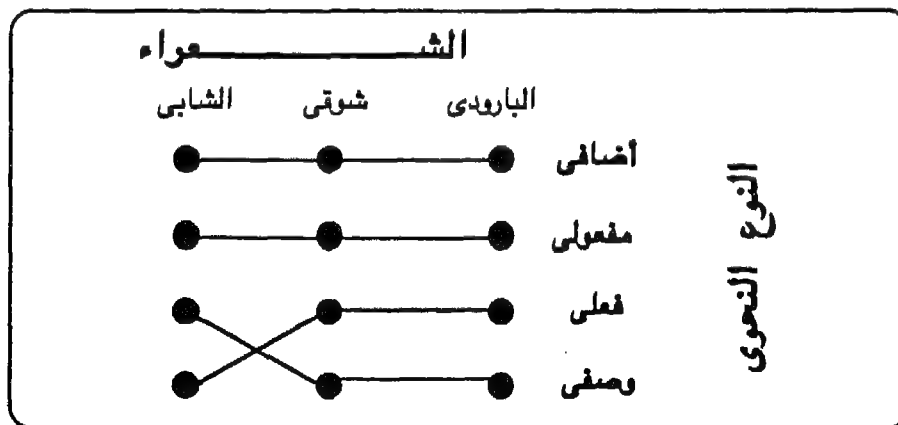
شكل (٢)

مواقف الشعراء من الاستعارة التجسيمية



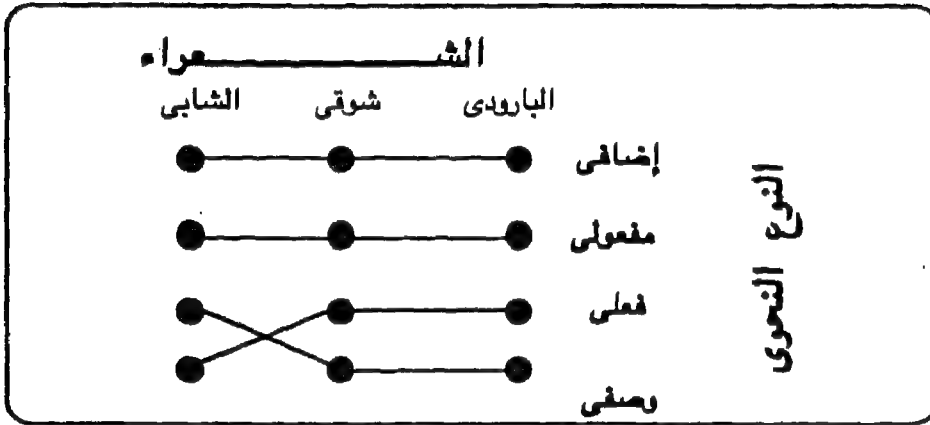
شكل (٣)

مواقف الشعراء من الاستعارة الاستحيائية



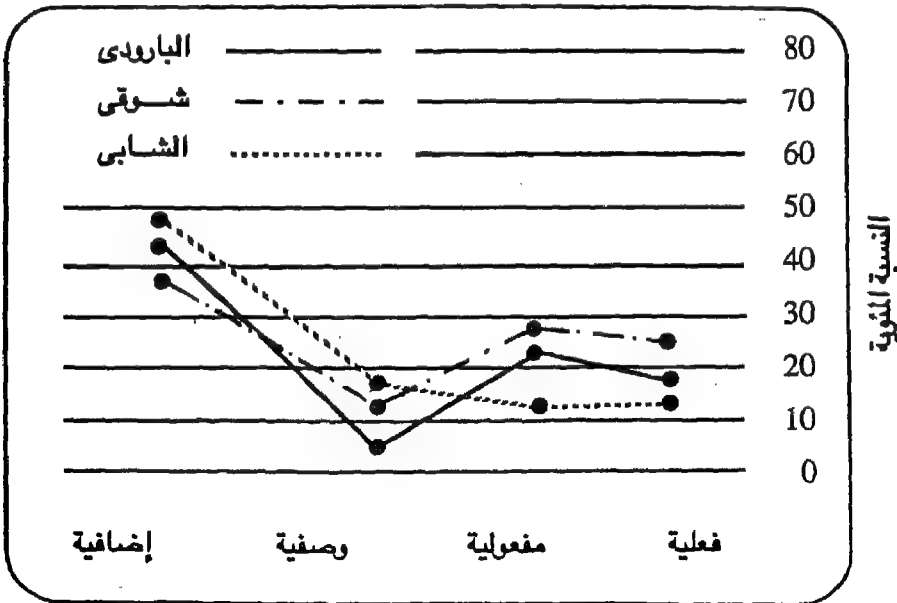
شكل (٤)

مواقف الشعراء من الاستعارة التشخيصية



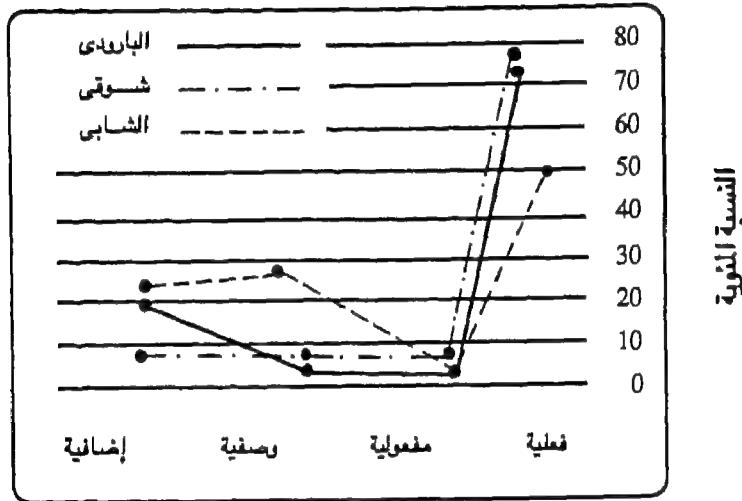
شكل (٥)

النسب المئوية لتوزيع الاستعارة التجسيمية على الأنواع النحوية



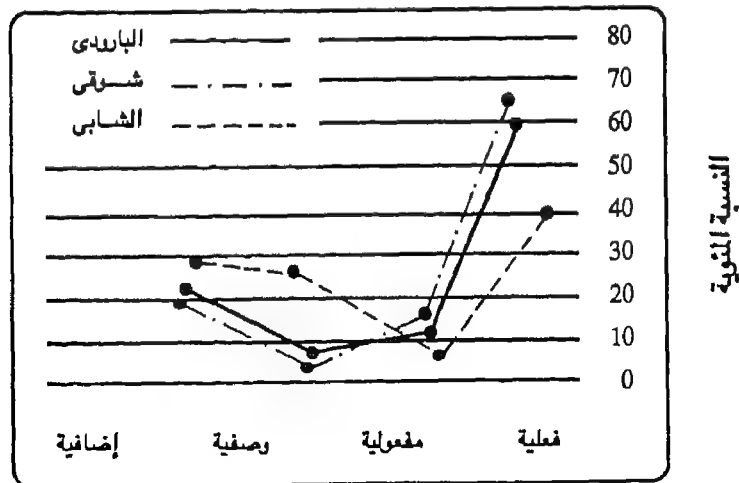
شكل (٦)

النسب المئوية لتوزيع الاستعارة التشخيصية
على الأنواع النحوية



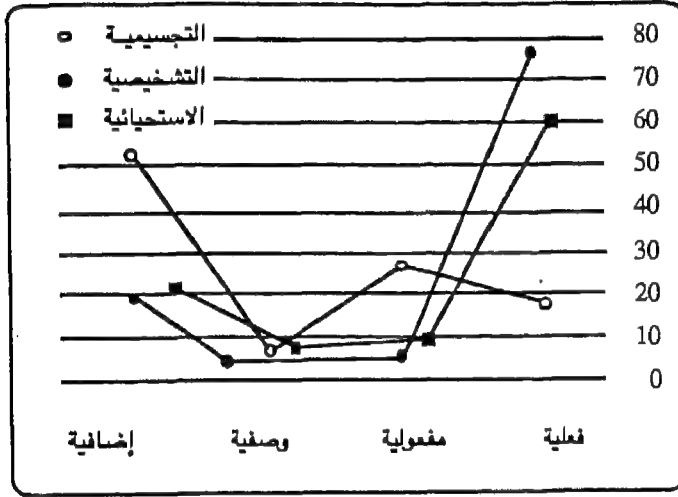
شكل (٧)

النسبة المئوية لتوزيع الاستعارة الاستحيائية
على الأنواع النحوية



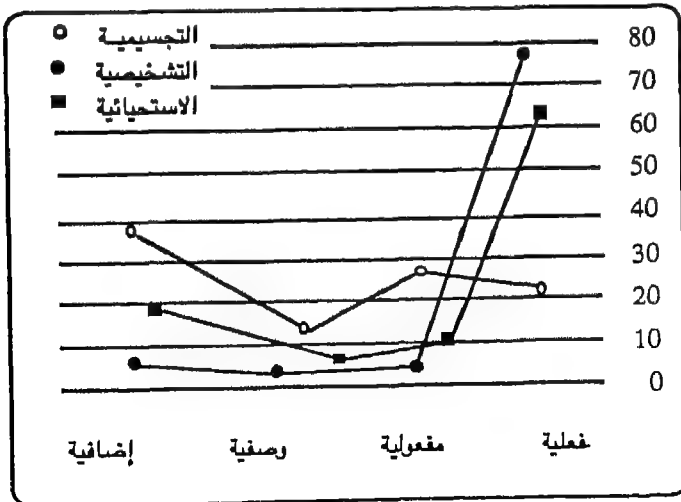
شكل (٨)

النسب المئوية لتوزيع الإستعارة التجسيمية
والتشخيصية والاستحيائية عند البارودي

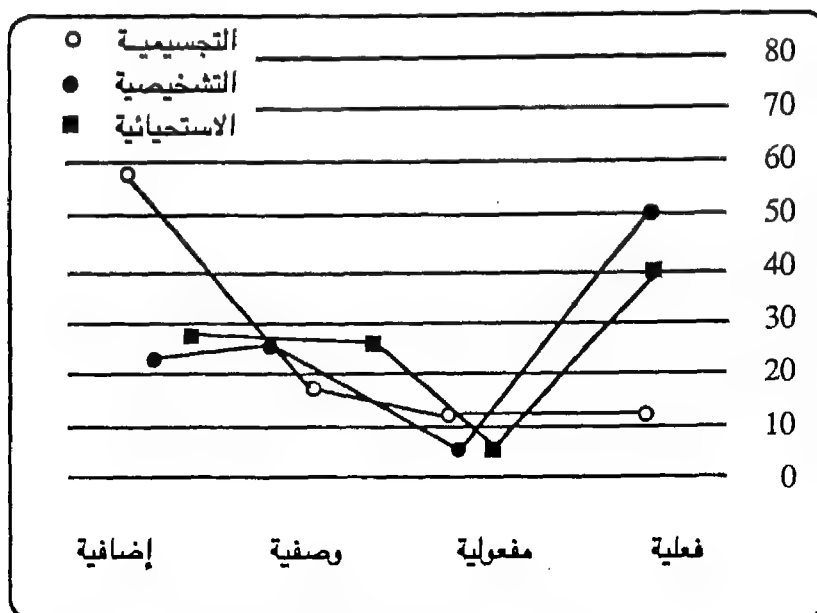


شكل (٩)

النسب المئوية لتوزيع الاستعارة التجسيمية
والتشخيصية والاستحيائية عند شوقي



شكل (١٠)
النسب المئوية لتوزيع الاستعارة التجميعية
والتشخيصية والاستحيائية عند الشابي



(٣) إن الاستعارة التشخيصية ترتبط نحويًا بالتركيب الفعلي في المرتبة الأولى ثم بالتركيب الإضافي .

(٤) إن الاستعارة المفعولية هي أقل الأنواع النحوية استجابة لصياغة الاستعارة بأنواعها الدلالية المختلفة .

أما ما وقع فيه الخلاف بين الشعراء الثلاثة فقد ذكرنا أن في أمره تفصيلاً ، وبيان ذلك أن مواطن الاختلاف تحتل أحد احتمالين، صدق أولهما لا يلزم عنه بالضرورة صدق الثاني، أما صدق الثاني فلا ينفى صدق الأول .

فأول الاحتمالين : أن يكون هذا الخلاف خاصة أسلوبية يمتاز بها شاعر من شاعر ويكون هذا الاحتمال راجحاً إذا لوحظ عدم انتظام توزيع الظواهر في العينات المفحوصة .

وأما ثاني الاحتمالين : فهو أن يكون الاختلاف الملحوظ بين العينات المفحوصة دليلاً على اختلاف الاتجاهات والنزعات في صياغة الشعر، ويكون هذا التفسير راجعاً عند انتظام توزيع الخواص الأسلوبية، وتلازم الاختلاف المنتظم فيها مع اختلاف الاتجاهات والانتماءات في المذهب الشعري .

ويقدم لنا فحص خاصية الاستعارة في القصائد المختارة حالة من حالات التوزيع المنتظم للخواص الأسلوبية سواء في مواطن الاتفاق أو الافتراق، فأما مواطن الاتفاق فقد أسلفنا الإبانة عنها، وأما عن الافتراق فيبدو واضحاً تقارب البارودي وشوقي في جميع الظواهر التي جرى قياسها وهي :

(١) كثافة اللغة الاستعارية .

(٢) توزيع الأنواع الدلالية على الأنواع النحوية .

وتظهرنا المقارنة بين معطيات الشعراء والمعطيات الخاصة بالشابي على اختلافهما معه في معظم ما اتفقا عليه .

وانتظام توزيع الظواهر المقيسة على هذا النحو بين الشعراء الثلاثة يطرح سؤالاً مفتوحاً لا يمكن أن يحظى فى إطار هذا البحث بإجابة يقينية وهو :

هل للاختلاف بين الشعراء الثلاثة دلالة عامة ترتبط باختلاف نزعاتهم بين إحيائية خالصة، وإحيائية مجددة، ونزعة رومانسية، أم أنها فروق أسلوبية مميزة لأعيانهم من بين سائر الشعراء ؟

ولقد ذكرنا أن الإجابة على صدر السؤال بالإيجاب يمكن أن تنسحب أيضاً على الجزء الأخير منه، ولكن العكس ليس بالضرورة صحيحاً، وفى كلتا الحالتين تثبت لنا الحقيقة الآتية بيقين : وهى أن نتاج شوقى على الرغم من وقوعه وسطاً بين الإحيائية الخالصة التى يمثلها البارودى والرومانسية التى يمثلها الشابى ما يزال فى خواصه الأسلوبية أقرب إلى الأولى منه إلى الثانية، ويتأكد ذلك ببروز نتاج الشابى بوصفه صوتاً متميزاً يجبر بانتعائه إلى تيارات التحديث التى شقت للشعر العربى الحديث طريقاً جديداً .

وعلى أى حال فإن التماس الجواب اليقيني على هذه الأطروحة لا يتحقق إلا باستخدام التشخيص الأسلوبى عامة، والإحصائى خاصة، لدراسة هذه الظواهر وقياسها فى مزيد من النتاج الشعرى لمزيد من الشعراء الذين يمثلون التيارات الثلاثة، حينئذ يتمكن الباحث من ملاحظة مدى انتظام توزيع الظواهر بطريقة علمية تمتاز بالقياس الموضوعى المنضبط الذى يسمح له باستنباط الأحكام، وإجراء التحليل، وإقامة الدليل .

على أن ثمة ملاحظة نجد من الضرورى والطريف أن نشير إليها فى ختام البحث، إن تأمل الأشكال ٥ - ٧ يؤكد تجانس أسلوب الشاعر الواحد فى معاملة الأنواع النحوية من حيث علاقتها بالأنواع الدلالية ويظهر واضحاً لمن يتبع خط الشاعر الواحد فى الأشكال الثلاثة أن التجانس بين الخطوط الثلاثة الممثلة لشعر الشاعر ظاهر بحيث تكاد تنعدم المفاجآت والانحناءات غير المتوقعة، وهذا فى حد ذاته دليل مزبج على وحدة الشخصية الشعرية من جهة وعلى صدق القياس من جهة أخرى .

١٠ - كلمة الختام :

كانت العينات المختارة من قصائد البارودى وشوقى والشابى مجالا خصبا لدراسة مشكلة قديمة جديدة هى الاستعارة، وكانت الوسيلة المنهجية التى أعملت لمقاربتها هى التشخيص الأسلوبى الإحصائى، وقد استلزم تطبيقها عددا من الاجراءات المنهجية شملت .

أولا : تحديد مفهوم الاستعارة .

ثانيا : تصنيف الاستعارة باعتبارين أحدهما دلالى، وانقسمت بمقتضاها الاستعارة إلى تجسيمية وإستحيائية، والآخر نحوى، وانقسمت، بمقتضاء الاستعارة إلى فعلية ومفعولية ووصفية وإضافية .

ثالثا : تحديد طريقة للكشف عن الاستعارة بتحويل البيت الشعرى إلى سلسلة من الجمل البسيطة تظهر بها العلاقات الدلالية والنحوية بين عناصر الاستعارة .

رابعا : توصيف الطريقة المتبعة فى إجراء القياس بحيث يمكن وصفها فى خدمة أى باحث قد يجد فيها حلا لبعض ما قد يعرضه من مشكلات علمية فى معالجته للغة الشعر .

وكان الهدف من اجراء القياس الإحصائى اختيار المسائل الآتية :

(١) كثافة اللغة الاستعارية .

(٢) تمايز الشعراء فى استخدامها تبعاً لخواصها الدلالية .

(٣) تمايز الشعراء فى استخدامها تبعاً لخواصها النحوية .

(٤) توزيع الأنواع الدلالية على الأنواع النحوية .

(هـ) معايير التمييز بين الخواص اللغوية العامة والسمات الأسلوبية الفردية أو المميزة لبعض التيارات والمذاهب الشعرية.

وقد أمكن بتطبيق المقياس واختبار هذه المسائل التوصل إلى بعض النتائج التي تعتقد أهميتها في دراسة المشكلة التي وضعناها للبحث ، بيد أن أهمية البحث تتجاوز في نظرنا ما تقدمه من حلول لهذه القضايا بعينها إلى كونه مثلاً توضيحياً لطريقة في معالجة النص الأدبي، نأمل أن يكون فيها فائدة ترضى . وأن ينظر إليها على أنها إسهام موضوعي من جانب المشتغلين بعلوم اللسانيات والأسلوب في تنوير قضايا تاريخ الأدب ونقده واستجلاء غوامضها، ولعل في ذلك تصديقاً لمقولة لا نمل من تردادها وهي : « أن الأدب فن، ولكن دراسة الأدب يجب أن تكون علماً منضبطاً ».

الفهرس

٧ فاتحة الكتاب

● المبحث الأول :

الدراسة الإحصائية للأسلوب :

١١ بين المفهوم والإجراء والوظيفة

١٣ * الفاتحة

١٧ ١ - مبحث المفهوم

٢٧ ٢ - مبحث الإجراء

٧٥ ٣ - مبحث الوظيفة

٨١ ٤ - كلمة خاتمة عن قضايا العربية والمعالجة والإقتصادية

● المبحث الثانى :

قياس خاصية تنوع المفردات فى الأسلوب .

٨٣ عند العقاد والرافعى وطه حسين

٨٥ * الفاتحة

٨٧ ١ - العينات

٩٠ ٢ - القياس

٩٦ ٣ - طرق حساب النسبة

١٠١ ٤ - نتائج القياس

- ١٠٥ ٥ - ملاحظات على النتائج
- ١٠٨ ٦ - علاقات تنوع المفردات بصعوبة الأسلوب

● المبحث الثالث :

تحقيق نسبة النص إلى المؤلف

- ١٠٩ (دراسة أسلوبية إحصائية في الثابت والمنسوب من شعر شوقي)
- ١١١ - مقدمة : في تحديد المشكلة وكيف عالجها الدارسون
- ١١٩ ١ - المقياس
- ١٢٩ ٢ - العينات المدروسة
- ١٣٢ ٣ - نتائج القياس
- ١٥٧ ٤ - تحليل للنتائج
- ١٧٣ المصادر والمراجع

● المبحث الرابع :

في التشخيص الأسلوبى الإحصائى للاستعارة

- ١٧٥ (دراسة في دواوين البارودى وشوقى والشابى)
- ١٧٧ - فاتحة
- ١٧٩ ١ - لماذا هؤلاء الشعراء الثلاثة
- ١٨١ ٢ - العينات المدروسة
- ١٨٦ ٣ - تحديد إجرائى لمفهوم الاستعارة
- ١٨٨ ٤ - تصنيف الاستعارة بحسب النقل الدلالى
- ١٨٩ ٥ - تصنيف الاستعارة بحسب التركيب النحوى
- ١٩١ ٦ - طريقة عن الكشف عن الاستعارة وتحديد خواصها

٢٢٢

١٩٤	٧ - خطوات القياس
١٩٥	٨ - نتائج القياس
٢٠٠	٩ - تحليل النتائج
٢١٨	١٠ - كلمة خاتمة

* * *

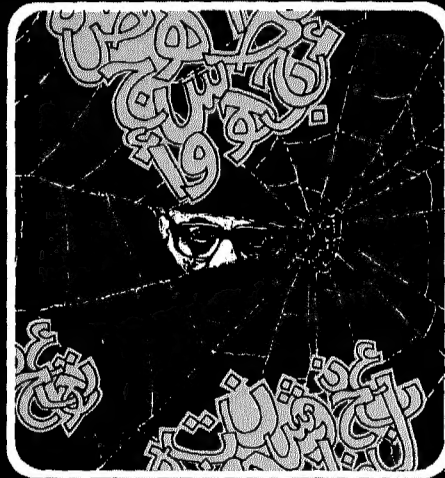
رقم الإيداع ٩٣/١٠٨٦٢

I. S. B. N. : 977-5487 - 06 - 4

طبع بمطابع دار روتا برينت للطباعة

17900
١٧٩٠٠

في النص الأدبي



للدراستات والبحوث الإنسانية والاجتماعية
FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES